الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

غير مخصص للبيع

Mugool.com

ISSUE 118 - 10TH YEAR - DEC. 1986.

العدد (١١٨) ـ ربيع الآخر ١٤٠٧هـ ـ السنة العاشرة ـ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٦م.



تربية حديثة


أنا وزوجتي لا نؤمن بالتقليدية... ناوين نشتري كمبيوتر لتربية الأولاد...



★ خارج المتحف الحربي : المدخل ، وبعض الآثار ★

بورسعيد
مدينة وتاريخ

لمصر تاريخ قديم في مجال الموانئ البحرية يرجع ـ في أقدم عصوره ـ إلى الوقت الذي تقاسمت فيه مصر وفينيقيا مجد الملاحة البحرية : إذ شيدت مصر «ميناء فرعون» في القرن ١٨ ق . م ، ولكنه اندثر تحت قاع البحر ، ثم جاء الإسكندر الأكبر (٣٥٦ ـ ٣٢٤ ق . م) ، فأسس ميناء الإسكندرية ٣٣٢ ق . م ، مكان «ميناء فرعون» ، ثم شيد «بطليموس» منارته في صخرة شرقي جزيرة «فرعون» بلغ ارتفاعها نحو مائة متر .

وإذا كان هذا بعض خبر الموانئ المصرية في التاريخ البعيد ، فإن التاريخ القريب قد شهد ميلاد موانئ جديدة ارتبط بعضها بمولد مشروع عالمي خطير له مكانته الاستراتيجية والاقتصادية والعسكرية ، وهو «قناة السويس» .



★ مبنى محافظة بور سعيد وجزء من ميدان الشهداء ★

المدينة الباسلة

بقلم: د. يوسف حسن نوفل
تصوير: أحمد الزيات

من هذه الموانئ ميناء «بورسعيد» ثاني موانئ مصر بعد ميناء الإسكندرية، أو مدينة «بورسعيد» Portsaid الواقعة شمالي جمهورية مصر العربية عند مدخل قناة السويس الشمالي، وجنوبي **البحر الأبيض المتوسط** أكبر بحر يتوسط ثلاث قارات هي أوروبا وآسيا وأفريقيا، الذي نشأت على سواحله أهم الحضارات القديمة: المصرية، والإغريقية، والرومانية، والعربية، والأوروبية، وإذا كانت قناة السويس قد أخرجت من بين جناحيها مدينة بورسعيد فإن القناة ــ أيضاً ــ قد زادت من أهمية البحر الأبيض المتوسط التجارية والاستراتيجية منذ افتتاحها سنة ١٨٦٩م، كما زادت من أهمية **البحر الأحمر** (بحر القلزم) الذي يحتل ــ بمياهه ــ أعمق أجزاء الأخدود الإفريقي العظيم، ويفتح ذراعيه في خليجين هما: **خليج العقبة، وخليج السويس** جنوبي القناة، وبينهما شبه جزيرة سيناء حيث تمضي معها شمالا بمحاذاة قناة السويس لتصل إلى حدود محافظة

بورسعيد المدينة الباسلة

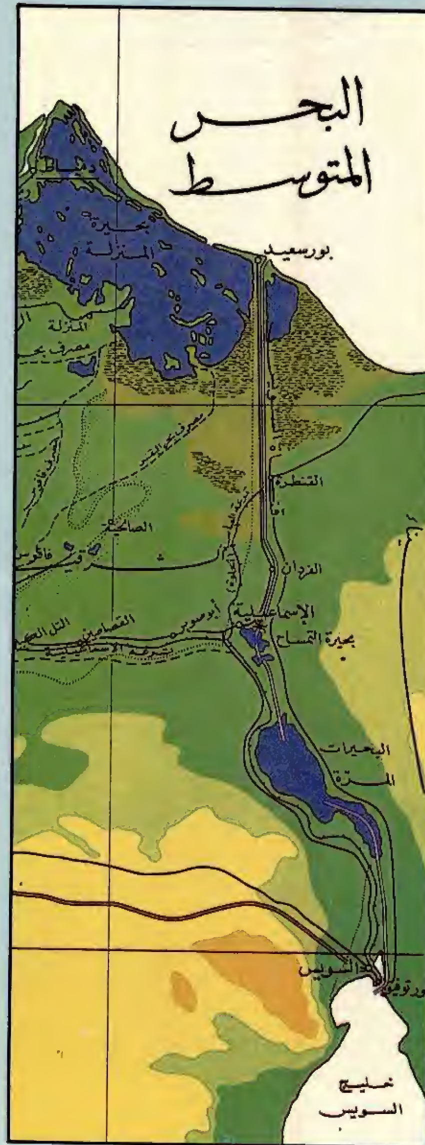
بورسعيد ، ولنصل إلى بقعة قديمة تطل على البحر الأبيض المتوسط هي المدينة الفرعونية (پيلوز Péluse تلك التي شهدت لقاء **قمبيز ملك الفرس** (٥٢٩ ــ ٥٢١ ق . م)، بجيوش الفرعون «**بساميتيك الثالث**» (٥٢٥ ق . م)، وقد بلغ عدد سكانها في العصر الفرعوني مائة ألف نسمة تقريباً ، وقد عرفت في **العصر المسيحي** باسم **برما أو برمون** .

أما في **العصر الإسلامي** فقد عرفت باسم **فرما أو الفرماء** وقد التقى فيها العرب بالروم عند فتح مصر ، حين فتحها **عمرو بن العاص** (ت ٤٣ هـ/ ٦٦٤م) ، عام ١٨ هـ/ ٦٤٠م ، وعلى بعد ٢٨ كلم من تلك المدينة القديمة شرقي بورسعيد توجد «**بورفؤاد**»[1] امتداداً لها ، فإذا ما عبرنا القناة غرباً ، وجدنا أنفسنا في بورسعيد التي تُقسَّم إدارياً إلى : بورفؤاد ، والشرق ، والغرب ، والمناخ .

نشأة بورسعيد

بورسعيد . . أو ميناء «سعيد» خديوي[2] مصر فيما بين (١٨٥٩ ــ ١٨٦٩ م) ــ الذي أمر المهندس الفرنسي «فرديناند دي ليسبس» (١٨٠٤ ــ ١٨٩٤ م) ، بحفر قناة السويس ــ وبورسعيد لسان رملي ضيق ذو شكل مثلث تحيط به المياه من كل جانب ، حيث البحر الأبيض شمالا ، وبحر المنزلة في الجنوب الغربي ، وتخترقها قناة السويس شرقاً ، ويحدها **بوغاز أشتوم** الجميل غرباً .

وتذكر الأخبار أن أول العمل في إنشاء بداياتها يرجع إلى ٢٥ أبريل (نيسان) عام ١٨٥٩ م ، حيث تمثلت الخطوة الأولى في قيام خيام يقطنها المهندسون والعمال المشتركون في مشروع حفر القناة ، وما لبثت الخيام أن تحولت إلى أكواخ خشبية نحو عام ١٨٦١ م ، ثم أصبحت مدينة في ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٦٩ م ، وقت افتتاح قناة السويس ، وتسيير أولى قوافل السفن في القناة من طرفها الشمالي ، وما لبثت أعداد المهاجرين إليها والمقيمين بها أن تزايدت مع عام ١٨٧١ م ، بسبب توافر أسباب الرزق ، فازداد البناء والتشييد ، وتضاعف عدد سكانها بين عام ١٨٦١ و١٨٧١ م ، ليصبح عام ١٨٨٢ م (٢,٩٣٧ نسمة) ، وفي عام ١٩٤٧ م (١٢,٦٢٧ نسمة) ، من مجتمع يعود بعضه إلى أصله المحلي إلى محافظات مصر ، وبعضه إلى أصله العالمي إلى جنسيات أوروبية متعددة في شكل جاليات مقيمة ، ثم أصبح تعداد سكانها وفقاً لإحصائية محسوبة بالزيادة الطبيعية عام ١٩٨٣ م ، (٣٦٦,٨٨٢ نسمة) ، عدا من يتردد عليها للاتجار أو للاستثمار أو السياحة أو الزيارة أو الترانزيت أو التعليم . . إلخ .



المدينة الباسلة

إذا ذُكرتْ «بورسعيد» ذكرت المدينة الباسلة التي خاضت تجربة النضال إبان **العدوان الثلاثي** على مدن القناة وعلى مصر في ٢٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٦ م ، إثر تأميم[3] قناة السويس في يونيو (حزيران) ١٩٥٦ م . وقد خاض شعبها الأبي معارك قاسية ببسالة وشجاعة وشموخ أمام هجمات تتارية شرسة بتدبير من **إنجلترا وفرنسا وشراذمة اليهود** ، امتداداً لمواقفه البطولية ضد الاستعمار أثناء الاحتلال الإنجليزي لمصر قبل الجلاء ، لقد اعتدى المعتدون على النساء والأطفال والشيوخ وحاول العدو إنزال جنوده الهابطين (المظلات) في بور سعيد في ثلاثة مواقع هي : بورفؤاد ، ومطار الجميل ، والجبّانة (المقابر) ، وتصدى الجيش والشعب للهابطين في موجات متلاحقة ، وقضوا على أعداد ضخمة من الهابطين ، فسلّط العدو غارات جوية عنيفة مستمرة على العزّل من السلاح لإرغام شعب المدينة على الاستسلام ، وظل مستمراً في وحشيته ، وفي إنزال جنوده الهابطين وسط جحيم غير عادي حتى أن «**بيتر وودر**» **مراسل جريدة «الديلي ميرور» البريطانية** ــ وكان أول مراسل يهبط مع الجنود البريطانيين ــ يقول عن التصدي الوطني إنه «جحيم» ، وكيف سقط الجرحى ، وكَتَبَ من حجرة العمليات ووصفها بأنها «دامية» ، والمقاومة عنيفة ، وصب العدو «**النابالم**» المحرّم دولياً على الشعب ، ليسجل أبناء بورسعيد بطولة لا تمحوها الأيام ولا يجحدها الأعداء ، وقد استقبلت المدينة يوم ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥٦ م ، بفرح انسحاب القوات الغازية بعد فشلها وجعلت يوم ٢٣ ديسمبر (كانون الأول) من كل عام عيداً للنصر ، وعيداً قومياً لها ، وظلت المدينة تستقبل وفوداً عالمية تشاهد الآثار الوحشية في المدينة التي قُرن اسمها بأسماء مدن مجيدة عظيمة ، ويستطيع زائر بورسعيد أن يرى كثيراً من آثار هذه المرحلة مع ما تلاها من مراحل نضال بورسعيد في عام ١٩٦٧ م ، وفي عام ١٩٧٣ م ، حيث **حرب رمضان «أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ م»** .

المتحف الحربي

وقد سجّل (**المتحف الحربي**) بالمدينة

جانباً وثائقياً من هذه الحروب ، ويجد زائر هذا المعرض قصة اختطاف «**مورهاوس**» أحد كبار قادة الاحتلال الإنجليزي ، وقائد المخابرات ، وهو ضابط مشاة بالقوات المعتدية ، وقد نكّل بأهل بورسعيد مراراً ، فأسروه في ١١ ديسمبر (كانون الأول) في قصة بطولية رائعة ، وأخفوه في مكان ريثما يعودون إليه بالطعام والشراب ، غير أن «دوريات» الأعداء قامت بتكثيف البحث المحموم عنه بعصبية وهوس مما أعاق آسريه عن زيارته ورعايته فمات جوعاً ورعباً ، كما يضم المتحف صوراً عن معركة أبي عجيلة ١٩٥٦/١٠/٣١م ، وعن البطل البورسعيدي **محمد مهران** ـ أحد الأبطال الهدّافين ـ الذي سمل الأعداء عينيه في قبرص بعد أسره تشفياً منه ؛ لأنه أصاب أحدهم في عينه عام ١٩٥٦م ، كما يضم المتحف صوراً لشهداء معارك بورسعيد أمثال : **جواد حسني ، وجول جمال ، والسعيد علي شهبوب ،**



▲ ★ قاعدة تمثال «ديليسبس» خالية منذ ١٩٥٦م ، عند مدخل القناة ★

▼ ★ مبنى هيئة قناة السويس ، وخلفه منظر عام لبور سعيد ★

وجلال دسوقي ، كما تصوّر دور **بحيرة المنزلة** في توصيل الإمدادات لبورسعيد وربطها بمصر الأم وقت الحصار المرير ، ومع البطولات والشهداء نجد وثائق نصّية للإنذارات الموجهة لمصر وشعبها ولنتائج الحرب ودوافعها .

كما نجد تجسيداً وتصويراً وتسجيلاً لمعارك رمضان (أكتوبر) تشرين الأول ، وخط « **بارليف** » ومكوناته وميزاته وطريقة اقتحامه ، وغير ذلك من صور وآثار وبقايا المعارك على نحو ينطق ببطولة بورسعيد عبر العصور .

والحق إن موقف بورسعيد البطولي ليس وليد عام ١٩٥٦م ، فحسب ، فلقد وقف شعبها ضد الإنجليز في ٢٦ يوليو (تموز) عام ١٨٨٢م ، حيث اقتحمت السفن الحربية البريطانية القناة عند بورسعيد مخلة بالاتفاقيات الدولية ، ونزلت كتيبة إنجليزية بمساعدة الأجانب وقاومها شعب بورسعيد برغم ما تلقى منها من وحشية ، وكافح شعب

★ من آثار عدوان ١٩٥٦م ★



★ ترسانة بناء السفن وإصلاحها ★

بورسعيد ضد الاستعمار خلال **الحرب العالمية الأولى** ١٩١٤م ، وخلال **الحرب العالمية الثانية** ١٩٣٩م .

النافذة الشمالية

قلنا إن وجود بورسعيد مرتبط في نشأته وأساسه بنشأة قناة السويس ، إذ تقع بورسعيد على المدخل الشمالي لقناة السويس ، وإذا قلنا مع « **هيرودوت** » (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق . م) ، اليوناني : « **إن مصر هبة النيل** » ، فإن لنا أن نقول : « **إن بورسعيد هبة قناة السويس** » ! .

ولن نمضي مع التاريخ القديم والحديث تعريفاً بقصة وجود القناة عبر العصور ولكنا نكتفي بالإشارة إلى ما يتصل من حديثها ببورسعيد اتصالا مباشراً ، حيث يلقاك أول ما يلقى « **الشمندورة** » المضاءة في البحر قبل ميناء بورسعيد (الغاطس)

باحد عشر كم ، لتستمر القناة حتى **الإسماعيلية** جنوباً بامتداد ٧٨كم ، ثم من الإسماعيلية إلى **بورتوفيق** بامتداد ٨٤كم ، حيث السويس . . وهذه هي مدن القناة .

وحين بدأت فكرة حفر القناة لتسير محاذية الحافة الشرقية لبحيرة المنزلة والغربية لشبه جزيرة سيناء في خط مستقيم حتى بحيرة التمساح ، ثم تنحرف إلى البحيرات المرة فخليج السويس ، بدأ كفاح المصريين في حفر القناة وموت الكثيرين فوق ثراها عطشاً وجوعاً وإعياء ، وأراد **إسماعيل باشا**[٤] (١٨٣٠ ــ ١٨٩٥ م) ، ــ خديوي مصر (١٨٦٣ ــ ١٨٧٩ م) ، بعد عمه **سعيد باشا** ــ أراد أن يجعل مصر قطعة من أوروبا ، وأعد لحفل عالمي هائل لافتتاح القناة ، وتوافد المدعوون في نحو ستة آلاف مدعو إلى ميناء بورسعيد في ٨٠ سفينة ، وغصّ ميناء بورسعيد بالأسطول الحربي لمصر وغيرها ، وازدان الميناء بالأعلام والأنوار وزيّن



▲ ★ مركز السوق الدولي بمنطقة الميناء على شاطئ القناة ★

▼ ★ الناقلات تعبر قناة السويس بعد التطوير ★

حاجز الأمواج بالأنوار، وانطلقت الصواريخ النارية للزينة، واستدعي عدد هائل من الطباخين والخدم الأجانب، وأقيمت المآدب، واكتسى الشاطئ بالزينات، حتى كان يوم ١٤ مارس (آذار) ١٨٦٩م، ليشهد تدفق مياه البحر الأبيض المتوسط عند بور سعيد متجهة جنوباً إلى **البحيرات المرة** لأول مرة في التاريخ، ثم يأتي التدفق من الجنوب ليلتقي البحران: الأبيض والأحمر عند «**الدفرسوار**»، ثم كان يوم ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٦٩م، حيث بدأت السفن تعبر القناة من بورسعيد يتقدمها **اليخت (إيجل)** مقلاً **(أوجيني) إمبراطورة فرنسا (١٨٢٦ - ١٩٢٠م)، وزوجة نابليون الثالث**.

وقد تكرر تعطل القناة عند بورسعيد وغيرها مع تكرر وقوع الحروب الماضية حتى استؤنفت الملاحة مرة أخرى بعد انتصارات رمضان المجيدة، وقد تم استئناف الملاحة بها في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٥م، ، محواً لآثار (٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧م) موعد تعطيلها.

قاعدة بلا تمثال

من معالم بورسعيد وجود قاعدة بلا تمثال، أما التمثال فكان للمهندس الفرنسي «**فرديناند دي ليسبس**» (١٨٠٤ - ١٨٩٤م)، الذي كان وراء فكرة حفر قناة السويس، والقاعدة تقع فوق الحاجز الحجري في مكان رائع جميل يشد إليه السائحين والمقيمين، وقد ثار الشعب ضمن ثورته على الاحتلال عام ١٩٥٦م، وأسقط التمثال عن قاعدته تعبيراً عن غضبه على العدوان الثلاثي، وما تزال القاعدة وما حولها معلماً من معالم بورسعيد السياحية ذات المنظر الخلاب والموقع المطل على مدخل القناة.

منار بورسعيد

أقيم أول منار بميناء بورسعيد عام ١٨٦٠م، بارتفاع ٢٠ متراً مراعاة لارتفاع المباني بها آنذاك، ثم استبدل بهذا المنار منار آخر ١٩١٦م، ثم أقيم المنار الحالي ١٩٢٣م، بارتفاع ٥٦ متراً نظراً للنهضة العمرانية بها، ويرى نوره على بعد عشرين ميلاً، وقوة إشعاعه مليون شمعة، ولا توجد أمامه مبان مرتفعة، غير أن كثيراً من المباني الشاهقة الارتفاع قد تناثرت هنا وهناك.

بورسعيد المدينة الباسلة

ترعتا الإسماعيلية وبورسعيد

مع بداية مشروع حفر القناة شُقت ترعة الإسماعيلية من النيل عند شمالي القاهرة مكان القناة القديمة بين النيل والبحر الأحمر وذلك عام ١٨٦٠م، وتفرعت عند الإسماعيلية إلى **ترعة السويس** (٨٩كم)، **وترعة بورسعيد** (٨٠كم)، وقبل وجودها كان مجتمع بورسعيد الناشئة يستعين بالتقطير، وجلب المياه عبر بحيرة المنزلة عن طريق (**القابوطي**)، ويجري التفكير في ترعة جديدة بعد اتساع المدينة توفيراً لمياه الشرب بها.

مدينة حرة

والحرية هنا ليست في مجال النضال فحسب، بل في مجال الاقتصاد، فمن المعروف أنه توجد موانئ ومناطق حرة عديدة في العالم مثل: **سنغافورة** في شبه جزيرة الملايو، وهي مركز تجاري عالمي، **وهونج كونج** في جنوب الصين، وهي مركز صناعي مهم في النسيج والإلكترونيك، والألعاب وغيرها، **وميناء كولون في بنما**، **وميناء كوبنهاجن** عاصمة الدانمرك وغيرها.

ويرجع التفكير في جعل بورسعيد منطقة حرة أو ميناء حراً ثم مدينة حرة إلى عهد بعيد، إذ اقترح «دي ليسبس» ذلك ثم صرف النظر عنه تحسباً لعدم وجود موظفين للجمارك، ونظراً لموقع بورسعيد بين القارات الثلاث، رؤي إنشاء منطقة حرة ببورفؤاد عام ١٩٦٦م، لكن أحداث حرب ١٩٦٧م، أوقفته، بعد أن تمت تجربة منذ ١٩٢٠م، حيث اتفقت شركة القناة مع الحكومة المصرية على إنشاء منطقة حرة، واستمرت المنطقة تعمل حتى كانت **الحرب العالمية الثانية** فاتجهت الدول إلى أماكن أخرى من العالم، ثم صدر قرار جعل بورسعيد منطقة حرة في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦م، ثم جعل المدينة كلها منطقة حرة في ١٩٧٧م.

والهدف من استحداث المناطق الحرة يرتبط بالرغبة في الرواج الاقتصادي واستثمار الأموال، وتصنيع المواد الأولية، وقيام الصناعات التحويلية، وتنشيط المعاملات المالية، وقيام صناعات جديدة، وقد مالت التجربة أول الأمر إلى الاستهلاك، ثم بدأت تتجه إلى الإنتاج لا سيما وقد عرفت بورسعيد من قبل الصناعات البحرية، وبناء السفن في الترسانة البحرية والغزل والنسيج، وصناعة الحبال، وتعبئة الشاي، وتجفيف البصل، وحفظ المواد الغذائية، وتهتم المدينة بتطوير مينائها، وتدرس إنشاء ميناء جديد جنوبي بورسعيد في خطة استقبال عام ٢٠٠٠م، كما أنشئ سنترال جديد سعة ٢٠ ألف خط سنة ١٩٨١م. وبدأ

★ من آيات الفن المعماري: مسجد بناه الراحل عبد الرحمن لطفي ★



الاهتمام بالإنتاج الغذائي ، والاهتمام بمصادر الثروة السمكية وهي في بورسعيد تتوزع بين **بحيرة المنزلة ، وبحيرة الملاحة** ببورفؤاد ، **وبحيرة البردويل** ، والبحر الأبيض ، **وبحيرة أم الريش** جنوبي الرّسوة كما اتجهت النية في السنوات الأخيرة إلى تنفيذ مشاريع توسعة مساحة بورسعيد بردم أجزاء من بحيرة المنزلة .

البمبوطية

وهم فئة ارتبطت حياتهم العملية بالقناة ، وعددهم نحو ٧٠٠ وقد تأثرت مواردهم بسبب التهجير ، وبعد العودة من التهجير ، لأن طبيعة عملهم ترتبط بالسفن العابرة ، ولما أنشأت هيئة قناة السويس « التفريعة » التي أدت إلى ازدواج القناة أدى ذلك إلى أن السفن القادمة من البحر الأبيض والمتجهة إليه لا تتوقف مما أصاب صنعتهم بالركود ، ومن الطريف أن الفن الشعبي الغنائي (**السمسمية**) قد سجل لهم قطعة معروفة باسمهم ذات إيقاع خاص ، وهي فن شعبي يقوم على الأغنية الفولكلورية والرقص الشعبي له آلات وأدوار ومطربون ، وإلى جانب أدباء السمسمية (الأدب الشعبي) ، نجد الأدب الفصيح ذا حظ وافر في المدينة التي أنجبت أدباء وشعراء ، وفي طليعتهم الناقد **عبد الرحمن شكري** (١٨٨٦ ـ ١٩٥٨ م) ، وولد بها أدباء وصحفيون ، وممثلون ، ومطربون ، ورياضيون نالوا حظاً من الشهرة يضيق المقام عن حصر أسمائهم هنا .

وقد سجلت أعمال أدبية لأدباء مصريين ، وعرب جوانب من بطولة بورسعيد ، وذكرها **طه حسين** في إشارته لرحلاته ، كذلك **الدكتور محمد حسين هيكل وأحمد شوقي** وغيرهم مما لا يكاد يحصى ، وقد كان بيت **حافظ إبراهيم** الذي سنذكره مطلع قصيدة ألقاها في افتتاح المدرسة الثانوية للبنات ببورسعيد ، حيث قال في مطلعها :

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعدَدْتَها
أعدَدْتَ شعباً طيّب الأعراقِ

وللشاعر **علي محمود طه** وقفة في بورسعيد عند طرفها الغربي ، في قصيدته (الأمسية الحزينة)[٥] .

ولأدباء سودانيين مجموعات قصصية تتناول بطولة شعب بورسعيد عام ١٩٥٦ م .

أماكن أثرية

من أهم الأماكن الأثرية بمحافظة بورسعيد مدينتان قديمتان كان لهما تاريخ ، وقامت كل منهما بدور كبير يذكره المؤرخون ، ومن العجيب أن مكان كل من المدينتين صار صحراء جرداء قاحلة في حاجة إلى اهتمام الأثريين . من هذه الأماكن :

●● **مدينة الفَرَما** : وقد قدمنا طرفاً من الحديث عنها في مطلع موضوعنا ، ونضيف هنا موجزاً لحديث **ياقوت الحموي** عنها ، ومنه نفهم أن مياه النيل كانت تصلها فتجعل أرضها « سباخاً تتوحل ، فلا تكاد تنضب صيفاً ولا شتاءً » ، وقد اعتمد أهلها على تخزين مياه النيل المحمولة إليهم من مدينة « تنّيس » ، كما يخزنون ماء المطر ، كما يحكى أن بعض العرب من « بني جَرَى ، وسائر جُذام » قد سكنوها ، وأنه كان بها نخل كثير له رطب فائق ، كما ينقل عمن يروي أنه كان بها طريق إلى (**قبرص**) في البر ! ، وإن **أحمد بن المدبر** أراد هدم أبواب الفرما وكانت من حجارة شرقي حصن الفرما فخرج أهلها ومنعوه زاعمين أن الأبواب ذُكِرَتْ في الكتاب في قصة يعقوب وبنيه ووصيته إياهم ألا يدخلوا من باب واحد ، كما يروي أبياتاً **لأبي نواس** ذكرها فيها ، ومنها قوله :

طوالب بالرُّكبان « غزةَ » هاشم
و « بالفرما » من حاجهن سَقور

●● **مدينة تنّيس (جزيرة)** : ويصف ياقوت موقعها بأنها بين الفَرَما ودمياط ، وتُعمَل بها الثياب والفرش ، ويصف بحيرتها (المعروفة الآن ببحيرة المنزلة) ماؤها يملح من بحر الروم (الأبيض) ، ويحلو من نهر النيل ، ويمضي مركِّزاً حديثه عن عصرها الإسلامي فحسب ، فيتحدث عن سورها الذي بني سنة ٢٣٠ هـ ، كما يتحدث عن كثرة الكتّاب بها ، وكثرة حدائقها وبساتينها ،

وكان بها الروم الذين قاتلوا أصحاب عمرو بن العاص واستشهد بها جماعة من المسلمين ، ثم بنيت بها القصور أيام **بني أمية** وصدر **الدولة العباسية** ، ودخلها **أحمد بن طولون** وبنى بها عدة صهاريج وحوانيت ، وكان يفصلها عن البحر المتوسط بر مستطيل [هو ما تشغله بورسعيد الآن] وأول هذ البر قرب الفَرَما والطينة [التيّنة الآن] ،

كما يتحدث عن أنواع من الطيور بها وببحيرتها وهي مائة ونيف وثلاثون صنفاً [ما تزال أنواع منها حتى الآن] ، ومن السمك تسعة وسبعون صنفاً [ما يزال الكثير منها حتى الآن] ، ويأخذ في ذكر التسمية ، كما يذكر طائفة من علمائها وبعضهم يُنسب إليها .

وهناك أماكن أخرى أقدم في الوجود من بورسعيد مثل القابوطي ، والتيّنة ، والديبة ، والجرابعة ، والمناصرة ، ورأس العش .

★ المعدية تصل بور سعيد من الشاطئ الشرقي للقناة ★



بورسعيد المدينة الباسلة

مصيف بورسعيد

وإذا ذكرت بورسعيد ذكر المصيف، حيث تقع بورسعيد على خط الطول ٣٢/١٨° شرقاً، وخط العرض ٣١/١٦° شمالا، وهي في الشمال الشرقي من مصر، في سهل ساحلي منبسط يخلو من المرتفعات والصخور، تحيط بها المياه من كل جانب، وشاطئها رملي يمتاز بالهدوء والجمال ونتيجة لهبوب تيار بحري من المحيط الأطلسي يمر ببوغاز (مضيق) **جبل طارق** ويسير محاذياً شواطئ إفريقيا فيدفع معه كميات ضخمة من الرواسب [وبخاصة وقت الفيضان قبل السد العالي] ونتيجة لذلك تزداد رقعة بورسعيد كل حين تبعاً لما يسمى (**طرح البحر**) وهي ظاهرة أخذت في الضمور بعد إنشاء السد العالي.

تتوسط درجة الحرارة في بورسعيد سنوياً بين ٧ و ٢٠° مئوية، وأشد الشهور برداً هو شهر يناير (كانون الثاني) (١٣,٧° مئوية)، وأشدها حرارة شهر أغسطس (آب) (٢٦,٥° مئوية)، وترتفع الرطوبة بمتوسط ٧٤٪ وتسودها الرياح الغربية أو الشمالية الغربية شتاءً، والشمالية أو الشمالية الشرقية صيفاً مما يلطف المناخ، ويساعد الملاحة في قناة السويس.

ويرافق ذلك اهتمام بالمصيف واهتمام بالسياحة لا سيما وشاطئ بورسعيد يمتد مستقيماً سهلاً مسافة ١٠ كم من مدخل قناة السويس شرقاً متجهاً غرباً تجاه دمياط.

وفي بورسعيد عدد ضخم من المساجد، حتى قال الكاتب البورسعيدي «**علي بركات**» إنها **مدينة المائة مسجد** قياساً على القاهرة ذات الألف مسجد، ونقول إن عدد المساجد الآن يفوق ما ذكره كاتبنا البورسعيدي، وهي مساجد بنيت بطراز معماري حديث في أماكن بين البحر الأبيض المتوسط وبحيرة المنزلة والقناة.

★ شاليهات ورحلات جماعية لشاطئ بور سعيد ★



الهوامش

(١) في عام ١٩١٣م، شرعت شركة القناة في إقامة أحواض وورش ومصانع على الساحل لخدمة الملاحة في القناة، فنشأت «بورفؤاد»، وفي عام ١٩٢٥م، فاوضت الشركة الحكومة المصرية لإنشاء المدينة وافتتحت رسمياً في عهد الملك فؤاد في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٦م، وأخذت في الاتساع متسمة بتخطيطها الجميل وحدائقها وأنديتها البحرية على ضفة القناة وتربطها ببورسعيد معدية تتنقل بين الشاطئ الإفريقي (بورسعيد)، والشاطئ الآسيوي (بورفؤاد).

(٢) كلمة (خديوي) فارسية معناها سيد، وقد منح السلطان عبد العزيز سلطان العثمانيين إسماعيل (باشا) والي مصر هذا اللقب، وظل استخدامه بمصر حتى سنة ١٩١٤م، حين أعلنت الحماية فأصبح لقب الحاكم الجديد (حسين كامل) سلطاناً.

(٣) تم تأميم القناة في ٢٦ يوليو (تموز) عام ١٩٥٦م، ووقع العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٦م.

(٤) (باشا) كلمة تركية من الكلمة الفارسية (بادشاه) تدل على أعلى الألقاب الرسمية التي كانت مستعملة في تركيا والبلاد القديمة، وقد ألغي بعد سقوط الخلفاء العثمانيين، وإلغاء ثورة ١٩٥٢م، للألقاب.

(٥) الأعمال الكاملة للشاعر ـ ص (١٣٣) ـ بيروت.

المراجع

(١) إنجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ ـ ١٩٥٦م، محمد مصطفى صفوت، التجارية، القاهرة.

(٢) تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة، إبراهيم عبده، القاهرة.

(٣) السخرة في حفر قناة السويس، عبد العزيز الشناوي، الإسكندرية.

(٤) العدوان الثلاثي على مصر، مجموعة (سلسلة اخترنا لك)، القاهرة.

(٥) عصر إسماعيل، عبد الرحمن الرافعي، القاهرة.

(٦) قناة السويس ومشكلاتها، بطرس غالي، القاهرة.

(٧) كفاح بورسعيد، محمود حسني سلطان، القاهرة.

(٨) مجلة بورسعيد الجديدة، العدد الأول، أغسطس (آب) ١٩٨٠م، «رئيسا التحرير: محمد أبو الشهود، وعلي بركات».

(٩) محافظة بورسعيد، علي عبده الزغبي، بورسعيد.

(١٠) مشكلة قناة السويس، أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة.

(١١) معجم البلدان لياقوت الحموي، بيروت.

(١٢) الموسوعة العربية الميسرة بإشراف غربال.

(١٣) وثائق ونصوص في التاريخ الحديث والمعاصر، عبد العزيز الشناوي وزميله، القاهرة.

(والبرنامج التلفزيوني: الرأي العام يسأل ـ حلقة أعدها وقدمها حلمي البلوك بلقاء مع السيد/ سيد سرحان محافظ بورسعيد في ١٢/١/١٩٨٣م).



المتحف الوطني الصيني (تايبيه)

★ مزهرية من البرونز ـ أسرة منج ★



★ إبريق من البورسلين ــ أسرة يوآن ★



★ إناء من البورسلين ــ أسرة سونج ★

كان الإمبراطور «تاي ـ نرو» محباً للفنون والآداب.. وخلال السنوات الأولى من حكم الإمبراطور شين لونج، أسست أكاديمية هانلين للفنون في عام ٩٦١م. وفي عام ٩٧٦م، خلفه أخوه تاي تسونج، الذي أخذ في البحث عن مأثورات الراحلين في مجالات الرسم والخط، فأمر اثنين من كبار أعوانه بأن يقطعا البلاد من أقصاها إلى أقصاها باحثين عن إبداعات الرسم والخط. وبعد أن حققا ما سألهما الإمبراطور إنفاذه قام الأخير بإنشاء متحف تاي ـ تشنج.

وفي العام التالي (٩٧٧م) جعل الجناح الملكي جزءً من مبنى الهيئة الحكومية المسؤولة عن الفنون والآداب. وفي ذلك الجناح عرض تاي تسونج مجموعة من الكتب النادرة والمخطوطات واللوحات والخطوط.

وخلال الفترة من ١١١٩م، إلى ١١٢٥م، ــ وأثناء حكم الإمبراطور هيو ــ تسونج ــ ازداد عدد القطع التي تضمها مجموعة المتحف، بحيث **بلغت كتالوجاتها عشرين مجلداً عن لوحات الرسم والخط، إلى جانب كتالوجات المقتنيات البرونزية**. بيد أنه مع عام ١١٢٦م، بدأت فترة تمرد **تشنج كانج**، وخلالها تبعثرت مقتنيات المتحف وشوهدت قطعه النادرة في أيدي العامة.

ومع هذا التاريخ أيضاً انتهت فترة حكم **أسرة سونج**

★ إناء من البرونز ــ القرن العاشر للميلاد ★





★ تميمة من الخزف ـ أسرة هان ★



▲ ★ مبخرة من البورسلين ـ أسرة شنج ★

الشمالية، وبدأت فترة حكم **أسرة سونج الجنوبية**، وكان أول أباطرتها **كاو ـ تسونج** (١١٢٧ ـ ١١٦٢م) الذي بدأ أعماله بالعكوف على إعادة جمع ما فقد من قطع المجموعة الأثرية. ولهذا السبب يرجع ختم بعض القطع بخاتم هذه الفترة برغم انتسابها أصلاً لفترة **أسرة سونج الشمالية**.

وفي عام ١٢٢٥م، سقطت مدينة **هانجشتاو**، عاصمة **سونج الجنوبية**، في أيدي **الغزاة المغول** (١٢٢٥ ـ ١٢٦٤م)، حيث أمر **يو ـ ين**، رئيس وزراء المغول، بنقل المجموعة الملكية إلى مدينة **باي ـ بنج**، عاصمة بلاد المغول. ومع حكم الأسرة الحاكمة التالية وجه إلى **سنج جنرال هسوتا** الاتهام بأنه نقل المجموعة كاملة إلى **نانكنج**.. العاصمة الجديدة. وعندها قام الإمبراطور **تشنج تزو** بإعادة العاصمة من **نانكنج** إلى **پايبنج** (١٤٠٣ ـ ١٤٢٤م)، وكذا إعادة المجموعة الملكية إلى الشمال مرة أخرى. ومع انتهاء حكم هذه الأسرة، في ١٤٢٤م، وقعت المجموعة كلها في أيدي **غزاة المانشو المنتصرين**

▼ ★ إناء.. نقشت عليه وحدات زخرفية متكررة ـ القرن التاسع قبل الميلاد ★



الـذين أسسـوا أسرة تشـنج الحاكمة .

أما الإمبراطور **كاو ـ تسنج** (١٧٣٦ ـ ١٧٩٥ م) ، فقـد كان محباً لجمع التراث ، كما أن وزراءه كانوا يهدونه قطعاً فنية أثرية ، فكان يسعد بها أيما سعادة .. وهكذا ازدادت المجموعة الملكية عدداً وثراء .

ومع تطبيق النظام الجمهوري على الصين الوطنية ، عام ١٩١٢ م ، استمر الإمبراطور **هنري پو ـ يي** مقيماً في قصر تشنج الملكي أو **المدينة المحظورة** . ثم فصلت ثلاث قاعات هي :

ـ قاعة تاي هو ، قاعة تشونج هو ، قاعة پاو ـ هو ، عن القصور الداخلية . ومن القاعات الثلاث هذه تكوّن **المتحف الصيني الوطني** ، الذي يطلق عليه أحياناً اسم « **مركز عرض الثروات الأثرية** » ثم أسندت مهمة الإشراف عليه إلى **وزارة الداخلية** .

وفي عام ١٩٢٤ م ، أُبعد الإمبراطور **هنري پو ـ لي** ، عن الإقامة في القصور الداخلية ، وشكلت لجنة متخصصة قامت بضم التحف الخاصة بأسرة **پايبنج** إلى مجموعة المتحف .

وفي يوم ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٢٥ م ، افتتح المتحف الوطني رسمياً في المدينة المحظورة وبعده فتح للجمهور .

حادث ١٨ سبتمبر (أيلول)

وهو التهديد الياباني بغزو منشوريا في عام ١٩٣١ م .

وفي مواجهة هذا التهديد اتخذت عدة إجراءات تكفل اتخاذ الحيطة لوقاية وحماية قطع المجموعة الأثرية التي تغطي حوالي عشرة قرون ، فتقرر الانتقال بالمجموعة تجاه الجنوب .. وتم تقسيم المجموعة إلى خمسة أقسام كبيرة تم نقلها ، في عام ١٩٣٣ م ، إلى **شنغهاي** . وبعد ثلاث سنوات فقط كانوا قد انتهوا من تشييد مبنى كبير مجهز كمستودع لتخزين قطع تلك المجموعة . ومن ثم انتقلت الشحنة ـ التي لا تقدر بمال ـ من شنغهاي إلى **نانكنج** . وفي شهر يوليو (تموز) ١٩٣٧ م ، **شن اليابانيون هجوماً كاسحاً على جسر ماركو پولو** الذي يقع خارج مدينة **پايبنج** مما اضطرت معه المجموعة إلى التزحزح إلى الداخل ، حيث تم ـ من جديد ـ تخزين الجزء الأكبر منها



★ مبخرة من النحاس ـ القرن الخامس عشر الميلادي ★



★ رسم على الحرير (مقاس ٦٦,٣ × ٤٨,١ سم) ــ أسرة منج ★

في مدينة **زتشوان**، والجزء الباقي في مدينة **كيوتشو**.

بعد الحرب العالمية الثانية

عادت المجموعة من الداخل إلى نانكنج، ومن ثم الغي المتحف الوطني في **بايبنج**. وفي شتاء عام ١٩٤٨م، ظهر تهديد جديد تمثل في خطر المد الشيوعي، فجرى ــ في عام ١٩٤٩م ــ تخزين القطع الفنية في **بايكو** بمنطقة **تايتشونج** بصفة مؤقتة.

وفي عام ١٩٦٥م، تم الانتهاء من بناء مبنى **متحف تشنج شان** بمدينة **شوانج هسي** بضاحية **تايبيه**.. ووضعت مجموعة المتحف المركزي تحت تصرف إدارة المتحف الصيني الوطني وتم إدخالها المبنى الجديد.

ثروة المتحف

في هذا المتحف عمليات دقيقة ومستمرة لتسجيل وتصنيف القطع الأثرية التي تضمها مجموعة المتحف.. وهي كما يلي:

● أولا: القطع الأثرية:

- قطع برونزية ٤٣٨٩
- قطع خزفية ٢٣٨٦٣
- منتجات الجيد ٤٦٣٦
- قطع من أخشاب اللاكيه ٤٥٩
- قطع زخرفية ١٨٧١
- أدوات الكتابة ٢٠٦٢
- قطع متنوعة ٢١١٣٥
- قطع حفر ٩٨
- هدايا خاصة وإضافات ٩١٤٦

الجموع (بالقطعة) ٦٧٦٥٩

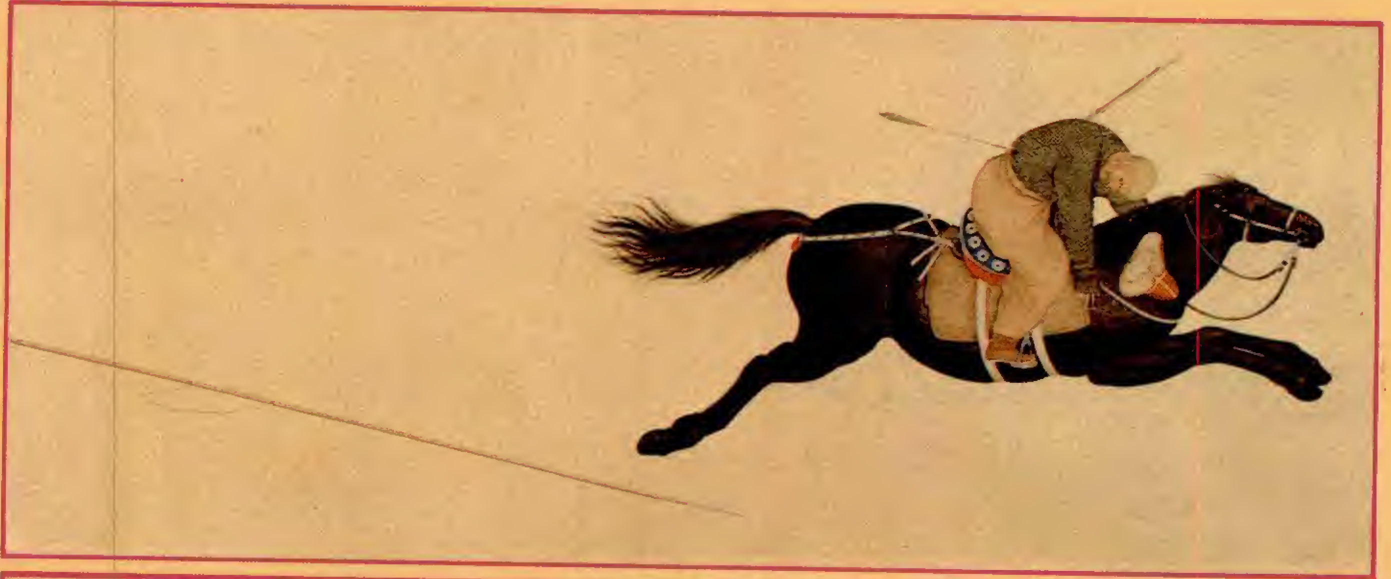
● ثانياً: لوحات الرسم والخط:

- لوحات خطوط ١٠٤١
- رسومات ومناظر جانبية ٤٠٩٩
- قطع حفر غائر ٣١٣
- مراوح مزخرفة ٢٩٦
- فخاريات وزخرفة ٢٥٤
- هدايا خاصة وإضافات ٢٦٦٤

المجموع ٨٦٦٧

● ثالثاً: الكتب والوثائق النادرة:

- كتب نادرة ١٤٧٩٢٤
- كتب بلغة المانشو أو اللغة المنغولية ٢٧٦٤





★ مطاردة العدو .. رسم على الورق ـ أسرة شنج ★

ـ وثائق	٣٩٣١٦٧
ـ هدايا خاصة	
وإضافات	٤٤٥٧
المجموع	٥٤٨٣١٢

وبذلك يكون المجموع الإجمالي للقطع (اللوحات والخزف والفخار وأدوات الكتابة والكتب والوثائق) هو **ستمائة وأربعة وعشرين ألفاً وستمائة وثمانية وثلاثين قطعة** (٦٢٤٦٣٨).

★ ★ ★

ذلك هو المتحف الوطني الصيني .. وقبل النهاية نود أن نلفت نظر القارئ إلى ما يأتي :

★ أولاً : إن السجلات والألبومات والكتالوجات التي وضعت لقطع تلك المجموعة الأثرية كانت ـ طول الوقت ـ بالغة الدقة والحرص على تسجيل كافة البيانات الخاصة بكل قطعة على حدة .. فنحن نعرف طول وعرض وارتفاع كل قطعة ـ ولو بالجزء المئوي من السنتيمتر ـ وكذلك المادة المصنوعة منها ، ووصفاً كاملاً لها ونبذة عن تاريخ صناعتها أو تاريخ ضمها إلى المجموعة الأثرية .

★ ثانياً : إننا نشهد ، بل ونكاد نلمس ، **وعياً شعبياً وحساً تراثياً واضحاً** صاحب تلك المجموعة الأثرية منذ بداية تجميعها في عام ٩٦١م ، أيام الإمبراطور شين لونج وحتى عامنا الحالي ١٩٨٦م .

إن هذا الحرص الشعبي بالتاريخ والتراث يكاد يكون شقيقاً توأماً للفنان الذي أبدع قطع المجموعة على توالي القرون وتعاقب الحكومات والعصور .

★ ثالثاً : إن حركة الأحداث التاريخية التي مرت ببلاد الصين كان لها أثرها الإيجابي على حركة المجموعة الأثرية الوطنية سواء في اتجاهها شمالا أو جنوباً بعكس اتجاه التهديد الأجنبي ، أو بالمكوث حيث هي في فترات الاستقرار .. ومن هذا يتضح أن الحرص على سلامة ذلك التراث لا يقل بحال عن حرص الحكومات المتتالية على سلامة أرواح المواطنين وممتلكاتهم .. بل وسلامة أراضي البلاد ذاتها .

عاطفة النفس

شعر: محمد سرور الصبان

جل الأسى وتتابعت زفراتي … ودنا المشيبُ فقلت حان مماتي

فكَّرْتُ ألتمسُ الخلاصَ بحيلةٍ … أين المفر من القضاء الآتي

يا أيها القدر المواتي إنني … بادي الضنَّا هلا تَرى نظراتي

أمنن عليَّ بساعةٍ أقضي بها … حقَّ البلاد وخُذ ربيعَ حياتي

إن كان في الأجل المقدّر فسحة … أو لا فإنك نافذ الرمياتِ

ما لي إليك وسيلة أرجو بها … نيل المرام فجدتُ بالعبراتِ

ويحي أيعترضُ القنوطُ عزيمتي … والحزمُ من طبعي ومن عاداتي

والدهرُ طوعي والزمانُ مصادقي … والصبرُ درعي والثباتُ قَناتي

فلقد أكرُّ على الخطوبِ فتنثني … جزعاً أمام مهندي وشباتي

وتمر بي شتى الحوادث خشعاً … ويصيبها خورٌ حيال ثباتي

لكنني فردٌ ولستُ بأمةٍ … مَنْ لي بمن يَصْغي لصوت شكاتي

مَنْ لي بشعبٍ نابغ مستيقظٍ … يسعى لهدم رذائل العاداتِ

مَنْ لي بشعبٍ عالم متنورٍ … ثبت الجنان وصادق العزماتِ

مَنْ لي بشعبٍ باسل متحمسٍ … حتى نقوم بأعظم النهضاتِ

مَنْ لي بشعبٍ لا يكل ولا يني … يسعى إلى العليا بكلِّ ثباتِ

إن البلاد بأهلها فبجهلهم … تَشْقَى وتَلْقى أعظم النكباتِ

وإذا توحَّدتِ الجهودُ لخيرها … سعدتْ ونالت أعظم الدرجاتِ

عن «شعراء الحجاز في العصر الحديث»

تعريب التعليم العالي والمصطلحات العلمية

بقلم : د. قاسم طه السارة

إن تعريب التعليم العالي والمصطلحات العلمية ضرورة لا بد منها لترسيخ العلم وبثه في المجتمع[١] . وقراءة سريعة في تاريخنا الحديث تؤكد لنا أن تعريب المصطلحات العلمية والتعليم الجامعي واكب أحداث النهضة العربية .

فـفي مصر ، شهدت البلاد في عهد محمد علي « ١٨٠٥ ـ ١٨٤٩ م » نهضة علمية وتنظيمية ، فقد كثرت في عهده المدارس والمعامل ، وأرسلت البعثات لتلقي العلم في أوروبا ، وكان يحتم على كل من يدخل في خدمته من الأجانب أن يتزيوا بالزي العربي المصري ، وأن يتعلموا اللغة العربية ويتكلموا بها ، ويؤلفوا بها ، أو ينقلوا كتبهم العلمية إليها[٢] ، [٣] . وتم في عهده تأسيس « مدرسة الألسن » عام ١٨٣٥ م ، ثم « غرفة الترجمة » عام ١٨٤١ م ، وتحوي قلم ترجمة كتب الرياضة ، وقلم لترجمة العلوم الطبية والطبيعية ، وقلم لترجمة كتب المواد الأدبية ، وقلم لترجمة الكتب التركية[٤] .

وكانت ترجمة الكتب العلمية تتم بطريقة دقيقة من ناحية الضبط العلمي ، وتكون في الوقت نفسه مستوفية حقها من الصحة اللغوية ، وذلك بعد أن عمل « محمد علي » على اختيار نخبة من رجال **الأزهر الشريف** ذوي الدراية بعلوم اللغة ، وتكليفهم بمراجعة النصوص المترجمة وتصحيحها وإعادة كتابتها بلغة سهلة وواضحة ، وكثيراً ما يجتمع المصححون من المترجمين لمناقشة عبارات الكتاب الواحد ، العبارة تلو الأخرى ، وفي مناقشتهم تلك يعمدون إلى الرجوع إلى الأصل الأجنبي ، وإلى ما بين أيديهم من معاجم قديمة حتى يتفقوا على الصورة النهائية . . . وبعد ذلك كله قد يُطلب من المترجم نفسه أو من مترجم غيره أن يعيد ترجمة النص العربي إلى اللغة الأجنبية ثانية ليطلع عليه الأستاذ الأجنبي المتخصص بتدريس المادة في كلية الطب ، فإذا وجد أن الأفكار سليمة ، وأن المترجم متفهم للعبارات ، أجاز تحرير النص العربي وطبعه[٥] . . .



ثم أصبحت الصورة أكثر بساطة بعد أن أمضى طلاب البعثات سنواتهم الأولى في **فرنسا** ، وتمكنوا من ناحية اللغة الفرنسية ، وأصبحوا قادرين على الترجمة بلغة عربية سليمة ، إذ كانوا جميعاً قبل إيفادهم طلبة في الأزهر الشريف . . . .

والحق أن محمد علي سارع بإرسال تعليماته إلى هؤلاء الطلاب يحثهم على ترجمة الكتب التي يدرسونها أولا بأول ، ويرسلونها مع الترجمة إلى مصر[٦] ، وفي نفس الوقت وزع محمد علي تعليمات مشابهة على ضباط الجيش المصري ، تطلب منهم حث طلاب السنة الثالثة من المدارس الحربية على ترجمة الأشياء المفيدة من اللغة الفرنسية إلى العربية[٧] .

وبلغ من كلف محمد علي بالترجمة إلى اللغة العربية حداً ، أنه عندما عاد طلاب البعثات من فرنسا إلى مصر ، لم ينتظر محمد علي وصولهم إلى العاصمة لمقابلته ، بل أصدر إليهم أوامره بترجمة بعض الكتب في الفترة التي كان عليهم أن يقضوها في المحجر الصحي في **الإسكندرية** . وبعد أن استقبلهم في ديوانه في **القلعة** ، أعطى كل منهم كتاباً باللغة الفرنسية في المادة التي درسها في أوروبا ، وطلب منه أن يترجم ذلك الكتاب إلى اللغة العربية ، وأمر بحجزهم في القلعة ، وألا يؤذن لأحد منهم بمغادرة القلعة حتى يتم ترجمة ما عهد إليه ترجمته[٨] .



ولعل خير تقييم لأعمال هؤلاء الرواد الأوائل في الترجمة والتصحيح والتحرير ما قاله الأستاذ **الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق** : «سلكوا في سبيلها ما يأخذ به المشتغلون باستعراب الطب اليوم ، أحيوا من مصطلح الطب العربي الإسلامي ما رأوه وافياً بالغرض ، واجتهدوا في وضع مقابل بالعربية لما جدّ من مصطلحات ، وأما ما لم يهتدوا فيه إلى لفظ عربي مناسب فلجؤوا فيه إلى التعريب ، ولم يمض عقدان من السنين حتى استعرب الطب في جميع أنحاء مصر استعراباً كاملاً ، وبلغ عدد ما ترجمه وألفه أساتذة هذه المدرسة ستة وسبعين كتاباً اشتملت على ألوف المصطلحات»[٩] .

وفي عام ١٨٤٩م ، **أنجز أول معجم عربي متخصص بالمصطلحات الطبية وهو «الشذور الذهبية بالمصطلحات الطبية»** بعد أن استمر العمل فيه قرابة ربع قرن من قبل فريق كبير من الأطباء وشيوخ الأزهر الشريف[١٠] .

في بيروت

وفي بيروت أسس الآباء البروتستانت «**الكلية السورية الإنجيلية**» ، وكان أول فروعها هو **مدرسة الآداب والعلوم** التي افتتحت عام ١٨٦٦م ، ثم **مدرسة الطب** التي افتتحت في عام ١٨٦٧م ، **ومدرسة الصيدلة** التي افتتحت في عام ١٨٧٦م[١١] . وكانت هذه الكليات تدرس المواد العلمية باللغة العربية ، وقد أسهم أساتذتها في نقل العلوم إلى اللغة العربية ولعل من أبرزهم **كورنيليوس فانديك** (١٨١٨م ـ ١٨٩٥م) ، الذي كتب باللغة العربية عشرين كتاباً في العلوم والفنون مثل «**أصول الباثولوجيا الداخلية**» ، «**أصول التشخيص الطبي**» ، «**أصول الكيمياء**» و«**الأصول الهندسية**» .

ويوحنا ورتبات (١٨٢٧ ـ ١٩٠٨م) ، **وعالي سميث**[١٢] . ثم سميت **بالجامعة الأميريكية** عام (١٩٢٠م) ، ومن الجامعة الأميركية تخرج كثير من رجال النهضة مثل **يعقوب صروف** (١٨٥٢ ـ ١٩٢٧م) ، الذي أسس مع زميله **فارس نمر** (١٨٥٦ ـ ١٩٥١م) ، مجلة (**المقتطف**) **وهي مجلة شهرية ، صدر العدد الأول منها في بيروت في مطلع أيار (مايو) عام ١٨٧٦م** ، وقد عُرِّفت من قبل هيئة التحرير في بيان أصدرته قبل صدور العدد الأول منها بأنها «لا تتطرق لشيء من المسائل الدينية ولا السياسية على الإطلاق بل تقتصر على المباحث العلمية»[١٣] . وانتقلت المجلة عام ١٨٨٥م ، إلى القاهرة ، واستمرت بالصدور حتى عام ١٩٥٣م .

وفي بيروت أيضاً أسس الآباء اليسوعيون «**جامعة القديس يوسف**» ، عام ١٨٧٥م ، وألحقوا بها «**مدرسة للطب**» ، عام ١٨٨٣م ، و«**مدرسة للصيدلة**» ، عام ١٨٨٨م ، ثم أصبح اسمها فيما بعد «**الجامعة اليسوعية**» ، وكانت تدرس جميع المواد الدراسية باللغة العربية[١٤] .

وفي بيروت أيضاً صدرت **مجلة «الجنان»** ، بين عامي ١٨٧٠ ـ ١٨٨٥م ، وعني مؤسسها «**بطرس البستاني**» ، بالبحوث العلمية .. ثم بدأ بإصدار «**دائرة معارف البستاني**» ، منذ عام ١٨٧٦م ، مجاراة «**لدائرة المعارف البريطانية**» ، التي صدر الجزء الأول منها عام ١٨٧١م ، وعندما توفي عام ١٨٨٣م ، تولى عدد من أفراد أسرته إتمام هذه المهمة ، ولعل آخرهم «**افرام البستاني**» ، الذي أصدر عام (١٩٥٤م) ، الأجزاء الأحد عشر من الموسوعة[١٥] .

في دمشق

أما في دمشق فقد بدأت «**المدرسة الطبية العربية**» ، بالتدريس باللغة العربية منذ اليوم الأول لتأسيسها عام ١٩١٩م ، وبدعم من الثوار العرب ، ثم انتقلت تسميتها إلى «**المعهد الطبي العربي**» ، وبعد ضم **مدرسة الحقوق** إليها عام ١٩٢٣م ، أصبح اسمها «**الجامعة السورية**» .. وباشرت باصدار مجلة خاصة بها تصدر كل شهر منذ عام ١٩٢٣م[١٦] .

كما كانت «رئاسة إدارة الصحة» في دمشق تصدر منذ عام ١٩١٩م ، مجلة أسبوعية تسمى «**مجلة الصحة العمومية**» ، وكان من النادر أن يخلو عدد من أعدادها من الدعوة الملحة لتعريب المصطلحات الطبية والعلمية .. ومنذ الأيام الأولى لقيام الحكومة العربية في دمشق ، تم إنشاء «**الشعبة الأولى للترجمة والتأليف**» ، التي لم تلبث أن تحولت إلى «**ديوان المعارف**» ، ثم إلى «**المجمع العلمي العربي**» ، عام ١٩١٩م . وقد أعلن المجمعيون في دمشق أهدافهم منذ اليوم الأول لاجتماعهم ، وكان على رأس تلك الأهداف : «تعريب ما ينقص العربية من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوروبية وتأليف ما تحتاج إليه الكتب المختلفة من المواضيع على نمط جديد»[١٧] .



وباشر المجمع منذ عام (١٩٢١ م) ، بإصدار «مجلة المجمع العلمي العربي» ، ثم تغير اسمها منذ عام ١٩٦٠ م ، إلى «**مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**» . وهي لا تزال تصدر بشكل فصلي إلى يومنا هذا ، وعلى صفحاتها نجد تعليقات المجمعيين العرب على شؤون التعريب ، والمصطلحات العلمية[١٧] . . . كما قام الأساتذة المجمعيون **مرشد خاطر ، أحمد حمدي الخياط ، صلاح الدين الكواكبي** بترجمة معجم المصطلحات الطبية **للدكتور كليرفيل** وتم إصداره عام ١٩٥٦ م ، وعلق عليه الأستاذ **الدكتور حسني سبح** على صفحات مجلة المجمع[١٧] . وفي السنة الماضية ١٩٨٥ م ، صدر العدد الأول من «**مجلة جامعة دمشق**» ، وهي مجلة فصلية تعنى بشؤون تعريب التعليم العالي ، ويقدم فيها **الدكتور صلاح يحياوي** زاوية خاصة للتعليق على مفردات «**المعجم الطبي الموحد**» .

المسألة الشائكة

لقد تم تأسيس مجمع اللغة العربية بدمشق كما ذكرنا عام ١٩١٩ م ، وفي القاهرة أنشئ **مجمع اللغة العربية** (فؤاد الأول سابقاً) ، في ١٩٣٢/١٢/١٣ م ، وباشر عمله في ١٩٣٤/١/٣٠ م[١٧] . وفي بغداد تأسس **المجمع العلمي العراقي** في ١٩٤٧/١١/٢٦ م . **وفي لبنان أسس مجمع علمي لبناني** في ١٩٢٨/٢/٢٠ م ، ثم ألغي بمرسوم جمهوري في ١٩٣٠/٢/٣ م ، بحجة التوفير على الخزينة[١٨] .

وبعد مباشرة المجامع أعمالها في الترجمة وفي التأليف ظهرت «المسألة الشائكة» ، التي أشار إليها **الأمير مصطفى الشهابي** في كتابه «**المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**» ، بقوله : «والمسألة الشائكة الوحيدة في موضوع المصطلح هي توحيده ، هي الإلزام به . . وهما يحتاجان حقاً إلى قرار ملزم تتولاه سلطة» .

ولحل هذه «المسألة الشائكة» ، تداعى أعضاء المجامع لتوحيد جهودهم ، وتم في شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٥٦ م ، انعقاد المجامع اللغوية العلمية (المصري والسوري والعراقي) ، في دمشق بناء على دعوة من قبل الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، (وكانت برئاسة **الدكتور طه حسين**) . ودعت كل مجمع لإرسال ثلاثة من أعضائه ، ودعت الدول العربية التي لا يوجد فيها مجمع إلى إيفاد مراقب عنها لحضور المؤتمر . . . وأكد المؤتمرون أنه «من الواجب المحتم إيجاد ألفاظ عربية لما اشتق من العلوم أو تفرع عنها» ، وتم تشكيل اتحاد المجامع اللغوية العربية . . . وتوالت اجتماعاته «وكانت رغبات السادة الأعضاء تلتقي حول العمل السريع لتوحيد المصطلحات العلمية ، ورأوا أن خير سبيل لتحقيق هذا الهدف هو أن تتبادل المجامع الثلاثة مقرراتها وأن يدرس كل مجمع ما انتهى إليه زملاؤه»[١٩] ، ثم أصبحت هذه الاجتماعات تعقد بشكل ندوات يستضيفها أحد الأقطار العربية . فعلى سبيل المثال ، اقترح الاتحاد ، الاتصال **بالمملكة المغربية** من أجل عقد ندوة للاتحاد في **الرباط** يكون موضوعها «**تعريب التعليم الجامعي في الربع الأخير من هذا القرن**» ، وذلك في جلسته المنعقدة في مبنى مجمع اللغة العربية بالقاهرة في ١٩٨٣/٢/٢٧ م ، وكحل مؤقت لهذه المسألة الشائكة ، فإن المجمعيين مثل الأستاذ الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق يرون أنه حتى يتم توحيد تلك المصطلحات لا بأس أن يلحق في ختام كل كتاب جامعي معجم لغوي صغير يتضمن المصطلحات[٢١] .

دور السلطة والمنظمات

يمكن للسلطة أن تلعب دوراً هاماً في إنجاح جهود المجامع العلمية العربية ، وذلك بالإلزام استخدام المفردات المعربة أثناء الدراسة . . . وخاصة الدراسة الجامعية . ففي سورية . . مثلاً . . أنشئت وزارة التعليم العالي عام ١٩٦٦ م ، وجاء في المرسوم ١٤٣ ، أن أهم أهدافها :

رابعاً : المحافظة على سلامة اللغة العربية والعمل على تقدمها لتفي بمطالب العلوم والفنون وملاءمتها لحاجات العصر .

خامساً : وضع المصطلحات العلمية وتحقيقها والعمل على توحيدها في البلاد العربية[٢٠] .

وهكذا فإن التعليم يتم باللغة العربية في الجامعات السورية الأربع وبكل فروعها بما فيها الدراسات العليا . . ويطبع في المطابع الجامعية تحت إشراف الجامعات كافة المقررات السنوية المدرسية بالإضافة إلى الدوريات المختلفة . . .[٢٠] .

تعريب التعليم العالي والمصطلحات العلمية

في تونس . . والكويت

وفي **تونس** أنشئ «**بيت الحكمة**» ، أو «**المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات**» ، وضمن هياكل هذه المؤسسة هناك هيكل يسمى «**المعهد الوطني للترجمة الأدبية والعلمية ووضع المصطلحات**» ، وتعتمد هذه المؤسسة على أعضاء المجلس العلمي وهم ٣١ عضواً من تونس و ٢٩ عضواً مراسلاً من خارج تونس[٢١] .

وفي **الكويت تقوم جامعة الكويت** بإصدار دوريات ذات مستوى علمي عال ، وتعنى باستخدام المصطلحات العلمية العربية . . .

كما يقوم «**المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت**» ، بإصدار دوريات لا تقل شأناً عما نجده في الدوريات الجامعية مثل مجلة «**الثقافة العالمية**» ، التي أنشئت لتقديم الجديد من تيارات الفكر العلمي في مختلف ميادين المعرفة ، وطريقها الذي اختارته هو الترجمة عن مختلف الدوريات العالمية ، وهي تصدر منذ عام ١٩٨١ م ، كل شهرين وسلسلة «**عالم المعرفة**» ، الذي جاوز عدد الكتب الصادرة منها المائة ، منها ٢٥ كتاباً مترجماً ومراجعاً بشكل جيد . . . ومن هذه السلسلة نجد (٢٧) موضوعاً علمياً . . .

وللمنظمات الدولية دور هام في ترويج تعريب المصطلحات العلمية . فهناك الكثير من الدوريات التي تصدر من مختلف مؤسسات منظمة جامعة الدول العربية ، ومنظمة الأمم المتحدة .

ولعل أهم شروط النشر في هذه الدوريات هي استخدام المصطلحات العلمية العربية المعتمدة من قبل «المعجم الطبي الموحد» ، الذي صدر

تحت إشراف «مجلس وزراء الصحة العرب»، «واتحاد الأطباء العرب»، «ومنظمة الصحة العالمية»، «والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم»، ووضع من قبل أعضاء «لجنة العمل الخاصة بالمصطلحات الطبية العربية في المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية بشرق البحر المتوسط»[٢٢].

وعلى صفحات هذه الدوريات نقرأ بين حين وآخر دعوات «عاجلة»، لعقد مؤتمر علمي عربي على مستوى القمة ـ السلطة ـ لإعادة النظر في لغة تدريس العلوم وتوحيد المصطلحات وإنشاء المركز العربي للتعريب والتأليف والترجمة والنشر، وإنشاء جامعة العرب للدراسات العليا والبحث العلمي[٢٣]. وإنشاء مراكز اتصال بين مراكز البحث العلمي في جميع الأقطار العربية[٢٤]. لا سيا أن هناك ٤٣ كلية طب في العالم العربي تدرِّس الطب باللغات الأجنبية المختلفة[٩].

وختاماً لهذه العجالة، نقول إن تعريب التعليم الجامعي والمصطلحات العلمية مشكلة قديمة متجددة تزداد أهميتها يوماً بعد يوم، وذلك بازدياد وعي الإنسان العربي لذاته، وللتحديات المحيطة به...

وعلى كل عربي أن يساهم في دفع عجلة التعريب للأمام من موقع عمله، وفي نطاق اختصاصه.. عليه أن يتحرى استخدام المصطلحات العربية الصحيحة في حياته العملية اليومية، وفي كتاباته ومراسلاته.

وعلى كل من يقف في موقع المسؤولية أن يشجع من استعمال المصطلحات العلمية العربية..

وعلى كل هيئة تحرير أن تشترط على مراسليها اعتماد المصطلحات العلمية العربية، وأن تعين لجنة خاصة من ذوي الدراية بالمصطلحات العلمية العربية لتصحيح ما يرد إليها من مواد علمية للنشر...

وليس بالكثير أن تتنادى مختلف وسائل الإعلام العربية لإعلان العام القادم ١٩٨٧م، عام «تعريب المصطلحات العلمية»، ليتم فيه جمع وترتيب وتنسيق ما تم إنجازه في هذا المجال في مختلف الأقطار العربية.



الهوامش

(١) الدكتور شاكر الفحام.. قضية المصطلح العلمي، وموقعه في نطاق تعريب التعليم الجامعي. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.. المجلد «٥٩» ـ الجزء (٤).

(٢) خير الدين الزركلي ـ الأعلام ـ طبعة ١٩٨٠م، الجزء (٦)، ص ٢٩٩.

(٣) الدكتور جمال الدين الشيال ـ تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ـ الطبعة الأولى ١٩٥١م ـ دار الفكر العربي ـ ص ٢٠.

(٤) الدكتور محمد فؤاد شكري والدكتور عبد المقصود العناني وسيد محمد خليل، بناء دولة مصر محمد علي (السياسة الداخلية)، الطبعة الأولى ١٩٤٨م، ص ٤٧، دار الفكر العربي.

(٥) الدكتور جمال الدين الشيال ـ تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ص ٢٠٧.

(٦) أمين سامي باشا ـ تقويم النيل وعصر محمد علي باشا ـ الطبعة الأولى ١٩٢٨م، الجزء (الثاني) ـ أحداث ٢١ ربيع الآخر ١٢٤٣هـ، الموافق ١٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٢٧م ـ ص ٤١٤، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٧) الدكتور جمال الدين الشيال ـ تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ص ٩٣ ـ الطبعة الأولى ١٩٥١م ـ دار الفكر العربي.

(٨) تقويم النيل وعصر محمد علي باشا ـ الطبعة الأولى ١٩٢٨م ـ الجزء (الثاني)، ص ٤٩٤، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٩) الدكتور حسني سبح ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المجلد «٦٠»، الجزء (الرابع)، ص ٦٥٠، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٥م.

(١٠) الدكتور جمال الدين الشيال ـ تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ـ الطبعة الأولى، ١٩٥١م، دار الفكر العربي، ص ١٩٠.

(١١) الدكتور حسني سبح ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المجلد «٤٤»، الجزءان (١، ٢)، ص ٦ ـ وما بعدها ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩م.

(١٢) محمد كرد علي ـ المعاصرون ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠م، ص ٣١٢ ـ ٣١٣.

(١٣) المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة في الوطن العربي، سلسلة «كتاب العربي الثقافي».

(١٤) الدكتور حسني سبح ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المجلد «٤٤»، الجزءان (١، ٢)، كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩م، ص ٦ ـ وما بعدها ـ.

(١٥) أنيس صائغ ـ مجلة حوار ـ العدد ٢١، آذار (مارس) ١٩٦٦م.

(١٦) الدكتور أحمد بدر الدين ـ المدارس الطبية في دمشق ـ المجلة الطبية العربية، العدد ٨٣، حزيران (يونيو) ١٩٨٤م، دمشق.

(١٧) الدكتور حسني سبح ـ مجلة اللغة العربية بدمشق ـ المجلد «٤٤»، الجزءان (١، ٢)، كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩م.

(١٨) محمد جميل بيهم ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المجلد «٤٤»، الجزءان (١، ٢).

(١٩) زاوية آراء وأنباء ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المجلد «٤٧»، الجزء (٣)، تموز (يوليو) ١٩٧٣م.

(٢٠) النشرة السنوية لوزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية، ١٩٨٣م ـ ١٩٨٤م.

(٢١) البشير بن سلامة ـ مجلة الفكر ـ السنة ٢٩، العدد ٤، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤م.

(٢٢) المعجم الطبي الموحد ـ دار طلاس بدمشق ـ ١٩٨٤م.

(٢٣) درويش مصطفى سنجار ـ مجلة الدوحة ـ العدد ٢٢، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧م.

(٢٤) مجلة شؤون عربية، آذار (مارس) ١٩٨٥م، ص ٢٥٧.

(٢٥) الدكتور أحمد بدر الدين ـ المدارس الطبية في دمشق، المجلة الطبية العربية بدمشق ـ عدد ٨٣، حزيران (يونيو) ١٩٨٤م.

☆ ☆ ☆

التربيــة العــربيــة

سنحاول من خلال دراستنا هـذه ، إلقـاء بعض الضـوء على المسـؤوليات الجـديدة الملقـاة على عـاتق الـتربية العربية ، لمواجهة تحديات العصر الـذي نعيشـه ، وذلك مـن خـلال الإجـابة على الأسئلة التالية :

- **ما العوامل الـتي مكنت الـتربية العربية من وضعها الراهن ؟**
- **ما التحديات التي تـواجه الـتربية في واقعنا العربـي ؟**
- **ما المسـؤوليات الجـديدة الملقـاة على عـاتق الـتربية لمواجهـة تحـديات العصر ؟**

(١) العوامل ووضع التربية الراهن

يمكننا حصر أهـم هـذه العـوامل في الحدود التالية :

(أ) النـزعة العلميـة في الـتربية : بدأت هذه الـنزعة في واقعنـا العربـي في **مصر** بعد أن تم تنظيم دراسة التربية في معهـد خـاص بها ، وكان ذلك عام ١٩٢٩ م ، بإنشاء **معهـد للتربية للمعلمين** الـذي تحـول فيما بعـد إلى **كلية للـتربية بجـامعة عـين شمس** عـام ١٩٧١ م ، وكانـت لـه إسهاماته الـواضحة في مجال التجريب بإنشاء الفصول التجريبية الملحقة به ، الـتي تحـولت منـذ عـام ١٩٣٥ م ، إلى مدارس نموذجية ، وكانـت بمثـابة مـراكز فعـالة لتدريب المعلمـين المتخـرجين في هـذا المعهـد بإشراف أساتذته على التجريب وابتكار أسـاليب جديدة في التربية ، وقـد تم تقـويم عمـل هـذه المدارس في مـؤتمر عقـد في الإسـكندرية عـام ١٩٥٨ م ، ونشرت أعمالـه في بحـث بعنـوان « **المدارس النموذجية في مصر** » .

(ب) الاتجـاه إلى تمهـين التعلـيم : واقترنت النزعة العلمية في التربية بـاتجاه يهـدف إلى تمهينها وتحويلها مـن كونهـا مجـرد حـرفة أو هواية تقوم على الممارسات التقليدية ، أو تسـتمد من نزعات شـخصية إلى أن تـكون مهنـة لهـا أصـولها ، وركائـزها ، وصـيغها ، ومحـدداتها ، وأساليبها ، وأهدافها .

(جـ) انفتـاح التعلـيم على المجتمـع : فقد تطور تعليمنا العربـي في عصرنـا الحـاضر ، بفعل المتغيرات المتـلاحقة الـتي مـيزت هـذا العصر ، والتي ألقت بمطالبها المتعـددة الأوجـه على كافـة المؤسسـات الاجتماعيـة والاقتصـادية والسياسية ، وكان لتفجر المعرفة وسرعة تـزايدها أثرها في مراجعة الجامعات لـوظائفها وعـلاقاتها بالمجتمع ، حيث لم تعد بـذلك المصـدر الـوحيد للمعرفة كما كانت في الماضي ، وإنما أصبح عليها فتح قنوات اتصال مع مؤسسات المجتمع المتعددة للإسهام في التـطوير الاجتماعـي مـن نـاحية ، ولتأكيد وتجديد ذاتها من ناحية أخرى .

وكان لهذه التطورات فعاليات مؤثرة بالنسبة لمكانة التربية ومسؤولياتها ، فقد **تحول التعليـم مـن الاهتمام بـالصفوة إلى الاهتمام بالكثرة ، حيث أخـذت الجـامعات تضـم الشباب من خلفيات اجتماعية واقتصادية متعددة ومتباينة** ، كما أخذت دوراً إيجابياً في إحداث التغير الاجتماعـي المستهـدف وفي تـطوير بنية المجتمع نحو الأحسن ؛ وكان هذا كله يعـني الحـاجة المتزايـدة إلى المعلمـين ، وإلى الارتفـاع بنوعياتهم ، وتوفير أسـباب إعـدادهم وتـأهيلهم علمياً ومهنياً ، وضمان مستويات كفاءاتهم .

(د) تحـديد أصـول الـتربية : وكان لتقدم الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتطورات التي شهدها واقعنـا العربـي في فـترة ما بين الحربين حـتى الآن مـن يقـظة ومقـاومة للاستعمار ، والمطالبة بممارسة حقوقه ، والسـيطرة على مقدرات ثرواته واستثمارها ، كل هذا وغـيره طرح على الـتربويين العـرب ، كما طـرح على غـيرهم مـن الاقتصـاديين والاجتماعيـين والسـياسيين ، قضـية المجتمـع في حـاضره ومستقبله ، وإمكانية التغيير على أسس مـن الضبط والتخطيط ، وسرعان ما تـأكدت للـتربية أسس فلسفية واجتماعيـة وثقـافية وأنـثروبولوجية ونفسية وتاريخية واقتصادية .

وهكـذا خرجت الـتربية مـن دائـرتها الضـيقة ، وأخـذت تـواجه في إطـارها الجديد مسائل كبرى مثل :

- ★ **ما دور التربية في التغير الثقـافي المستهدف ؟**
- ★ **مـا عـلاقة الـوسائل بـالأهداف الوطنية الكبرى ؟**
- ★ **مـا دور الـتربية في التنميـــة الاجتماعية والاقتصادية ؟**
- ★ **مـا عـلاقة التخـطيط الـتربوي بالتخطيط الوطني ؟**
- ★ **ما دور التربية في تحقيق التفاهم الدولي ؟**

(هـ) تنظيم دراسات الـتربية : وعلى ضوء هذا ، أخذت التربية تنظيمات مختلفة لتأخذ مكانها في الجـامعات ، وقـد ظهـر اتجـاهان أساسيان في ذلك : **اتجـاه تـكاملي** يجمـع فيـه الطالب بين الدراسة التخصصية في مجـال مـن

وتحديات العصر

بقلم : د. لطفي بركات أحمد

مجالات المعرفة مع الدراسة التربوية في المرحلة الجامعية الأولى . **واتجاه تتابعي** عندما تخصص للدراسة التربوية مرحلة زمنية محددة تأتي بعد انتهاء الطالب من الدراسة التخصصية في المرحلة الجامعية الأولى . والاتجاهان قائمان في جامعاتنا العربية .

(٢) التحديات التي تواجه التربية

ومن أمثلة هذه التحديات التي تواجه التربية في واقعنا العربي ما يأتي :

(أ) تمهين التخصصات في إعداد المعلم : وهي قضية نجد حولها آراء مختلفة ، إذ يبدو أن الجامعات بحكم قيامها على التخصص في المعرفة ترى أن الأساس في تكوين الطالب هو تحصيل معرفة متخصصة في مجال معين ، وسارت بالتبعية كليات التربية في هذا الاتجاه ، مما ينجم عنه صعوبات متعددة منها انفصال المادة العلمية التي يحصلها الطالب عن طريقة أدائها له وممارستها في مجال التطبيق ، فهو في تحصيلها واستيعابها يتعادل مع طلاب التخصص في هذه المادة ، ومنها أيضاً اعتماد التوجيه التربوي لهذه المادة العلمية ، وفي أكثر الأحيان على اجتهادات الطالب وهو أمر نادر الحدوث ، ومنها كذلك الاعتقاد الخاطئ باعتبار المواد التربوية مستقلة عن الإعداد العلمي للطالب ، فتبدو له كأنها إضافات تتطلب تحصيلاً أكثر مما تتطلب ممارسة .

(ب) تكييف برامج التربية لمطالب التنمية : على الرغم من التوسع الملحوظ في كليات التربية ، إلا أنها في كثير من الأحيان ، جاءت كلها مكررة في نمطها وبرامجها ، كما أنها لم توجه بقدر كاف للوفاء بمطالب التنمية الشاملة ، ومن ذلك أن مطالب التنمية الريفية والمناطق النوعية في البيئة العربية ، لا نجد ما يواجهها من برامج وإعداد في برامج هذه الكليات . وفضلاً عن ذلك ، فإن هذه البرامج لا زالت تقتصر في العديد من هذه الكليات على إعداد معلم التعليم العام ، دون إعداد معلم التعليم الفني والمهني ، الأمر الذي ينطوي على الإبقاء على الازدواجية والثنائية بين التعليمين ، ويقلل من كفاءة التعليم الفني والمهني ، رغم حاجة واقعنا العربي إلى الفنيين والأخصائيين والعمال المهرة .

(جـ) الافتقار إلى التجريب : فمن مظاهر النقص الواضحة في غالبية كليات التربية ، افتقارها إلى التجريب الذي يمكنها من تمحيص الآراء والأفكار التربوية في ضوئه وتوليد أفكار جديدة ، فلا زالت برامجها في غالبيتها تقتصر على النظر دون العمل ، وعلى الإدراك العقلي دون الإدراك الحسي دون أن تمتد لتشمل مشكلات الميدان ، والتصدي لها بأساليب علمية معروفة .

(٣) مسؤوليات التربية

وتتمثل هذه المسؤوليات الجديدة الملقاة على عاتق التربية في العديد من الأمور ، نخص منها بالذكر الأمور التالية :

(أ) دعم البحث والباحثين : فما زال البحث التربوي يأخذ طريقه ببطء ، وما زالت نتائجه مركونة لم تترجم إلى ممارسات تربوية ، وما زالت جهود الباحثين تبدو فردية متقطعة دون أن يضبطها خطة بحثية منسقة نابعة من احتياجات البيئة العربية ، ومشكلاتها وإمكاناتها المتاحة .

(ب) دعم المشاركة في التجديد التربوي : وما زالت هذه المشاركة بطيئة تبدو هامدة جامدة ، وليس أدل على ذلك من أن العديد من مشكلاتنا التعليمية ما زالت قائمة دون مواجهة للحد منها والتصدي لها ، فمشكلة **الأمية** قائمة ، ومشكلة **الثنائية** المصطنعة بين التعليم العام والتعليم الفني قائمة ، ومشكلة **التخطيط التربوي** وربطه بالتخطيط الوطني متعثرة ، ومشكلة الفاقد من التعليم الأساسي واضحة . . . إلخ .

(جـ) دعم مراكز البحوث : وهذه المراكز رغم لوائحها وتنظيماتها ، لا زالت تفتقر في العديد من كليات التربية إلى القوى البشرية المدربة ، والأجهزة التقنية المتطورة ، مما يستلزم الأمر مراجعة النظر في أمرها ، ومنحها العديد من الصلاحيات لتحقق المستهدف منها في تنمية المواطن والوطن .

(د) المشاركة في تطوير التعليم : ويمكن عن طريق البحوث التربوية الميدانية المشاركة بفعالية مؤثرة في تطوير التعليم والتصدي لمشكلاته ، والتحدي لمعوقاته ، والعمل على مواجهتها والحد منها ، وسبيل ذلك ، وضع خطط بحثية يراعى فيها الأولويات للوصول إلى المستهدف .



يا كوثراً

شعر: عبدالله عبدالعزيز بن إدريس

مـــاذا فَعَلْتُ بنهـــرٍ صـــاخبٍ جـــارِ
يـُثري ربيـــع حياتـي دفقـُهُ الجـــاري

يصـــبُّ في النفس أحـــلاماً مؤمِّلةً
تجلـــو الهمـــومَ وتـُطفي لهبةَ النـــارِ

ماذا فعلتُ بـــه؟ مـــا عـــاد مُنسربـــاً
لقـــد تحوَّل عـــن حقلي وعـــن داري

مـــا شئـــتُ أجعلُه حَبْساً لمنتجعـــي
بـــل شئتُ أجعلـــه رمـــزاً لإيثـــاري

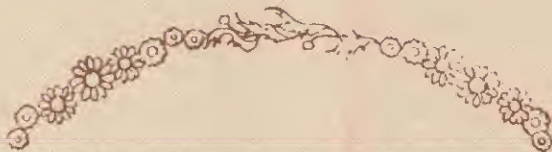
صرَّفتُه حسبما يهـــواه مـــن نُقلٍ
في كل منتجـــع أو كل مِعبـــارِ

يـــا نهرُ جـــدد على الأيـــام ـ في دَعَةٍ ـ
مســـار فيضـــكَ لا تخضـــع لتـــكرارِ

يا كوثـــراً مـــن رحيـــق الحبِّ منبعـــه
دوماً رعتـــكَ عيـــونُ الخـــالقِ البـــاري

أرنو إليـــكِ تعـــودُ اليـــومَ منـــطلقاً
تـُسْقي ـ على ظمـــأ ـ شـــوقي وإصـــحاري

أولا: فخذنـي في أحضـــانِ زورقنـــا
فمـــا أطيـــق بقـــاءً غـــير زخـَّارِ



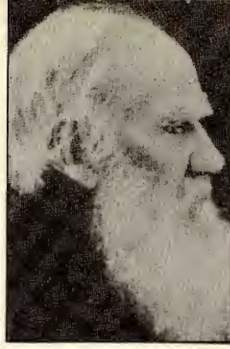
مفهوم الفن

بقلم : إبراهيم زكي خورشيد

عندما هممت بالحديث عن «مفهوم الفن» كنت مدركاً لما يكتنف هذا الموضوع من صعوبة ومشقة ، فليس من اليسير الخوض في بحار الفن الذي لا يحكمه منطق ، ولا يخضع لتجربة متواترة ، ولا يقاس بمقياس ثابت ، فالعبقرية أو الموهبة قبس من نور الله ، وهيهات أن تحيط بهذا النور سدود ولا قيود .

أجل ، لقد أحسست بهذه الصعوبة تزداد وتشتد كلما أمعنت في دراسة هذا الموضوع العسير ، واستعنت بالله سائلاً إياه جل جلاله أن يعينني على أن أثير مع القارئ مسائل عويصة ، وقديماً قالوا إن إثارة المسائل جزء من حلها . ويعزيني في هذا الصدد أن الناقد الفني الكبير (كلايف بل) قد عجز في كتابه الممتع عن الحضارة أن يعرفها بالوجوب ، فعرفها بالسلب ، إذ بدأ الفصل الأول من هذا الكتاب بالحديث عما ليس بحضارة .

ونحن إذا قسنا الفن بالعلم نجد أن دراسة العلم تتحصل بطريق مباشر مستقيم بسيط ، وليس هذا حالياً مع الفن ؛ وتقدم العلم أوضح وأبين من تقدم الفن ، فالعلم تتعاون عليه عقول كثيرة من جميع البشر ترقى به وتنهض . أما الفن فلا يعززه ذلك التعاون ، بل إن معظم النقاد ينكرون أن الفن يتقدم تقدماً مطرداً موصول الحلقات .



★ تولستوي ★



صحيح أن العنصر الاجتماعي واضح في جميع صور الفن ، وهذا العنصر أبرز وأظهر شأناً في الرقص والموسيقى مثلاً مما حدا بمدرسة من مدارس فلاسفة الجمال ، كمدرسة **تولستوي وجيو Guyau** ، إلى القول إن فيهما أصل طبيعة الفن نفسه وجوهره .

وبعد **فما هو مفهوم الفن ؟** إن أقصر تعريف وأوسعه هو قول فيلسوف العلم **فرانسيس بيكون** : « **الفن هو الإنسان مضافاً إليه الطبيعة** » ، ولا شك أن هذا التعريف يشمل جميع ما يبدعه الإنسان في نشاطه المتعدد الجوانب ، فالإحساس بالطبيعة وتأمل آيات الله في خلقه هو الموحي للإنسان بالإبداع في الفن .

وقد صاغ الفيلسوف **جون ستيوارت مل** هذا القول بعبارته المأثورة : « **في الفن يتحدث الإنسان بلغة الأمر ، وفي العلم بلغة التقرير** » ، وهذا المعنى على عمقه واضح ، فالفنان يفرض نفسه على الطبيعة ، أما العالم فيسجل فحسب مشاهداته عن الطبيعة . على أن تعريف ستيوارت مل يغفل ما لا يمكن إغفاله ، وهو **فكرة الجمال** ، وهنا يتطرق بنا الحديث إلى الفنون الجميلة ، وصفة الجميلة تدخلنا في تصور الجمال . وهناك تعريف جيد للفن الجميل وضعه **السير سيدني كولفن** فقال : « **الفن الجميل هو كل شيء صنعه الإنسان على نحو آثره على نحو آخر ، حراً وبتدبير سابق ليعبر أو يثير وجداناً مستجيباً لحركة أو قول موزون أو رسم منتظم ينتهي منه إلى نتائج مستقلة عن المنفعة المباشرة ، ويزود الإنسان بمتعة دائمة تطلب لذاتها** » .

ويتميز هذا التعريف الذي ساقه كولفن في حدود أسطر معدودات ، بأنه شامل متزن يتناول جميع النواحي التي تختلف فيها المدارس الفنية وتتجادل ، كما أنه كان حكيماً في إغفاله فكرة « المطلق » لأنها أعسر من أن نجد لها تعريفاً محدداً يرضى عنه الجميع .

بين الفن والعلم

والفن بُعد حر ، فهو ليس كالعلم تحكمه مقاييس صارمة في خضوعه للتجربة المطردة والمقاييس الثابتة ، والعلم لا وطن له ، فكل إنسان في هذا العالم يقول إن خمسة مضروبة في خمسة تساوي خمسة وعشرين ، يستوي في هذا المصري والأوروبي والأميريكي والصيني والياباني ، أما الفن فله وطن . صحيح أن العلم والفن يستلهمان العقل الجماعي ، ذلك أن حياتيهما ، تشبه حيواتنا جميعاً ، من فعل الماضي الذي يتحدث من خلالهما سواء كانا على وعي بذلك أو كانا لا يعيانه ، وهما يتأثران بظروف العصر الذي يعيشان فيه والبيئة التي تكتنفهما ويعملان في ظلهما . على أن الفنان لا يتملكه إلا خياله المباشر ، فهو لا يستطيع إلا أن يعبر أو يبدع شيئاً ماثلاً أمامه مثول العيان ، وهو وقت الإبداع لا يحس بالتطور التاريخي أو البيئة الاجتماعية ، أو أثر الغير فيه ، أما الأمر فمختلف بالنسبة للعالم أو من يمارس العلم ، ذلك أن الواجب يقتضيه لأول وهلة أن يتعرف على ما فكر فيه أو صنعه غيره في المسألة التي يعرض لها ، ثم يبني على ما فعله هذا الغير .

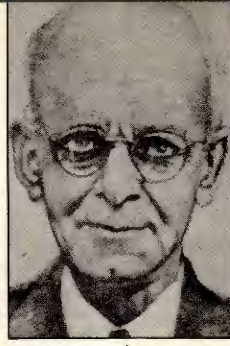
على أن الفن مرتبط بالعلم في النواحي المادية ، ويتمثل هذا بصفة خاصة في العمارة فهي قد اعتمدت في جميع العصور على فكرة « **المنفعة** » ، وعلى الضد من ذلك فن الشعر ، فهو بعيد كل البعد عن المادة أو المنفعة ؛ إلا أن التصوير مثلاً قد أفاد من العلم فائدة كبيرة فصناعة الألوان قد تطورت كما تطورت الطباعة فأصبح المرء لا يستطيع أن يزين بيته بنسخ متقنة من روائع ما خطته ريشة أكابر المصورين ، وكذلك الموسيقى فقد تقدمت صناعة الآلات الموسيقية ، وأصبحنا نسمع الأغاني والمقطوعات الموسيقية والسيمفونيات وما إليها بعد تلحينها بوقت قصير بفضل الإذاعة والتلفزيون .

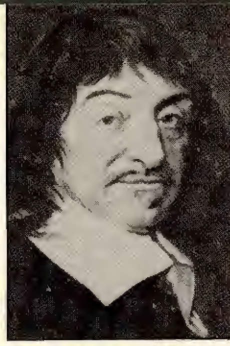
والفن والعلم يشتركان في غرض بعيد هو أن كلاً منهما يسعى إلى غرض فلسفي هو الحق والخير والجمال ، ولا ريب أن الحق والجمال يرتبط بعضهما ببعض برباط وثيق ، ذلك أنهما يعملان على أساس من صعيد واحد هو الكون المادي ، وهما يكمنان في صميم الروح التي تسعى جاهدة إلى تحقيق عالم أفضل وأجمل .

والفن ذاتي وشخصي ، وهل خلق الله إنساناً يشبه الآخر تمام الشبه أو يماثله كل المماثلة ، هيهات ! فلو كان الأمر على غير ذلك لبطل الإبداع ولجمدت صور الفن على أشكال ثابتة لا تتغير ولا تتحول ، وقد عبَّر عن ذلك الشاعر المبدع **إيليا أبو ماضي** في **طلاسمه** إذ يقول :

ربّ قبح عند زيد	هو حسن عند بكر
فهما ضدان فيه	وهو وهم عند عَمْر
فمن الصادق فيما	يدعيه ليت شعري
ولماذا ليس للحُسْن	قياس لست أدري
قد رأيت الحسن يُنسى	مثلما تنسى العيوب
وطلوع الشمس يُرجى	مثلما يُرجى الغروب


★ فرانسيس بيكون ★


★ إيليا أبو ماضي ★


★ ديكارت ★

وهنا يجرنا أيضاً إلى القول إن الفن يصور القبح ، فهو يصوره في صورة جميلة صادقة !! ذلك أن البحث في الجمال أصبح داخلاً في فلسفة القيم ، ويحق للفيلسوف اليوم أن يسأل عن القبح ، وهل تعنى فلسفة الجمال بالقبح قدر عنايتها بدراسة الجمال . الحق أنه إذا كان القبح قيمة إيجابية وهدفاً يسعى الفنان إلى تحقيقه فلم لا يدخل القبح قيمة في فلسفة الجمال ؟ على أن القبح لا يعد قيمة جمالية إلا إذا فسر القبح على أنه تحقيق لشروط معينة يتطلبها العمل الفني . وقديماً كان شيخ الفلاسفة سقراط يتباهى بعينيه الجاحظتين وفطس أنفه وكبره ، مدعياً أن هذه الصفات لا تمت للقبح بأي صلة ، بل هي صفات الجمال بعينه !! فهي تجعله أحدَّ بصراً وأقوى شماً .

نشأة الفن

وإذا رجعنا إلى نشأة الفن نجد أن السمع والبصر أداتان هامتان من أدوات الفن يشترك فيهما الحيوان والإنسان ، إلا أن الإنسان يتميز عن الحيوان بالعقل والإحساس بالجمال ، بل إن الإنسان يريد أن يجمل حياته ، وقد اشترك السمع والبصر مع نمو الجهاز العصبي والعضلي لدى الإنسان الأول فجعل منه ذلك صانعاً وبدت عليه إرهاصات الفن . فقد خلف لنا إنسان العصر الحجري القديم تراثاً رائعاً يعبر بالألوان والخطوط عما رآه حوله من حياة الحيوان خاصة وهذه النزعة التي حدت به إلى التعبير عن أفكاره بالصور ، وتزيين كهفه وسلاحه أو لباسه سمة من سمات إنسان هذا العصر .

ثم مضت السنون وجاء العصر الحجري الحديث فاتخذت الحاسة الفنية صورة الزخرفة فحسب مما نجده متواتراً في الرسوم التي حلّى بها إنسان هذا العصر سلاحه وأدواته ، ومن ثم أصبحت فكرة الجمال ظاهرة في أضيق الحدود ، فهو قد جمع في صنع هذه الأدوات بين الجمال والفائدة . ومن ثم فلا نعجب إذ نرى بعض الفنانين المحدثين يريدون أن يرتدوا بفنهم إلى الفطرة السليمة الأولى .

وانقضى هذا العصر وجاء **المصريون** بحضارتهم التليدة ، فأقاموا لملوكهم القصور الفخمة ، والتماثيل الضخمة ، والنقوش الملونة العجيبة التي تضاهي أحدث ما بلغه العصر الحاضر في ميدان العمارة والنقوش والرسوم ، ولهم إلى ذلك آيات في الأثاث يقلدها الناس حتى اليوم .

وحلت أيام **الإغريق** فاستطاعوا بعبقريتهم في العلم والفن والفلسفة أن يبدعوا في هذه الميادين جميعاً روائع وروائع ما زال أهل الغرب يتأثرونها حتى الوقت الحاضر ، وقد ظهرت على يدهم لأول مرة في التاريخ فكرة الجمال المطلق في الخطوط والشكل وخاصة في جسم الإنسان ، فلهم في العمارة والشعر والتماثيل والمسرحيات بدائع وبدائع .

ثم لحقت بالعالم نكسة في الفن على يد **الرومان** ، فقد كانوا مقلدين للإغريق ، ثم إنهم كانوا يضيقون ذرعاً بالشخصية التي لا يقوم الفن إلا بها ، ذلك أنهم كانوا منهمكين إنهاكاً شديداً في حكم غيرهم من الشعوب وجمع المال ، فلم يتسع وقتهم كثيراً لارتياد تلك الرياضات الروحية أو الفنية التي رأوا أنه « لا غناء فيها ولا طائل من ورائها » ، فقد كانت الإمبراطورية الرومانية في حاجة إلى جنود كفاة وتجار مقتدرين ، ومن ثم تركوا الفن للأجانب .

وظهر بعد فن جديد ، في **إيطاليا** خاصة في فجر عصر النهضة ، تختلف مصادره بين الشرق والشمال وإيطاليا نفسها . وقد استخدمت روح الشمال إحساساً أعمق بالطبيعة ، وتعبيراً أمعن في الذات ، وقواعد جديدة في الإنشاء كان لها شأن كبير في **الفن القوطي** ، وامتزجت هذه العناصر جميعاً امتزاجاً تاماً ، فلم نعد نقول إن ثمة فنوناً قومية بارزة في الغرب ، ذلك أن النمط والأشكال انتشرت وامتزجت في كل بلد .

علم الجمال الحديث

على أن هذه البوتقة التي انصهرت فيها المؤثرات جميعاً ابتعثت منها أشكال جديدة وتفاعلت فيها عناصر جديدة ، وإذا شئنا أن نضع هذه المؤثرات والعناصر في الميزان فإن الأمر يقتضينا أن نرجع إلى منحى جديد في الفكر يحكي عصر النهضة ، والعَلَم الذي اقترن اسمه بهذا الاتجاه الفكري هو **ديكارت** ، **فقد كان له أثر في الفلسفة العامة ، وأثر لا يقل عنه إن لم يزد في الفن وفلسفة الفن ، آذن بمولد علم الجمال الحديث** .

وهذا المولد كان الثمرة المباشرة لعاملين : **الأول** يرجع إلى ديكارت ، **والثاني** يرجع إلى الاكتشافات في عالم الآثار القديمة ، ذلك أن هذه الاكتشافات قد أزاحت الستار في القرن التالي لوفاة ديكارت سنة ١٦٥٠ م ، عن حشد من آثار الفن الرائعة في **اليونان** القديمة . وألهبت هذه الروائع حماسة **وينكلمان** وجعلت رؤيته تمتد إلى مبادئ الإنتاج الفني وطبيعة الجمال واتفقت هذه الرؤية مع الفلسفة المثالية الجديدة التي أثارها كتاب ديكارت « **مقالات في المنهج** » ، ذلك أن هذه الفلسفة



★ كانت ★



اقتضتنا أن نفكر في العلة التي جعلتنا نقول إن روائع تلك الآثار جميلة ؟ وكان **بومجارتن** أول من حاول الإجابة عن هذه الفلسفة إجابة فلسفية ، وإليه يدين **كانت** بالفضل .

وبين مولد ديكارت سنة ١٥٩٦ م ، ووفاة الفيلسوف **ليبنتز** سنة ١٧١٦ م ، ازدهرت الأوبرا في **فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإنجلترا** . وقد بدرت في خلال فلسفة ليبنتز ملاحظات وجيهة عن طبيعة الموسيقى تتمشى تماماً مع الفلسفة الجمالية التي أقام صرحها (كانت) . ومنها قول ليبنتز « **الموسيقى حساب يقوم به العقل من غير أن يعرف أنه يحسب** » ، أي أن العقل يعمل بلا وعي تحت سلطان الشعور . وصاغ فرنسي حديث هذه العبارة صياغة موفقة فقال : **إن الموسيقى «تفكير بالصوت»** .

والحق أن **القرن الثامن عشر الميلادي** كان قرناً يموج بالأحداث المثيرة ويضطرم بالمشاعر الفائرة ، وكان علم أعلامه الفيلسوف الألماني (كانت) برسالته الجمالية الفذة « **نقد ملكة الحكم** » ، ذلك **أن (كانت) جعل محور فلسفته الوعي الجمالي** فهو يجعله يتوسط بين العقل الخاص ومجال الإرادة أو الرغبة ، ويتضمن في جوهره عنصر اللذة يلتقي عندها الحس بالعقل . فاللذة روحية لا تشوبها شائبة من المنفعة الذاتية ، والجمال هو تعبير للعقل في قالب حسي ، وبلوغ الجمال متعة ذاتية ولكنها متاحة لجميع الناس بمقدار نموهم الجمالي .

ومن أسف أن هذه الفلسفة الجمالية الرقيقة التي جاء بها (كانت) قد اقترنت ببداية **عصر الآلة البخارية** وإحلال الآلات محل العمال ، وهذا الاقتران المشؤوم جعل النقاد يقولون إن الناس بدأوا يفكرون بعمق في طبيعة الفن وإذا بهم ينصرفون عن حبه حباً حقيقياً وأخذت الحضارة الآلية تسيطر على العالم .

وهذا مشاهد في جميع مناحي الفن فقد فتنت العقول بالعلم وتطبيقاته ، وأخذت أفكار الناس وثروتهم وطاقاتهم تنصرف إلى تنمية العلم وتطبيقاته وتنمية التجارة وتعليم الجماهير ، وقلت عنايتهم ، وخاصة في المائتي سنة الأخيرة ، بالاستمتاع بالأشياء الجميلة .

صحيح أن الحضارة الآلية قد نفعت الفن من ناحية ، فقد أشاعت بين الناس صور روائع الفن من تصوير ونحت وعمارة ، كما أن رقي أسباب الاتصال من إذاعة وتلفزيون وخلافه قد أتاح للناس سماع روائع الموسيقى وروائع الشعر وروائع المسرحيات ، ولكن ترى أتكون الصورة في روائع التصوير مثلاً ، كالأصل ؟

ولكن أيدعو ذلك إلى اليأس ؟ نقول ألا يأس مع الحياة ، ويمكن حل هذه المعضلة بالتعليم والثقافة وخصوصاً مع شيوع الديمقراطية التي تريد أن تعلم الشعب كله وترفع مستوى الجماهير جميعاً . وهذه المشكلة يجب أن نتكاتف جميعاً على حلها بحيث نستطيع أن نوازن موازنة منصفة بين العلم والفن .

وصفوة القول إن الفن هو ما يثير فينا إحساسات جمالية وانفعالات وجدانية ، ولا بد في الشعر مثلاً من توافر خصائص هي الوجدان في مضمونه ، والصور البيانية في تعبيره ، وموسيقى اللغة في وزنه .

والتعبير أصل من الأصول في جميع الفنون ، وشاهد على ذلك أن كلاً منا يستطيع أن يقول مثلاً إن حبيبتي جميلة ، ولكن انظر إلى **عمر بن أبي ربيعة** فهو لا يكتفي بهذا التقرير البسيط ، بل تراه قد أبدع حواراً عبَّر فيه عن جمال حبيبته بغيرة جاراتها منها وعن الحسد الذي يضمرنه لها حين توصف جارتهن بالجمال ويتدله في حبها شاعر ، كما أفصح عن خبرته بالنفوس وخاصة نفوس النساء :

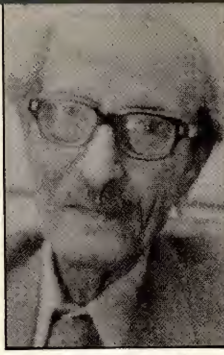
ولقد قالت لجارات لها	ذات يوم وتعرت تبترد
أكما ينعتني تبصرنني	عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقلن لها	حسن في كل عين من تود
حسداً حملنه من أجلها	وقديماً كان في الناس حسد

أرسطو والمحاكاة

ولا مناص من أن نعرض هنا لمذهب أرسطو الذي ساد الفلسفة الفنية القديمة ، **إذ هو قد أرجع الفنون جميعاً إلى المحاكاة** ، أي محاكاة الطبيعة وواقع الحياة ، والفهم الصحيح لنظرية المحاكاة لا يتعارض مع الخلق والإبداع ، ذلك أن أرسطو أو غيره من المفكرين القدماء والمحدثين ، لم يقصد إلى القول إن المحاكاة الفنية نقل آلي أو شبه آلي عن الطبيعة أو الحياة ، وإنما الفنان ينقل عن الصورة التي تنعكس في نفسه عن بعض مشاهد الطبيعة أو الحياة ، بل إن أرسطو يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول **إن المحاكاة كثيراً ما تكون محاكاة لما يمكن أن يكون أو لما يجب أن تكون ، ولا تقتصر على ما هو كائن** .

وقد تقيد **الكلاسيكيون** بنظرية أرسطو في الفن ، **ثم جاءت الرومانسية فتمردت على مذهب هؤلاء وعلى فلسفة أرسطو**


★ أرسطو ★


★ ميخائيل نعيمة ★


★ بودلير ★

فجعلت أساس الفن التعبير لا المحاكاة ، والتعبير أقرب إلى معنى الكلمة اليونانية Poetica التي اشتقت منها جميع اللغات الأوروبية ، وهي تفيد معنى الخلق والإبداع .

ويدخل في هذا التعبير بالصورة وليس بالتعبير المباشر كقول المجنون :

كأن القلب ليلة قيل يُغدى ... بليلى العامرية أو يراحُ
قطاة عزّها شرك فباتت ... تعالجه وقد علق الجناحُ

وهذا ما نسميه أيضاً بالتعبير الرمزي ، أي تفضيل الصورة دائماً والإيحاء بدلا من الإفصاح والبيان اللذين تميل إليهما الكلاسيكية .

على أن الرمز يجب ألا يسرف في الغموض وإلا فقد مدلوله ، ثم إن الفن القائم على التعبير الذي يفضح مكنون الفنان قد تفرغ منه الفن الذي يعبر عن الوجدان الجماعي ، مثال ذلك القصيدة التي عبر بها **ميخائيل نعيمة** أبلغ تعبير عن خيبة الأمل التي أصابت العالم العربي عندما تنكر له الحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى وغدروا به :

أخي إن ضج بعد الحرب غربيّ بأعماله
وقدّس ذكر من ماتوا وعظّم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلي بقلب خاشع دامي
لنبكي حظ موتانا

أخي إن عاد بعد الحرب جندي لأوطانه
وألقى جسمه المنهوك في أحضان خلانه
فلا تطلب إذا ما عدت للأوطان خلانا
لأن الجوع لم يترك لنا صحباً نناجيهم
سوى أشباح موتانا

المضمون والصورة

وتطور مفهوم الفنون من بعد فأصبح يقوم على المضمون والصورة ، أي المادة الأولية التي يصبها الفنان في أثره الفني والصورة التي يبني عليها هذا الأثر .

على أن الأمر يقتضينا هنا أن نتحدث في إجمال عن فلسفة الجمال ومفهومه ، فهو داخل أساساً في الفنون الجميلة ، **وفلسفة الجمال فلسفة حديثة ، وهي تخضع جميع الفنون لفلسفات جمالية مختلفة ، كما تربط بين الفنون جميعاً بوشائج وأواصر** وأخذت بعد تحاول أن ترسم لكل فن مجالاته الخاصة ، وتبحث في مضمون كل فن وصورة . ففي **العصور القدمية** كانت الأشياء الجميلة دون سواها هي موضوع الفنون الجميلة جميعاً ، لكن **التفكير الحديث** أخذ يفند هذه النظرية ، فيرى أن الأشياء القبيحة قد تصلح ، كما أسلفنا ، لأن تكون موضوعاً للفن الجميل ، فنحن نطرب لرؤية هذه الأشياء القبيحة مصورة أو معبراً عنها بفن من هذه الفنون ، على أننا لا نطرب لرؤيتها في الطبيعة .

وثمة قضية أخرى أثارها الناقد الألماني الكبير **لسنج** في كتابه « **لاوكون** » وهي أن لكل فن مجاله ، ولا ينبغي أن يعدو فن على فن آخر ، **ونخرج من ذلك بأن للفن التشكيلي لمحة في المكان ، أما الفن الشعري فله لمحات في الزمن** ، ذلك أن المصور أو النحات لا يستطيع أن يلتقط بفنه غير وضع واحد لموضوعه ، أي لمحة واحدة في المكان ، أما الشاعر فيستطيع أن يصور بفنه عدة أوضاع متلاحقه للموصوف ، ويتمثل ذلك بأجلى بيان في أبيات ابن الرومي المشهورة :

ما أنسى لا أنسى خبازاً مررت به
يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة
في لجة الماء يلقى فيه بالحجر

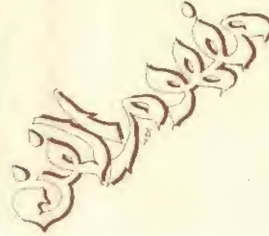
والظاهر أن مجال كل فن قد تحدد الآن إلى حد كبير ، فلم يعد يقال إن الشعر رسم ناطق ، والرسم شعر صامت ، فالشاعر لم يعد يطمح إلى تجسيم الموضوعات كما يريد أنصار الفن للفن ، بل أخذ يعبر عن وقع الموصوفات في نفسه وتفاعلها مع وجدانه حتى لكأن الوصف أصبح ضرباً من شعر الوجدان لا ضرباً من المحاكاة الجمالية ، وقد ذهب بعض الشعراء إلى حد الفناء في الطبيعة مما حدا **ببودلير** أن يقول « **إن الأشياء تفكر من خلالي ، كما أفكر من خلالها** » .

ونتطرق من هنا إلى **شعر الحكمة** والتأمل الذي نبغ فيه القدماء ، على أن هذا الشعر قد تطور في كثير من الأحيان إلى التأمل الوجداني والاستيطان الذاتي :

وخير مثال لذلك ما قاله الشاعر الحديث **عبد الرحمن شكري** :



★ عبد الرحمن شكري ★



يحوطني منك بحر لست أعرفه
ومَهْمَهٌ لست أدري ما أقاصيه
أقضي حياتي بنفس لست أعرفها
وحولي الكون لم تدرك مجاليه
يا ليت لي نظرة للغيب تسعدني
لعل فيه ضياء الحق يبديه
أخال أني غريب وهو لي سكن
خاب الغريب الذي يرجو تقاصيه

وكقول العقاد :

لا زمان إذ قابلتني — فإذا فارقتني كان الزمان

التوافق والإيقاع

ويسوقنا هذا كله إلى ما يقال من **أن الفن يقوم على الإيقاع والتوافق ، والإيقاع** هو الترديد المتواصل لنظام معين ، **والتوافق** هو انسجام هذا الترديد في أثناء استمراره واتصاله . ولعل هذا يتجلى بأجلى بيان في لوحة **ديجا** الفنية لراقصات الباليه ، فقد حول فيها الإيقاع الذي يعتمد على البصر إلى إيقاع دائم يتمثل في اتجاهات الأذرع والأرجل والأقدام ، والملابس ، وبقية عناصر اللوحة في انسجام وتوافق موسيقي رائع .

الجمال والتذوق

ونتطرق من ذلك إلى ماهية الجمال والتذوق ، فالجمال ظاهرة من ظواهر الطبيعة ، ولكن جمال الطبيعة لا يكتسب صفة الجمال إلا من خلال عين الفنان المدربة ، والفن هو وسيلة الإنسان للتعبير عن الجمال . **ومن الأقوال المأثورة بأن فلسفة الجمال لم تنشأ إلا بعد أن اكتمل التصور الواضح للخيال الفني** ، والحق أنه ليس ثمة فلسفة واحدة للجمال ، بل فلسفات كثيرة ، كما اختلف مفهوم الجمال من حضارة إلى أخرى .

والفن يقوم على السمع والبصر ثم الخيال ، وجميع الفنون تقوم على هاتين الحاستين ، فالموسيقى والشعر يعتمدان على الإحساسات الصوتية ، أما الرسم والتصوير والنحت فتقوم أساساً على حاسة البصر . والخبرة الجمالية لا تقوم على الإدراك الحسي فحسب ، بل تقوم أيضاً على عوامل أخرى أهمها الجانب الوجداني الذي يهز عاطفة الإنسان وعواطفه ، والفكرة العقلية لا تتحقق في الفن إلا بالخيال ، وقد ذهب بعض الفلاسفة إلى القول باندماج ذات الإنسان بموضوع الإدراك الفني ، وسميت هذه الخبرة بالتعاطف أو المشاركة الرمزية .

أما الذوق فمعاييره ليست خاصة بصاحب الخبرة وحده ، وإنما هي خلاصة تجربة أعم وأشمل هي تجربة المجتمع والتاريخ .

وتتعدد في الفن الرؤى ولا توجد في الفن حقيقة عامة مشتركة .

انظر إلى قول **شوقي** في رثاء سعد زغلول :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها — انحنى الشرق عليها فبكاها

أو قول الشاعر في صدق مبدع ورؤية عجيبة :

ما لعيني عشيت بالنظر — أنكرت بعدك ضوء القمر

أو قول شاعر آخر :

هل من نظرة إليك سبيل — فيبل الصدى ويشفى العليل
إن ما قل عندك يكثر عندي — وكثير ممن تحب القليل

ومن ذلك قول آخر :

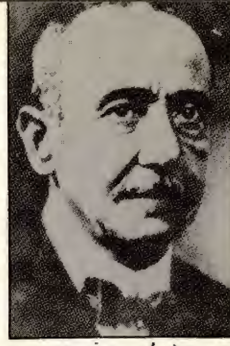
أغار عليك من عيني رقيبي — ومن عيني وعينك والزمان
ولو أني وضعتك في عيوني — إلى يوم القيامة ما كفاني

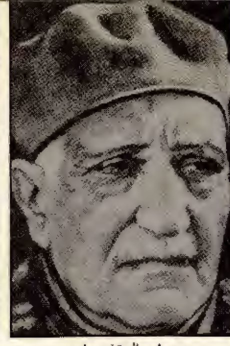
ويرى **الرومانسيون** أن الفن للفن ، وسادت عبارة الجمال المطلق في القرن التاسع عشر ، وقالوا إن الشيء إذا أصبح نافعاً فقد صفة الجمال ، ولكن هذه النظرة تفقد الفن الكثير ، لأن الفن يجب أن يرتبط بقيم الحق والخير .

وذهب بعض الفنانين ، مثل **تولستوي** ، إلى أن الفن يجب أن يخاطب الجماهير .

ونشأت في الفلسفة فكرة الجمال المطلق أو المثالي الذي لا يتغير بتغير الظروف والأحوال ، ولا يختلف باختلاف الزمان والمكان ، وإنما هو العلة لكل جمال ، أي أنه فكرة مجردة أزلية خالدة سابقة على وجودهم وعلى عقولهم .

وقريب من هذا تفكير كثير من الفلاسفة المتدينين والمتصوفة والروحانيين الذين لا يقف إحساسهم بالجمال عند موجودات هذا العالم الواقعي المحسوس ، وإنما يسمو ذوقهم إلى عالم مقدس إلهي يشع نوراً


★ أحمد شوقي ★


★ العقاد ★

وبهاءً ، وفيه تتمثل جميع القيم المفضلة ، قيم الحق والخير والجمال .

فتأمل هذا البيت الصوفي :

خيالك في عيني وذكرك في فمي ... ومثـواك في قلبي فـأين تغيـب

وهذين البيتين :

ومن عجـب أنـي أحـن إليهـم ... وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتـطلبهم عينـي وهـم إنسـانها ... ويشتاقهم قلبـي وهم بين أضلعي

ولا يمكن أن يكون الجمال فكرة مجردة ، وكذلك لا يمكن أن يكون انفعالا ذاتياً لا أساس له في الوجود الخارجي ، ومـن ثم يتفق معظم المفكرين اليوم على أن ثمة أبعاداً أخرى غير ذلك تدخل في تحديد الجمال ، هي تلك المعايير التي يفرضها المجتمع على الإنسان كي تستقيم أحكامه الجمالية .

الفـــن في آسيـــا

ولا يسعنا هنا إلا أن نتداول في إيجاز الفن في **آسـيا** ، وهـو لا يقـل شأناً عن الفن في **أوروبا** ، مع اختلاف المؤثرات وتباين الـدوافع ، وقـد يعجب القارئ حين نتناوله بهذا العنوان كأنما هذا الفـن وحـدة واحـدة . والواقع أنه يكون في صميمه وحدة مـع اختـلافات يسـيرة بـاختلاف البلدان ، **ذلك أن فن الهند وفـارس والصـين واليـابان وغـير ذلك من بلاد الشرق الأقصى فيه صفات مشتركة** ، وفنون هـذه البلاد جميعاً لا يمكن أن نفهمهـا إلا في ضـوء الفـن الصينـي ، وإن كنـا لا ننكر أن الفن الصينـي استلهم الفن الهندي .

ونستطيع أن نقول بداية إن ثمة حدثاً خطيراً أثر في حياة أوروبا وحياة آسيا كليهما ، وهو غزو **الإسكندر** وفتوحاته العريضة في آسيا ، ذلك أن روح الغرب وروح الشرق التقتا وجهاً لوجه ، ولكن العقـل الهنـدي رفض أن يتأثر بالفن اليوناني الذي راح هذا الغـازي يبشر بـه في الهنـد ويمثـل مشاهده ، ذلك أن **البراهمة** لم يحفلوا بذلك ، بل قابلوه بالازدراء . ذلك أن تصورهم للفن كان مختلفاً كل الاختلاف عن تصور أهل الغرب ، فقد كان الإنسان عند الغرب هو بطل هذا الـوجود ومحـور الـكون ، ومـن ثم أصبح جسم الإنسان عارياً عند الغربيين هو أسمـى وسـائل التعبيـر وأعلى الرموز شأناً . أما الإنسان عند الشرقيين فإنما هـو حلقـة مـن حلقـات الموجودات في سلسلة متصلة لا نهاية لها . وهو يتجلى في فن آسيا في محيط قدامى الأطراف يحتل فيه مكانه ، لكنه لا يسيطر عليه . وحياة الروح عند الآسيويين أسمى بكثير من المادة وأرفع من العـلم ، ونجـد عنـدهم ألـطف الحدس وأحكمه مقروناً بأساطير حافلة بتهاويل الخيال . وهـم على عـكس الفنانيين الأوروبيين لا يحفلون بالظلال ، ولا بالقالب والمثال ، ولا بالنحت البارز ، ذلك أن فنهم ، كما أسلفنا ، أقل ارتباطاً بالمادة ، فصورهم ترسم من الذاكرة تعززها ملاحظة تقوم على الصبر والـدأب ، ولم يتخـذوا مـن تصوير المشاهد غاية الفن ، وإنما يعتمـدون على الإيقـاع والانسـجام أو التوافق .

الفـــن القديـــم

ولا ننسى في هذا الصدد أن نشيد بـروائع الفـن القـديم في **آشـور وفارس** ، ويضيق المقام هنا عن تناول هذه الروائع بالتفصيل . ولا شك أن الفن الآسيوي قد تأثر تأثراً كبيراً بفلسـفة **بـوذا** ونـظرته إلى الحيـاة خاصة ، وبفلسفة **مانـي وزرادشت** عامة .

ونجد عند الآسيويين روائع من الصـور الحـائطية ، وفي هـذه الصـور تتجلى رحمتهم بجميع الحيوانات مـما يضفي عليهـا لـطفاً فـريداً وعـذوبة عظيمة ، وقد نبغوا أيضـاً في النحـت ، وفي صـنع الأوانـي الـبرونزية والمباخر . ولهم فوق ذلك ، وخاصة عند الصينيين ، روائع في النقش على الحرير وغيره من المواد ، **ذلك أن الفن عندهم يرمز إلى الحـركة ، على حين أن الفن عند الغربيين يجنح إلى السكون** ، فقـد كانـوا يعتقدون أن الحياة بلا حركة ليست بحياة ، كما كانوا يدركون أن كل حياة هي حلقة من ذلك الفيض من الطاقة الدائبة على التغير للـكون . وكان المنظر الطبيعي هو الموضوع الأثير الذي يرسمه الفنان بريشته ، ويشمـل هذا المنظر الإنسان وجميع أفعاله ، وحياة الحيوان والطيور والأسمـاك والأشـجار والزهور على اختلاف ألوانها وأشكالها .

ولا يتسع المجال هنا لمنـاقشة التـذوق الفنـي بـالتفصيل على أسـاس نفسي ، فهذا بحث متشـعب متعـدد الاتجـاهات تختلف فيـه الآراء والمذاهب ، ويصدق هذا على المذاهب الفنيـة المختلفـة ، مـن رمـزية ومحاكاة ، وموضوعية وذاتية وما إلى ذلك ، فهيهات أن يـلم المرء في مقـال واحد بفلسفة الجمال ومذهب القيم ، ومشكلة الإحساس بالجمال ، والجمال والحقيقة ، وماهية الجمال ، والجمال والحق والخير .

وختاماً أقول إن الفن يقتضي عملاً دائباً شاقاً يسـتغرق حيـاة الفنـان كلها .

الزمخشري شاعر الحب والجمال



شعر: د. محمد بن سعد بن حسين

الشاعر الغزل، شاعر الحب والجمال، طاهر بن عبد الرحمن الزمخشري ـ أو بابا طاهر كما يحلو له سماعه ـ شاعر عرفناه مبدعاً محسناً، وكنا نقرأ له في أيام الشباب الأول، فنسر بما نقرأ، ثم صار ذلك إلى إعجاب بجل شعره، وإن شئت فقل بشعره إلا قليله، وقد منحه الله ـ إلى جمال الشعر ـ حلاوة الإنشاد، ولعل من أسباب ذلك قدرته على إعطاء الكلمة حقها من النطق حتى بعد ما لوى الزمان لسانه حين أرهقه الداء، شفاه الله ومد في عمره.

وفي العام الماضي أكرمته الدولة فنحته جائزة الأدب التقديرية لريادته الفكرية في أكثر من ميدان، ويكفي أن نعلم أن عدد دواوينه الشعرية تنيف على عشرين ديواناً، طبع منها ثمانية عشر، وأربعة معدة للطبع، ذكر ذلك لي حين عدته في السادس عشر من رجب سنة ١٤٠٦ هـ، في زورته الأخيرة للرياض.

وكان يحدثني عن ذكرياته وملهاته بأحاديث كنت أرتاح لسماعها، لكن كان ارتياحه لروايتها أكثر، فلقد كان يبدو فرحاً مرحاً وهو يروي تلك الذكريات، ولعلي كنت أحسن الاستماع إليه، ولعل ذلك ما بعث في ذاكرته شيئاً من النشاط، أو على الأقل حفزه إلى الاسترسال في الحديث، وكان من حضر مجلسنا يشجعونه على الاستمرار.

وبعد ساعات، استمتعنا فيها، وأثقلنا عليه، أو سريّنا عنه ـ لا أدري ـ ودعته وانصرفت. وفي طريقي إلى البيت وجدتني أنظم هذه الأبيات فآثرت إشراك القارئ معي فيها، لعلها تذكر بالدعاء له ولمرضى المسلمين بالشفاء.

بقـايا غـرام عـارم وصـبابة ... تـرف بقلـبٍ صـارع الـداء دافقُه
بعـزم وإيمـان وروح فتيـة ... على الـرغم مـن أرزائهـا لا تفارقُه
تظل مـع الأيـام مـوصولة الـرجا ... وتمشي على هـام الأسى وهـي لاعقُه

★ ★ ★

بقـايا غـرام كالـورود ذوابـل ... يرف الشذى فيها رفيف الهوى البكر
إذا طـافت الـذكرى بـه صفّقت لـه ... أحاسيس ضـمتها عقـود مـن الشـعر
سرت في لسان لاثـه الـداء بعـد مـا ... جرى فيه ينبـوع مـن اللفـظ والفـكر

★ ★ ★

بقايا غـرام هـائماً طـوحت بـه ... صروف الليـالي بعـد مـا كان أزهـرا
نـديٌّ كأزهـار الـربيع ضـواحك ... إذا ما جـرى فيهـا النسـيم تعـطرا
فـأمست أحـاديثاً حسـاناً لسـالفٍ ... مـن العمـر كان العيش فيـه منضرًا

★ ★ ★

بقـايا غـرام في إهـاب تـطاولت ... عليـه صروف الـدهر حـتى تمـددا
وجسـم كطيف في عيـون مـريضة ... ووجـهٍ عـلاه الهـم حـتى تجعّدا
وخـطوٍ يعانـي البـطء منهـا تقـاصراً ... كأن الـذي يخـطو بهـن مقيـدا

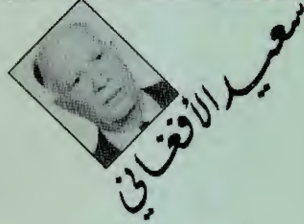
★ ★ ★

بقـايا غـرام يـدفع الهـم كلما ... أناخ وألـق كلـكلاً بعـد كلـكل
وأطيـاف مـاضٍ تنشر الأنس كلما ... طـواه الضنـى وانسـاب في كل مقتـل
يبيـت على الأيـام يـطوي زمـانه ... ويسـعى بقلـبٍ دامـي الجـرح مُحْوِل

★ ★ ★

بقـايا غـرام وابتسـام لفـرحة ... تقضّى بهـا عهـد الصـبا وملاعبه
وقـامت على أطيـافه روح شـاعر ... تصـون الهـوى إن أخلفتْه حبـائبه
ونامت عـن الأحبـاب عـينُ خفيـة ... وملّت غـراماً راق بـالأمس جـانبه

إعداد: المجلة



سعيد الأفغاني

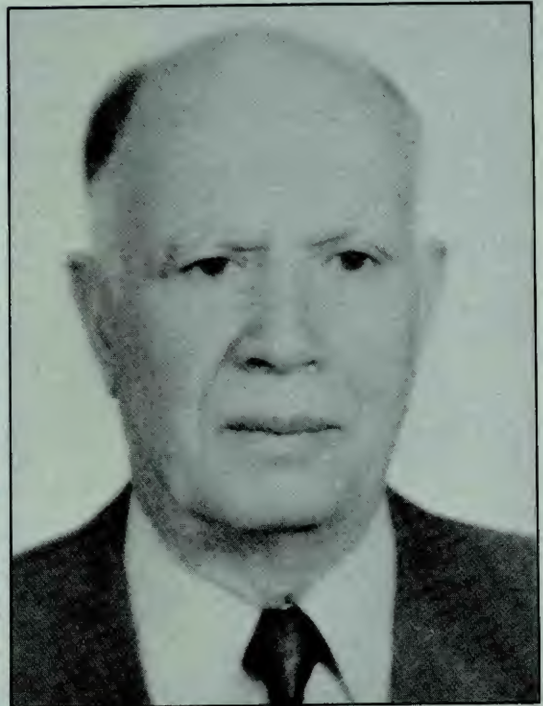
النحو العربي

منذ أن اجتهد علماؤنا القدماء في وضع علم النحو العربي وحتى يوم الناس هذا، والخلاف واقع حول كثير من القضايا التي تتصل به.

وإذا كانت خصومة القدماء قد استقرت في صورة الآراء التي أثبتها كل فريق لنفسه، ثم في صورة المصنفات التي نشأت حولها لتحكم فيها، فإن خصومة المحدثين لما تزل سجالا فيما بينهم، لا تكاد تطوى صفحاتها في ناحية حتى تُنشر في ناحية ثانية وثالثة.

وإذا كانت خصومة القدماء ـ أيضاً ـ قد وجدت من بين القدماء أنفسهم من ينهض ليحكم فيها بـ «الإنصاف» فإن خصومة المحدثين أحوج ما تكون أيضاً لمن ينهض من بين المحدثين أنفسهم، ممن يُرتضى علمه وفضله ليحكم في بعض ما اختلفوا فيه.

ومجلة «الفيصل» تستضيف في هذا اللقاء عالماً جليلاً له فضله على علوم اللغة العربية وعلى دارسيها طوال فترة عطاء تربو على ستين سنة أبلاها في الدرس والتدريس والتصنيف حتى غدا واحداً من أعلام الفكر في هذا العصر. إنه الأستاذ الفاضل سعيد الأفغاني.



تيسير النحو

●● فيما يتصل بقضية تيسير أو تبسيط النحو العربي من حيث خصومة القدماء والمحدثين، أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف.. ما رأيكم في هذه القضية؟

● لا أعرف خصومة قديمة حول التيسير، إنما الذي كان هو اهتمام الأولين بجمع ما يمكن من كلام العرب وتسجيله، وقد تكفل بذلك الرواة الأقدمون من حفاظ الشعر جاهلية وإسلامية، والعلماء الذين قصدوا البوادي يسمعون كلام الأعراب الذين لم تفسد سلائقهم باختلاط بأعاجم، وتدوين ذلك كله ألفاظاً وتراكيب وحواراً وأخباراً ونوادر، ثم روايته لطلابهم. وقد سلم من هذا التراث قدر غير قليل، ونظر علماء النحو في هذا كله في المئة الثانية للهجرة، فبدأوا تنظيمه في قواعد لم تكن في نفسها منسقة كالتنسيق الذي في أيدينا اليوم، لكنها كانت جامعة إلى حد بعيد يمثل هذه المرحلة كتاب (**سيبويه**) العظيم.

كان ذلك على أئمة في مدينة **البصرة**، وطلب العلم على أئمة البصرة فيمن طلبه أناس من الكوفة لم يتقنوا من العلم ما أتقنه البصريون، فتصدروا حلقات التعليم في **الكوفة**، وعملت العصبية البلدية عملها، وتوصل بعض الكوفيين إلى بلاط الخليفة وقصور الأمراء يؤدبون أولادهم، فصار لهم

جاه ونفوذ مع الارتزاق الذي لم ييسر للمنقطعين للعلم وتعليمه في البصرة ، وكان الانحياز الرسمي للدولة إلى جانب الكوفيين أنصار علي بن أبي طالب والهاشميين ، وعطى هذا كله على ضعفهم في العلم ، فنصبوا أنفسهم مكافئين للبصريين ، وانفردوا بآراء يتميزون بها ، وتعصب لكل فريق طائفة ، **إلا أن أحد الفريقين لم يكن هدفه التيسير ولا التفسير** في هذه المرحلة ، مرحلة التأسيس ، بل كان الانصراف كله إلى الجمع .

بعد ذلك صار الظفر بالغلبة في مجالس العلم التي تعقد في القصور هو الهدف لكلا الفريقين ، وتسرب إلى كثير من الكوفيين آفة العجلة والتزييف في إثبات نقول عن العرب فيها الغرابة وفيها غير الصحيح ، يبنون عليها قواعد لا يعرفها غيرهم ، وكان جدل ومكاثرة يجبهون بها الأثبات من خصومهم في تلك المجالس ، ومن هنا كثر المدخول من الروايات والفاسد من الأحكام في كتب الذين يفتخرون بأن عندهم من العلم ما ليس عند غيرهم ، وهو علم بث الفوضى في بناء القواعد وملأ كتب النحو بركام خلخل البناء وأضر بتماسكه ، وكانت الدنيا هدفاً لكثير منهم ، فجعل بعضهم يُعقد المسائل ويحيط كلامه بالغموض في كتبه ليقصده الطلبة حتى يشرح لهم ما عقد ويرتزق بذلك .

الخصومة بدأت عصبية ثم صارت مكاثرة وتنافساً على الرزق والجاه في قصور الأمراء وذوي الجاه ، وصولا إلى تنصيبهم مؤدبين لأولاد هؤلاء أو تصدراً في حلقات المساجد ، أو لتدريس الطلبة الذين يقصدون دورهم ، أو يؤلفون الكتب ويدفعونها إلى الوراقين والناسخين فينتفعون بأثمانها . والظاهر أن هذا كثر حتى صار أسلوباً رسمياً للعيش لا يخفونه إذ لم يكن لهم كسب سواه .

وهذا **الجاحظ** في المئة الثالثة للهجرة يصور لنا من شأنهم في صناعتهم ما يصرحون به ولا يكتمون من أسراره شيئاً ، قال :

قلت لأبي الحسن **الأخفش :**

« أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم سائرها ؟ وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ » .

قال :

« أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الموضع الذي تدعوني إليه قلّت حاجتهم إليّ فيها ، وإنما كانت غايتي المنالة ، فأنا أضع بعضها هذا الموضع المفهوم لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنما كسبت في هذا التدبير إذ كنت إلى التكسب ذهبت .

ولكن ما بال **إبراهيم النظام** وفلان وفلان ، يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذها مثلي في موافقته وحسن نظره وشدة عنايته ولا يفهم أكثرها ؟ ! » .

ويذكرون عن **الفراء** وهو من صدور الكوفيين أنه ترك كتاباً كبيراً في النحو سماه **(الحدود)** يشتمل على ستة وأربعين حداً في الإعراب ، وليس يعنينا الكتاب نفسه في حديثنا هذا وإنما تلفتنا قصة الكتاب ، **فهي تدل على بدع عجيب عرف به بعض النحاة وأثر أثراً سيئاً في سير هذا العلم ، ذلك هو الإغراب والتعقيد الذي أولع به فريق النحويين . فقد ذكر ابن النديم في (الفهرست)** أنهم قالوا :

« كان السبب في إملائه (الحدود) أن جماعة من أصحاب **الكسائي** صاروا إلى الفراء [بعد موت الكسائي] وسألوه أن يملي عليهم أبيات النحو ، ففعل ؛ فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض : إن دام هذا على هذا علم النحو الصبيان ، والوجه أن يُقعد عنه ، فقعدوا ، فغضب وقال : « سألوني القعود ، فلما قعدت تأخروا ، والله لأملين النحو ما اجتمع اثنان » فأملى ذلك ست عشرة سنة » .

وكنت منذ أكثر من عشرين سنة حائراً بين نزعة التسهيل هذه التي في القصة وقولهم في ترجمته في (الفهرست) نفسه « كان يتفلسف في تأليفاته ومصنفاته ، يعني يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة » .

والذي توحيه القصة أن أصحاب الكسائي حين نصبوا الفراء توقعوا أن (يغمض ويعقد) كما ألفوا ، فلما لم يفعل قاطعوه ، وصعب عليهم أن يتيسر النحو حتى على الصبيان .

نخرج من هذا كله **أن نزعة التعقيد هي من أهواء مرتزقة النحاة لا من النحو نفسه** بشهادة خصوم الفراء أنفسهم للنحو الذي أملاه عليهم ، وهي شهادة لا تشرف ، سجلتها المئة الثالثة للهجرة .

●● إذن فكيف تحكم على الفراء ومفهوم القصة يوحي بأنه كان يميل إلى التيسير ؟

● أما الحكم على الفراء نفسه هل كان ميسراً للتعليم كما تذكر القصة ، أو كان معسراً له كما جاء في ترجمته أنه يتفلسف في كتبه ، فلا يمكن القطع فيه حتى يوجد كتابه (الحدود) .

أما الاعتماد على أحد المتناقضين القصة أو الترجمة ، التيسير أو التعقيد فلا سبيل إليه ، **لكن يمكن الاطمئنان تاريخياً إلى أن هناك جماعة تعمدوا التعقيد ليُقصدوا وتكون لهم صدارة ومرتزق في كل عصر وكانوا هم الجناة على العلم والمتعلمين .**

كتب النحو

●● هذا الحشد الكبير من كتب النحو وما لحق بها من كتب الشرح والاختصار والتوضيح والحواشي وحواشي الحواشي ... إلخ ، هل نعد

« علينا إهدار كل لغة لا تستعملها اللغة الشائعة في القرآن الكريم والحديث وما كتبه أسلافنا.

ذلك من قبيل تيسير النحو أو تعقيده ؟

● تكاثرت كتب النحو على مدى الزمن ، وكل من آنس في نفسه قدرة على جمع ما ليس عند غيره من شواهد أو أقوال ، دسّ ذلك في مكانه من أبواب النحو ، وأعقب ذلك أزمنة التقهقر فشرع المتصدرون للإقراء يضعون متوناً مختصرة يستظهرها الصغار ، وهم لا يفهمونها بالطبع ، فيشرحون لهم متونهم ، ويأتي بعد ذلك في عصور ضعف الملكات من يضع على الشرح حاشية تعليقاً على كلام الشارح ، يجادلونه في تركيب استعمله يرونه غير محكم ويتسرب إليه الاعتراض ، فيذكرون الاعتراض يؤيدونه أو يدفعونه بكلام من عندهم ، وربما أتى بعد هؤلاء من يضعون تقارير على الحاشية فيها ما هبّ ودبّ ، وأصبح الذي يريد تخصصاً في النحو يمضي عمره في هذا الركام مما لا يعود على لغته بتسديد ولا إصلاح إلا بعداً عن العربية الناصعة وفساداً في الملكات . لا تيسير ولا إبداع ولا إحكام ولا إصلاح ولا نفع من ذلك كله بتقوية ملكة أو **عصمة من خطأ أو سمو في أسلوب** . ولم تخل تلك العصور من علماء موفقين ألفوا ما قرّب الطريق إلى حد ما على المتعلمين .

لم تكن إذاً للقدماء خصومة حول تيسير .

●● ماذا عن موقف المحدثين من هذه القضية ؟

● **أما المحدثون** فاريد بهم ــ ليكون حكمي محدداً ــ من عاش في بدء القرن العشرين الميلادي حتى اليوم ــ **ففريقان** : **الفريق الأول** : أدرك حاجة طلاب هذا العصر ، ورزق وعياً وإدراكاً لما نسميه (أساليب التدريس) أو أصول النجاح في التدريس فاهتدوا إلى (سلاسل الدروس) ابتداء من الدراسة الابتدائية فقدموا الخطوط العريضة للقواعد على أساليب سهلة متدرجة بعباراتهم الواضحة ، كل حلقة في يد تلميذ تزيد على ما درسه في حلقة سابقة مع تمارين كثيرة ، ونصوص أدبية سهلة يستظهرها كما يستظهر طائفة صالحة من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وهو مما يسمعه كثيراً في بيئته ، فلا يُتم مدرسته الابتدائية إلا وقد تخلص من العامية ، وسما على الأميين سمواً ظاهراً ، وكانت المدارس الخاصة حينئذ أصلح من المدارس الرسمية التي لم يكن يغشاها إلا القليل من الأطفال ، وتوّجت هذه السلاسل والتجارب بسلسلة (الدروس النحوية) التي ألّفها في مصر (**حفني ناصف** وزملاؤه) ، أحكام يسيرة بلغة سليمة واضحة وأمثلة شارحة ، وانتهت السلسلة بـ (قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية) ، وبها درست ابتداء من سنة ١٩٢٠ م ، وانتهاء في سنة ١٩٢٤ م . والكتاب من القطع الصغير في (١٤١ صفحة) ، مئة منها لأبواب النحو والصرف ، وأربعون لعلوم البلاغة ، ولا يحتاج العربي ليكون مثقفاً في العربية إلى أكثر من ذلك ، لقد جمعوا الصحيح السليم من القواعد بعبارة واضحة وأمثلة شارحة ، جمعوا كل ما لا يجوز لمثقف جهله من علوم العربية كلها ، وهو كالمذكرة في يد المتعلم لا ينساه طوال حياته ، هذا إذا كان معلمه راعى أصول التدريس في الإكثار من الأمثلة التطبيقية ، وحمل طلابه على إنشاء أمثلة على كل جزئية من جزئيات البحث .

مضى على دراستي هذا الكتاب ما نيّف على الستين سنة ، وأنا لا أشبع من الترحم على مؤلفي هذه السلسلة : (حفني ناصف ، ومحمد دياب ، والشيخ مصطفى طموم ، ومحمود عمر ، ومصطفى محمد) أكرم الله جوارهم وأثابهم على ما نفعوا من أجيال . ولا أنسى أن الذين أوصلوا هذا الخير لنا معلمون أكفاء راقبوا الله في عملهم وأخلصوا فيه النيات رحمهم الله أجمعين ، **وما أظن الكتب تنفع حين يتحرر المعلم من مراقبة الله ومن الإخلاص ومن (الضمير) .**

أقدر الآن ــ وقد أمضيت في تدريس النحو مختصراته ومتوسطاته ومطولاته خمساً وخمسين سنة ــ أن هؤلاء الأخيار سلخوا في عملهم هذا الكتاب الضئيل الحجم الغزير النفع أوقاتاً مديدة جداً ينخلون ما بأيدهم ويصفونه بين شواهد لا تصح ، وأحكام بنيت عليها لا أساس لها وأقوال لنحاة ومؤلفين كثيرين ، أعملوا فيها كلها مبضع الجراح حتى خلص لهم من كل ذلك نحو ميسر سليم ، قدموا ما وصل إليه جهدهم دون منٍّ ولا تبجح ولا دعاوى ، قدموه بكل تواضع وإخلاص ، وتخرج بجهودهم على عشرات السنين أجيال متلاحقة أدباء وشعراء وبلغاء وكتّاب مَنَّ الله عليهم بالنشأة العربية القوية ذات الأساس المتين في كل الأقطار العربية .

فروق الأجيال

●● ما الفرق بين هذا الرعيل وبين التقليديين ؟

● إن هذا الرعيل الكريم درس النحو في كتب العصور المتخلفة ذات الشروح والحواشي التي لا يخرج منها الدارس بعد طول عناء بشيء طائل غالباً ، وأرادوا أن يجنبوا الذين من بعدهم العناء والغثاثة وسوء الملكة ، فقدموا إليهم عربية مصفاة من الركاكة في التعبير و (التقعيد) والتعقيد .

ولا تظننهم يقصرون عن التقليديين في فهم الحواشي وسطورها وما بين سطورها ، بل ربما فاقوهم ، لكنهم ــ في رفضهم أساليبها ــ كانوا أغير على العربية وقانونها وسلامتها من التقليديين . واستطاعوا بأعمالهم أن يذيقوا جاها وبلاغتها للناشئين . وإني لأذكر حادثاً شهدته في حداثتي وقد مضى عليه ستون عاماً ما زال منظره عالقاً في ذهني : أربعة تلاميذ من ثانوية دمشق (مكتب عنبر) برعوا في العربية وكان لهم شعر تنشره الصحف ، وسأل عنهم الأستاذ **محمد كرد علي** وكان رئيس المجمع العلمي العربي ، فلما أخبر أنهم ما يزالون على مقاعد الدراسة الثانوية ، عقد لهم حفلاً تكريمياً حضره أولو الشأن من كبراء

البلد علماً وأدباً ووجاهة ، فقدم الرئيس الفتية الشعراء الأربعة للحفل ، وألقوا فيه قصائدهم فكانت أحاديث الناس ، ونشرتها الصحف ، وتقرؤها اليوم فلا تكاد تصدق أن حال العربية في قطر عربي كان على هذه الدرجة والسمو ، وليس في الأمر من عجب ، لقد درس اللغة العربية في نصوصها البديعة ، وقواعدها في كتاب حفني ناصف الذي تقدم ذكره ، وفي أساليب يسرت لهم تذوق إبداعها ، وكان محفوظ الطالب الثانوي من الكلام الحر البليغ لا يقل عن ألف بيت ونصوص نثرية وخطب بليغة كونت ملكاتهم ، ولم يكن في أيديهم شيء من مخلفات العصور المتخلفة . في وقت كان فيه عدد من صدور التقليديين قضوا عمرهم في كتب الشروح والحواشي وإذا كتب أحدهم رسالة إلى قريب أو صديق في أسطر قليلة لم يخرج فيها عن طبع العامة .

هذا الفريق في غيرته على العربية ، واجتهاده في تيسيرها ونشر إبداعها ، وإبعاده الغثاثة والركاكة والتفاهة عن الناشئة كان أغير على العربية من الذين عكفوا على الكتب السقيمة يدرسونها ويكرهون دارسيها بالعربية . ثم ما بالنا نعلم أولادنا اللغة الأجنبية بأحدث الأساليب النافعة ، ومن أقصر الطرق ، ونبقي للغتنا أسقم المؤلفات وأبلاها بلى ؟ !

لقد اهتدى ذلك الرعيل إلى الإجادة ، ودعا إلى إصلاح ، وطبّقه بإخلاص متحملاً أذى المعوّقين ولم يبال بالمعوقات والمعوّقين ، شأنهم شأن كل مصلح ، **وحمل دعوة الإصلاح من بعدهم غُيُرٌ على العربية وسلامتها وتحملوا في سبيل دعوتهم ما حمل أولئك من أذى وسلاطة ، هذا شأن الفريق الأول أبداً .**

وأما الفريق الثاني من المحدثين ، فما شئت من تبجح ومكابرة ودعاو فارغة ، صادفهم – لسوء حظهم أول نشأتهم – جو موبوء شحنه الصليبيون مستعمرين ومبشرين ، بالحملات التشكيكية بالدين واللغة وصلاح العرب ليكونوا أمة ، حملات في ميادين عدة ، يعنينا منها ما خص العربية ، والطريف أنها تبث في أوقات متقاربة في **لبنان ومصر والمغرب** وبيئات الاستشراق حول اللغة العربية وصعوبتها ومشكلاتها ، استهدفت كل مقومات اللغة ، فكتابة حروفها معقدة وقراءة كتبها لا يمكن ضبطها ، ونحوها طلاسم ، وقواعد رسمها كثيرة لا ضابط لها . . . وحمل هذا الوباء عدد من الإمعات باشوات وبكوات بل وذوو عمائم أحياناً يسهمون في نشر هذه الدعاية ، حتى كاد من كثرة ما أعادوا وكرروا يسلم بما يقولون الكثير ، فلما هيؤوا – بحسب زعمهم – تربة صالحة لتقبل تلك المفتريات ، برزوا بالعلاج الذي حضروه لكل من هذه الميادين ، أما صعوبة الحرف فعلاجها الحرف اللاتيني ، وقام (بالتبشير) به **باشا في مصر ،** كانوا أدخلوه في مؤسسة قانونها المحافظة على سلامة العربية ، **وخوري في لبنان** يكره العربية (طائفية) وتديناً بزعمه . وفي ميدان اللغة نفسها طالعوا الناس بهجرها والعكوف على العاميات المحلية يدرسون بها ويكتبون ويخطبون ، فلكل ناحية في مصر لهجة وأسلوب نطق ينبغي اعتمادهما ، وفي كل قرية في لبنان لهجة صالحة للأدب والعلم ، ومثل ذلك في **تونس والمغرب والعراق ،** وانبرى لهؤلاء من ينافح عن العربية واختنقت الأجواء بالأخذ والرد . . . فلما أخفقت هذه المشروعات بعد أن عطلت القوافل عن سيرها السليم سنين عدة ، برز الأعداء بنغمة جديدة :

(أصلحوا نحوكم) ، فتلقفها مسؤولون مهيؤون لها ، كانت أدمغتهم عولجت في أوروبا وأميريكا ، أو في البلاد العربية في مؤسسات الإرساليات الطائفية التي تموها الدول الاستعمارية ، فبثوا أسلحة التشكيك ، وكان لهم عملاء في وزارات المعارف والإذاعات والصحف ، ولم يكن سبيل إلى محاربة العربية كفاحاً وجهاً لوجه ، وكان بعض الأقطار العربية قد استقلت وسائرها في طريقها إلى الاستقلال ؛ فتمخض هذا كله عما سمي بمشروعات (تيسير النحو وتبسيط القواعد) ، واضطررت إلى دراسة هذه المشروعات بحكم عملي ثم بحكم اشتراكي في **(حلقة تيسير النحو)** التي ضمت عدداً من المتخصصين الجامعيين ومفتشي اللغة العربية لدراسة مشروع كانت أعدته وزارة المعارف المصرية سنة (١٩٣٨ م) ، وعرض على مؤتمر المجامع العلمية العربية المعقودة في **دمشق** سنة ١٩٥٦ م ، فأوصى المؤتمر أنه محتاج إلى زيادة في البحث والتمحيص وتأجيل النظر فيه إلى مؤتمر آخر . وكانت هذه صيغة دمشق الناعمة لرفض المشروع .

لكن أصحاب المشروع ذوو نفوذ بعيد في وزارة المعارف المصرية فحملوها على إقراره ، وأدخل مجمع اللغة العربية في مصر بعض التعديل عليه سنة ١٩٤٥ م ، وطلب من الوزارة تأليف كتاب على أساس التعديل ، ثم انقضت سنوات وألفت كتب وسرعان ما بثت في مدارس مصر وفرضت على التعليم المصري . فلما كانت الوحدة بين مصر والشام رئي إشراك سورية في المشروع ، وانعقد المؤتمر باسم (حلقة تيسير النحو) في دار العلوم في القاهرة بين ١٩٦١/٢/٤ م ، و١٩٦١/٢/٩م ، وألقيت كلمة الوفد السوري في المؤتمر ، وبعد الاستماع إلى كلمات المؤيدين والمناوئين ، أجمعت الكلمة على إصدار قرار برفض المشروع ، أما كلمتي التي ناقشت فيها المشروع وغيره فقد نشرت في آخر كتابي (من حاضر اللغة العربية) ص٢٠٢ ، وليس مناقشة مما تحتمله المجلات الأدبية .

بعد هذه اللمحة نعلم أن خصومة القدماء لا تشبه مزاعم المحدثين ، فالحوافز مختلفة والأهداف لا تتشابه ، وإذا برئت المحاولات القديمة من أصابع خارجية ، فقد غرقت المحاولات الحديثة في أشراك الأعداء إلى الأذقان ، وفي الغارقين عملاء للصليبية ، بعضهم يعمل عن عمد ووعي وكيد ، وبعض عن غفلة وسذاجة من حيث لا يشعرون .

القضية .. والرأي

●● ما رأيكم الخاص

« أوصي أن يكون تدريس الطالب تمليكاً للمادة العلمية في لغته كلاماً وكتابةً وتطبيقاً .

حول هذه القضية بعد العرض الضافي لكل أبعادها؟

● تطلبون رأيي في هذه القضية؟

الذي أعتنقه ليس رأياً بل عقيدة، انتهيت إليها بعد عمر طويل أنست فيه إلى القواعد العربية دراسة وتدريساً ونقداً، بعيداً عما سميتموه خصومات قديمة وحديثة، عاكفاً على نخل المطولات القديمة والجديدة، مسلطاً ما ينعم به عصرنا من موضوعية، محكماً النهج العلمي السوي فيما بين يدي وانتهيت إلى ما عرضته قبل سنوات من خطة لتصفية علم النحو على أساس علمي:

«لا شك في أننا اليوم نصطنع لغة فصحى يفهمها الرجل العادي فيما بين المغرب الأقصى وخليج البصرة، بل يفهمها كل من تعلم العربية من الأعاجم، وأن لنا تراثاً علمياً وتراثاً أدبياً ضخماً، تحفل به المكتبات الخاصة والعامة في ديار الغرب والشرق، هذه واحدة. والثانية أن لغة القرآن الكريم والحديث النبوي بوجه خاص ولغة قريش بوجه عام هي الغالبة الشائعة، نقرؤها في الكتب قديمها وحديثها، وفي صحف اليوم ومجلاته، وجميع إذاعاته العربية الصادرة في بلاد العرب وغيرها، يستوي في ذلك أبناء العروبة والذين شدوا شيئاً منه من الأجانب، وأظن بعد ذلك أن الطريق واضح:

علينا إهدار كل لغة لا تستعملها اللغة الشائعة في القرآن الكريم والحديث وكتب الأدب والتاريخ وسائر الفنون الحضارية التي خلفها أسلافنا، ثم نؤسس قواعدنا على هذا التراث الموثوق به والذي كفلت له أصالته الحياة: نستقصي مفردات القرآن الكريم وتراكيبه، ونمعن النظر فيما اطمأننا إلى صحة صدوره عن الجاهليين والإسلاميين ثم فيما نطمئن إليه من نثر الأقدمين، فنبني بعد هذا الاستقصاء قواعدنا على ذلك التراث كله متوخين أقصر الطرق وأسهلها، والأشيع ثم الأقيس فيما فيه لغتان فصيحتان.

أنا واثق بعد ذلك أننا سنهدر ركاماً ضخماً من تفريعات واستثناءات بنيت على شاهد مجهول أو لُغية محرفة أو لهجة رديئة أو ضرورة شعرية، ونهدر إزاءه مقداراً ضئيلاً لا يعتد به من خلاف اللهجات. وتكون القواعد هذه أقرب إلى روح العربية من القواعد الحالية التي أفقدها حشر النحاة فيها ما هبّ ودب مما لا يرجع إلى النظام ولا يجمعه نسق.

وأكبر دليل على قولي أنك تجد كثيراً من الأحكام التي ضخمت النحو لم يستعمله أحد منذ دونت تلك الأحكام حتى الآن، ولم يستعمله أحد قبل ذلك إلا نادراً في الشواهد التي أثبتوها إن صحت.

إعادة نظر في أسس النصوص الشائعة الموثوق بها، ومنهج علمي سهل في بناء القواعد عليها كفيلان بإبلاغنا الهدف المنشود. وربما أهدرت في سبيل ذلك بعض لهجات عربية فصيحة هنا وهناك، إلا أن ذلك إذا قيس إلى ما نستريح منه من أكوام القواعد القديمة وما حولها من استثناءات وتفريعات واعتراضات بدا غير ذي بال.

هذا ما أقترحه خدمة للفصحى وتيسيراً لنشرها اليوم، فإذا تمّ ذلك اقتصرنا أكثر من نصف الوقت الذي يقضيه الطالب في المدارس لدراسة النحو، وانتفعنا به في الإكثار من دراسة النصوص الأدبية المختارة، فذلك أعود على إحياء الفصحى وعلى ملكة الطالب اللغوية.

أما النحو الحاضر بمطولاته وشروحه وحواشيه، بقديمه وحديثه، بتاريخه وطبقات أهله، فيبقى موضوع الدرس والتثقف في المعاهد والكليات والمجامع، وعند أهل الاختصاص، يدرس مادة وتاريخاً وتطوراً، على شرط تنسيقه على أساس من النهج العلمي الذي ألمحت إليه آنفاً: تحقق نصوص شواهده، وتطبق عليها أسس الاحتجاج بدقة وإحكام، ثم تدرس بعد استقراء الموجود منها وتصنف على ما تقدم، ثم يبنى عليها من بعد ذلك أحكام صحيحة، تستند إلى إحصاء الأحوال في هذه النصوص، فتماز الأحكام المطّردة من الأحكام الغالبة، والأحوال القليلة من الأحوال النادرة، وتنسب اللهجات إلى أصحابها ما أمكن، وتفرد من ذلك كله الأحوال الشاذة، وما ألجأت إليه الضرورة الشعرية، فلا يعيث بين الشواهد والأحكام بلبلة واضطراباً، بل يصنف على حدة، لتاريخ الفن لا للاستعمال، فللشعر رخصه الخاصة، أو بعبارة أدق: نحوه الخاص، كما له لغته الخاصة ووزنه الخاص».

ولا يظن أحد أن الطريق طويل والعراقيل دون هذا الإصلاح جمة، **فإن أكثر ما أدعو إليه يسّره كتاب (حفني ناصف) وزملاءه رحمهم الله، وإن الزمن حذف وشذب كثيراً.**

ولست أدري كيف جهل المتصدرون للتيسير، هذا العمل العظيم الصامت، وتسارعوا إلى اقتراحات التيسير.

ضعف الطلاب

●● ما أسباب ضعف مستوى التحصيل عند طلابنا بصفة عامة، المتخصص منهم وغير المتخصص؟

● فيما يتصل بضعف مستوى التحصيل عند طلابنا بصفة عامة، المتخصص منهم وغير المتخصص، ما الذي قاد إليه؟

١ ـ أهو وجود خلل في عملية التعليم ذاتها أي ما يتصل بالمعلم؟

٢ ـ أم وجود خلل في مناهج التعليم وبخاصة أن بعض الناس يعترضون على وجود أبواب في مناهج التعليم لما قبل الجامعة لا تكاد تستعمل فيما جرى على ألسنة الطلاب؟

٣ ــ أم قلة ممارسة الطالب للفصحى بل انعدامها ، إذ لا يكاد يتصل بها قراءة أو حديثاً أو سماعاً في ظل هيمنة اللهجة العامية ؟

٤ ــ أم أسباب أخرى ترونها ؟

٥ ــ ما توصون به ؟

هل عليَّ من حرج أن أقول إن واضع السؤال ــ فيما أظن ــ من المتخصصين الواعين البصيرين بالداء والدواء ، فالأسباب الثلاثة الأولى كلها صحيح واقع وعلاجها بديهي .

فأما السبب الأول وهو الخلل في التعليم والمعلم فيكاد العلاج يكون واضحاً . إن المعلم الذي يشعر من نفسه ضعف المادة العلمية أو ضعف الإعداد المسلكي ، يتدارك من نفسه الخلل بدافع من (ضميره) بمذاكرة أعلم منه في صناعة التدريس وأقوى منه في العلم ، فما هي إلا أسابيع أو أشهر حتى يتم له التوفيق في عمله ، هذا إذا أراد حقاً وكان له ضمير . وإلا فالوازع الخارجي الصارم اللاحق هو العلاج .

أما السبب الثاني وهو حشر أبواب في المناهج لا آثار عملية لها فعلاجها حذفها .

والسبب الثالث وهو غياب الفصحى عن أسماع الطلاب فدواؤها أيضاً الاستجابة إلى الضمير ، ومتى **أراد المعلم** ومن فوقه ذلك بإخلاص وتأكيد سادت الفصحى الحوار والتقرير ، وانحجرت اللهجة السوقية خارج أسوار المدارس والمعاهد والمجالس والإدارات . فإن لم يكن ضمير فصرامة رجال الإدارات والتفتيش كفيل بحملهم على ذلك ، ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

أما السبب الذي أضيفه فهو تسيب ضوابط الامتحانات التي يتقدم إليها الطالب ليرتقي من مقرر إلى مقرر ، أو من صف إلى صف أعلى ، والدليل على ذلك أن مدرس يشكو أن طلابه لم يهيؤوا للمقرر الذي يدرسه وأن أساسهم ضعيف ، فإذا رجعت إلى درجاتهم التي نجحوا بها وجدتها جميعاً (امتياز) ، (جيد جداً) ، (جيد) ، وقل أن تجد فيها كلمة (ضعيف) ، يعني أن شكلية الامتحانات أدت إلى أن تكون الترقية (ترحيلاً) آلياً لا يدل على حقيقة ، فإن صح هذا فمعناه أننا لم نراقب الله في الأمانة التي حملناها ، ومعنى هذا في اصطلاح الناس اليوم أن (الضمائر) في واد وأعمالنا في واد .

وما أوصي به بعد ذلك ظاهر ، هو أن يكون التدريس تمليكاً للمادة العلمية بحيث يشعر الطالب أن المقرر ظهرت آثاره عملياً في لغته كلاماً وكتابة وتطبيقاً ، أما حفظ القاعدة كما هي في كتابه ، ووضعها في ورقة الامتحان ، وأخذه عليها درجة الامتياز إذا لم يغادر حرفاً من كتابه ، ثم فقدانها من ذهنه بعد شهر فليس ذلك من التعليم الصحيح في قليل ولا كثير .

أما أسئلة الاختبارات فينبغي أن تكون اختباراً لملكة الطالب في العلم ، لا لذاكرته الآلية ، وأن تكون الدرجات طبيعية تطابق خلق الله ، إن الله لم يجعل الناس كلهم أو أكثرهم بدرجة (الامتياز) أو (الجودة) ، بل فيهم القوي جداً والقوي والمتوسط والقريب منه والضعيف والأضعف ؛ إننا حين نشهد أن ٩٠٪ من الفصل (الصف الدراسي) بدرجة (امتياز) أو (جيد جداً) نزوّر الطبيعة تزويراً ساذجاً لا يخفى على الطلاب أنفسهم ، بله المسؤولين من رؤساء ومديرين ومفتشين ، بل إن واضع الدرجات نفسه يدرك جيداً ما صنع ، لكنه بعد استمراره في هذا الغش سنين يصدّق ــ لكثرة ما تعوّد ــ أن ذلك المقياس الزائف مقياس صحيح ، ويصدق عليه ما يقول علماء النفس ، كرّر ما يوقنه الناس كذبه اليوم مراراً كثيرة ، وعلى فترات ، فلا بد أن يصبح بعد وقت مناسب صدقاً عند أكثر الناس .

ليجرب المسؤولون ضبط الامتحانات وصدقها سنة واحدة بإحكام ، مهما يقلّ الناجحون ثم ليحصدوا في سنوات قادمة ثمرات هذا الصدق ، وإذا ضبط كل مدرس أمره بحيث لا يغادر الطالب مقرراً إلى أعلى منه إلا بعد إتقانه أو بلوغه فيه درجة متوسطة (متوسطة بصدق) على أقل تقدير ، فسرعان ما نلمس رقي المستويات في التحصيل

أما ما أوصي به ، فهو أن الأسباب الواردة في سؤالكم عن الذي قاد إلى ضعف الطلاب في العربية من خلل في أعمال التعليم والمعلم والمناهج فكلها أسباب ثانوية ، والسبب الأساسي من بينها واحد ، هو هيمنة اللهجة العامية على المدارس والكليات والمعاهد والجامعات ، وهو أسهل الأسباب علاجاً ، وعلاجه ضمير سليم وإدارة مخلصة . فينبغي ألا تتسرب هذه اللهجة إلى دور العلم والتعليم ، وإلى الإعلام بكل أجهزته ، بل تبقى اللهجات والدوارج للأسواق ، وحيئذ نكون مع الأمم التي أكرمت نفسها وأكرمت قيمها ، كالألمان والإنكليز والفرنسيين والإسبان وغيرهم .

فهل يستجيب المختصون في العلوم والإنسانيات (وأخجل من قولي :) والمختصون بتدريس اللغة العربية وأدبها ، بصون بيئاتهم العلمية والتعليمية عن مبتذلات الأسواق ؟

وهل يكرمون أنفسهم وعلمهم وحقوق أمتهم عليهم فيكرمون ألسنتهم عن الانحطاط إلى دركات السوقة والطغام ؟

بهذا يجب أن نبدأ إن أردنا الحياة بكرامة .

في سنة ١٩٢٨ م ، كنت مصطافاً في قرية قريبة من دمشق ، وكانت تكثر فيها إصابات (الملاريا) ، ويتعاهد المرضى كل أسبوع ، طبيب يغشى القرية صباح الجمعة وينزل في دار إمام المسجد ، ويرسل منادياً في الأزقة والحارات : « إن الطبيب في دار الإمام من الصباح إلى المساء » . ثم يغادر القرية ، فيأتي إليه المصابون رجالا ونساء وأطفالا ، ويصف لهم الأدوية ثم يرجع مع المغرب . هذا دأبه طول الصيف ، سنة بعد سنة . في طريقه إلى دار إمام القرية تنحدر عن يمينه حقول غير مستوية ، مملوءة بمياه ضحلة راكدة غطى سطحها البعوض .

مرّ يوماً إلى دار الإمام زائر ، فشكا له الإمام استيلاء الملاريا على أهل القرية ، مع أنهم دائبون على العلاج بـ (الكينا) و (الإسبرين) وكل ما

www.ahlaltareekh.com

«يجب أن تكون الدراسة العالية للنحو ثقافة شواهد بقدر ما هي ثقافة قواعد .

يوصي به الطبيب ، فقال الزائر وكان مثقفاً (اردموا المستنقع فهو السبب) ففعلوا وبعد شهر استغنوا عن الطبيب وعلاجه .

اطردوا العامية من مؤسساتكم تصيبوا العلاج الحاسم ، وتصونوا الأوقات والجهود من الضياع ، ذلك هو العلاج ، ذلك هو العلاج .

المنهج والشواهد

●● يرى بعض الناس أن هناك أبواباً في النحو العربي لا يكاد المرء يجد لها شواهد في كلام الناس ، بل إن وجودها لا يكاد يخرج عما أورده النحاة من شواهد لها . وهي شواهد يثور من حولها الشك ، وبخاصة تلك التي لم تتحقق نسبتها الصحيحة إلى قائليها أو التي وردت مجهولة النسبة ، مما يقود إلى القول بأنها من صنع النحاة . ومع ذلك فإنها وأبوابها ما تزال تدور في مناهج التعليم على اختلاف مستوياتها ؟

● قدمت أن كل ما بني على شواهد مجهولة القائل ، أو شواهد محرّفة ، أو شواهد مزوّرة (مفتعلة) ينبغي إطراحه وإطراح ما بني عليه . **وأزيد أن الدراسة العالية لمادة (النحو) يجب أن تكون ثقافة شواهد بقدر ما هي ثقافة قواعد** ، بحيث لا يتخرج الطالب إلا متقناً لنقد الشواهد عملاً لا نظراً فقط ، فيستبعد كل شاهد لا يعرف قائله ، أو فيه علة من العلل المانعة الاستشهاد به ، جربت هذا مع طلابي في جامعة دمشق وغيرها منذ الخمسينات ، وجعلت مآخذ الشواهد في مقدمة دراستهم النحو في السنة الأولى ، وحشرت لهم في آخر كل بحث شواهد عدة ليطبقوا عليها قواعد الاحتجاج ، حتى صار لبعضهم ملكة لا بأس بها في امتحان الشواهد ، وظهر أثر هذه الطريقة فيما حققوا من آثار السلف وهي غير قليلة .

وحرام في عصر شاع فيه المنهج العلمي ، وتيسر لكل محقق ما يعينه ليكون نقده دقيقاً علمياً ، حرام أن يبقى في كتبنا ما لا يثبت على النقد من شواهد وقواعد ، وإذا عذر الأقدمون في إغفالهم تلك القواعد النقدية ، فنقل خالف عن سالف ما أخطأ فيه حتى تراكم هذا الخطأ فيما أُلف في عصور التخلف ، من مكدسات الأقوال والشواهد ما هبّ منها ودبّ لا نعذر نحن اليوم . لقد انتشر العلم وانتشر منهجه ، وعلينا أن نطبقه فنوفر على طلابنا أوقاتاً هم أحوج إليها في تذوقهم بلاغة اللغة وعبقريتها .

وكل الذي ورد في سؤالكم من اضطراب الشواهد والقواعد مع بعض الزيف واقع يجب التخلص منه .



سعيد الأفغاني .. في سطور

● من مواليد دمشق ـ عام ١٩٠٩ م .

● الإجازة من الجامعة السورية في علوم اللغة العربية وآدابها عام ١٩٣٤ م .

● عمل أستاذ كرسي لعلوم اللغة العربية في جامعة دمشق ، فرئيساً لقسم اللغة العربية ، ثم عميداً لكلية الآداب .

● أحيل إلى التقاعد منذ ١٩٦٩/١/١ م .

● شارك في عدد من المؤتمرات .

● عضو مؤازر في المجمع العلمي العراقي ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة .

● أعماله في التأليف والتحقيق :

★ في التأليف :

١ ـ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام .
٢ ـ ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة .
٣ ـ الإسلام والمرأة .
٤ ـ عائشة والسياسة .
٥ ـ في أصول النحو .
٦ ـ الموجز في قواعد اللغة العربية وشواهدها .
٧ ـ من حاضر اللغة العربية .
٨ ـ نظرات في اللغة عند ابن حزم .
٩ ـ من تاريخ النحو .
١٠ ـ معاوية في الأساطير .

★ في التحقيق :

١ ـ الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي .
٢ ـ المفاضلة بين الصحابة للزركشي .
٣ ـ جزء ابن حزم من مخطوطة سير النبلاء للذهبي .
٤ ـ جزء السيدة عائشة من مخطوطة سير النبلاء للذهبي .
٥ ـ تاريخ داريا للقاضي الخولاني .
٦ ـ الإغراب في جدل الإعراب لأبي البركات الأنباري .
٧ ـ لمع الأدلة لأبي البركات الأنباري .
٨ ـ الإفصاح للفارقي .
٩ ـ ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان لابن حزم الأندلسي .
١٠ ـ حجة القراءات لابن زنجلة .

في ذكرى وفاة (عبد الله العجيري)

راوية الأدب والتاريخ في جزيرة العرب

بقلم: د. خالد محمد نعيم

في شهر أيلول (سبتمبر) عام (١٩٣٣م، ١٣٥٢هـ)، توفي الشيخ (عبد الله بن أحمد العجيري)[١]، الذي كان الحجازيون يلقبونه براوية الأدب في جزيرة العرب، توفي عن عمر يناهز السبعين من عمره[٢]، وليس كما ذكر البعض: «توفي عن عمر يناهز الخامسة والتسعين»[٣]، فقد ولد رحمه الله في عام (١٨٦٣م، ١٢٨٠هـ)، بمنطقة (الحوطة)، بالحجاز، وهي المعروفة سابقاً، بحوطة بني تميم، في إقليم يبعد عن مدينة الرياض بنحو مائتي كيلومتر جنوبياً. وقد وافاه الأجل فيها أيضاً.

وكان الشيخ ــ رحمه الله ــ قد قضى حياته كلها في حفظ أخبار الحروب والأحاديث النبوية، وأشعار الجاهلية والإسلام. وكانت ذاكرته قوية إلى حد لا يصدق؛ فكان إذا أراد أن يحفظ قصيدة ــ مهما كانت طويلة ــ يكتبها بخطه الجيد المتقن للغاية، على الورق، فإذا فرغ من كتابتها، وجد أنه قد حفظها وقد انطبعت أبياتها على صفحة ذاكرته إلى ما شاء الله، فيمزق الورق، فيرويها من دون أن تفوته منها كلمة. وكان إلى جانب حفظه قوي الفهم، سريع الخاطر، عالماً بأسرار المعاني، خبيراً بدقائق صناعة الكلام، والبلاغة.

مع الملك عبد العزيز

ومما يذكر عنه أن **جلالة الملك عبد العزيز** قد صحبه في رحلة تاريخية عبر الصحراء، وهو في طريقه إلى **مكة المكرمة** عام (١٩٢٤م، ١٣٤٣هـ)، على ظهور الجمال، وكان يصحب الملك عبد العزيز بعض رجال حاشيته؛ فجعل راوية الأدب يتلو على الملك كل ليلة آيات قرآنية، ويروي الأحاديث النبوية، وأخبار العرب الأولين، وأقوال الشعراء النجديين وغير ذلك. وظل على هذا النحو ستاً وعشرين ليلة، في أثناء الحرب الحجازية، لم يعد فيها على مسامع الملك ورفاقه شيئاً مما ذكره ورواه من قبل. وكان في كل ليلة يستمر في الرواية ساعتين، أو ثلاث ساعات، من دون أن يتوقف في حديثه أو تخونه الذاكرة لحظة واحدة.

شهادة معاصريه

وقد كتب عنه (**يوسف ياسين**)، رئيس تحرير جريدة (**أم القرى**): «... كان يتخذ لمحاضرته موضوعاً من المواضيع الخاصة، يبدأه بقوله فصل في مكارم الأخلاق. ثم يتلو ما ورد عن ذلك في كتاب الله، ثم يروي ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ما ذكرته العرب في أشعارها وما تناقلته في مجالسها من منثور ومنظوم. كل ذلك عن ظهر قلب بغير أن يتبع في ذلك كتاباً معيناً، فإذا رأى الناس امتلأت نفوسهم من ذلك، انتقل إلى موضوع آخر فقال: فصل في ما ورد في فضل الجهاد في سبيل الله. وروى في ذلك ما شاء له الله أن يروي!»[٤].

وقال عنه أحد عارفيه: «إن العجيري لم يكن يعيد قراءة قصيدة سبق له أن حفظها للمرة الأولى، فإن ما كان يحفظه في ذاكرته، كان ينطبع فيها إلى ما شاء الله. وكان كثيرون يقصدون إليه لسؤاله عن قول هذا أو ذاك من الشعراء، ولم يحدث أن سأله أحد عن شاعر من شعراء الجاهلية والعصر الإسلامي إلا وذهب يروي سيرته، ونوادره، وروائع أشعاره، وأخباره. فكأن ذلك النابغة المدهش، كان يحفظ عن كل شاعر عربي قولا مأثوراً إن لم يكن يحفظ منه قصائد كاملة»[٥].

ومن عادات الشيخ العجيري، أنه كان يرافق القبائل في الحروب والغزوات، وكان وهو في الطريق معهم، يتلو ما من شأنه أن يبعث الحماسة في النفوس، ويستحث الرجال على الجهاد، وكان ذلق اللسان جهوري الصوت، حتى إذا ما انتهت المعركة وعاد المقاتلون من حروبهم أو غزوهم، جعل (العجيري) يتلو عليهم ما قيل في حب الوطن، والشهامة، والحنين إلى مرابع الأحباء والأهل والعشيرة، فيزيد في القوم الرغبة في العودة إلى مضاربهم وملاقاة أهلهم وذويهم.

وكثيراً ما كان يفد إلى مسقط رأسه (**حوطة بني تميم**)، حيث كانوا يعدون له مجلساً متسعاً، يفرش، ويحضره كل شباب ورجال وشيوخ البلد، ليستمعوا إلى وعظه وإنشاده، بصوته العذب المرنم. وكثيراً ما

كان الجالسون معه يأخذون على حين غرة منه لكي يوقعوه في حيرة ، ولكنهم لم ينجحوا قط معه فإن ذاكرته المدهشة العجيبة كانت تلبيه في كل ظرف وحال .

مواهب جمّة

وكان ــ رحمه الله ــ قد قام بعديد من الرحلات إلى أنحاء الجزيرة العربية ، فزار إماراتها ومواطن القبائل فيها ، وكان معروفاً مشهوراً في كل مكان ، « بحسن صوته (وتنغيمه) وجمال النبرة فيه ، حتى أصبح علماً في ، فن الإسماع والقراءة »[٦] . وكان الناس يستقبلونه بالترحاب أينما حل ، فتعقد المجالس حوله ، ويأخذ (العجيري) يروي من عجائب منقوله ما يدهش القوم . . وكثيراً ما كان يقص على الأسر الكبيرة في بلاد العرب ، حوادث تتعلق بأسرهم ، وأبناء هذه الأسر يجهلونها ، ولا يعرفون عنها شيئاً .

وكان الشيخ العجيري ، شاعراً فذاً ينظم الشعر من وقت إلى آخر ، ولكنه ــ رحمه الله ــ لم ينصرف إلى النظم بل آثر حفظ أقوال الشعراء الأقدمين ، والمعاصرين له ؛ فقد كان حجة في حفظ الأشعار والتاريخ والسير والوعظ . ولقد صور الشيخ يوسف ياسين ــ رئيس تحرير جريدة أم القرى ــ في رحلته عام (١٩٢٥ م ، ١٣٤٤ هـ) ، إلى الحجاز على ظهور الجمال ، صور الشيخ العجيري ، وهو يحث راحلته في الركب الملكي رافعاً عقيرته في ظلمة الليل الحالك ، ودون أن ينظر إلى كتاب أو أن يطلع على ورق . . قال :

(كان يغرب ويشرق . . يجوب حدائق الأدب ، فيقطف من كل غصن زهرة ، وينثر على مستمعيه جني ما اجتناه ، وما استودعه ذاكرته التي لم تخنه في ليلة ، ولم تعز عليه ، طول وتكرار الأيام) .

وقال الشيخ يوسف ياسين :

(إن العجيري كان يجيد ترتيل القرآن الكريم . . وإذا تلا شيئاً من كتاب الله ، ونحن في السفر صحبة جلالة الملك عبد العزيز أنصت الكل له ، والتف الركب حول راحلته . . يرتل القرآن بصوت جهوري جميل بترتيل تكاد تمد منه الحروف . . وهو يلاحظ المعنى الذي تفيده الآية ويشعر به فإن كان الكلام وعيداً رجف صوته وارتعش ، وإن كان وعداً أسلس صوته وأبرقت أسارير وجهه) .

وقال يوسف ياسين :

(لولا ظلمة الليل وقلق راكب الراحلة ، لاقتطفت مختارات مما يحفظه العجيري ، وأودعتها للأمة العربية كتاباً سائغاً في الأدب العربي)[٧] .

محفوظه

وهذا بعض مما كان يحفظه العجيري : القرآن الكريم ، وكثير من كتب الحديث لا سيما مسند الإمام أحمد الذي كان يحفظه عن ظهر قلب ، والأغاني للأصفهاني ، وثلاثة أجزاء من كتاب البيان والتبين ، وديوان النابغة الذبياني ، وأدب الكاتب ، وروضة المحبين ، وثلاثة أجزاء من الأمالي لأبي علي القالي ، وديوان عنترة بن شداد ، وثلاثة أجزاء من الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي ، ومقامات الحريري ، ودواوين شعر مختلفة لا يحصرها عدد[٨] . وقيل عنه كذلك إنه كان يحفظ كتاب الكامل للمبرد والكشكول وكتب أدبية ودينية وتاريخية[٩] ، هذا فضلاً عن الأخبار التي كان يسمعها أو يقرأها مرة واحدة ، فيحفظها وتنطبع في ذاكرته بصورة لا تمحى .

وقال عنه أمين الريحاني :

(يتحدث بلفظ منسجم على غاية من البلاغة والإيجاز . . ولا تظن أن ذلك إلا من مروياته . . وما هو في الحقيقة إلا من نسج لحظاته وخياله . . فهو سيد المجالس ، وزينة المحافل ، وهو خليق بأن يعد من الضنائن)[١٠] .

هذا هو النابغة العربي ، عبد الله العجيري ، الذي فقدته الأمة العربية ، وهو في السبعين من عمره الحافل ، ففقدت بوفاته سجلاً أدبياً مدهشاً .

الهوامش

(١) العجيري نسبة إلى عجرة ، اسم موضع أو قبيلة في الجزيرة العربية . وبيت العجيري بيت علم وأدب منذ القدم ، وكان جده سعد بن حمد العجيري ، أحد علماء الحوطة ، ومرجع الفقه ، والإفتاء فيها على زمن الإمام سعود بن عبد العزيز الكبير ، وقد ولاه الإفتاء والقضاء فيها .

(٢) كل شيء والدنيا (مجلة أسبوعية) ، العدد ٤١٢ ، ٢٧ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٣٣ م ، ص ٣٨ ــ ٣٩ .

(٣) الحرس الوطني (مجلة شهرية) ، العدد ٢١ ، السنة الخامسة ، أغسطس (آب) ١٩٨٤ م ، ص ٥٥ . ويذكر عبد الرحمن بن سليمان الرويشد « أنه ولد قبل ذلك بعشر سنوات » ، ولم يذكر سيادته تاريخ مولده ! ! .

(٤) المصور (مجلة أسبوعية) ، عدد ١٧ يوليو (تموز) عام١٩٣ م ، نقل هذا النص سعادة (فؤاد حمزة) وكيل خارجية الحجاز ، عندما زار مصر في ذلك العام ، وأدلى إلى أحد مندوبي (المصور) بحديث عن أخبار الحجاز ، أشار فيه إلى الشيخ عبد الله العجيري .

(٥) كل شيء والدنيا (مجلة أسبوعية) ، العدد ٤١٢ ، ٢٧ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٣٣ م ، ص ٣٩ ، وهذه المجلة ، كانت تصدر عن دار الهلال بالقاهرة .

(٦) عبد الرحمن بن سليمان : الراوية الأعجوبة ، (الحرس الوطني) ، عدد أغسطس (آب) عام ١٩٨٤ م ، ص ٥٥ .

(٧) الحرس الوطني (مجلة شهرية) ، العدد ٢١ ، السنة الخامسة ، أغسطس (آب) عام ١٩٨٤ م ، ص ٥٦ .

(٨) كل شيء والدنيا (مجلة أسبوعية) ، العدد ٤١٢ ، ٢٧ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٣٣ م ، ص ٣٩ .

(٩) أمين الريحاني ــ ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية ، جزآن ، المطبعة العلمية بيروت ، ١٩٢٤ م .

وانظر كذلك : تاريخ نجد الحديث وملحقاته ، الطبعة الثانية ، دار الريحاني للطبع والنشر ، بيروت ، ١٩٥٤ م .

(١٠) أمين الريحاني ــ تاريخ نجد الحديث وملحقاته ، ص ٧٢ ــ ٧٣ .

بدايات

آلة تصوير المستندات

رافد جديد ومتسع الامتداد من روافد التقنية الحديثة .. هي واحدة من أفراد عائلة آلة التصوير ، كما أن لها صلة قربى بالطباعة والنسخ .. لذلك لا يمكن الغوص في المحاولات الأولى لابتكار هذه الآلة دون التعرض لصف طويل من آلات التصوير والطباعة كما قلنا .. لكن أول من اخترع آلة تصوير المستندات هو الأمريكي **تشستر . إف . كارلسون** في عام ١٩٣٨ م .

في عالم اليوم توجد مئات الملايين من آلات تصوير المستندات Photocopien هذه .

ويكفي للدلالة على تزايد معدلات استخدامها ، الإشارة إلى أن **المملكة المتحدة (بريطانيا)** كانت تمتلك مائة مليون آلة وحدها ـ في عام ١٩٧٤ م ـ وتقدر قيمتها بمائتين وأربعة وثلاثين مليون دولار تتزايد بمعدل ١٠٪ سنوياً .

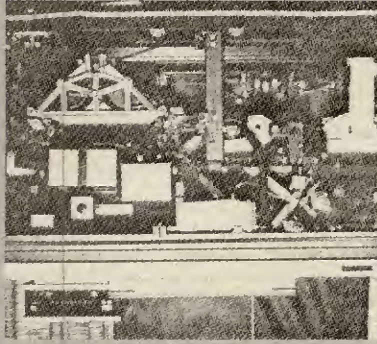
أكثر الآلات شيوعاً تلك التي تعمل بالنظام الكهربي الإستاتيكي المباشر ومن أهم أنواعها آلات الزيروجرافي Xerography . (كلمة زيروجرافي مشتقة من كلمتين لاتنيتين هما Xero بمعنى «جاف» و Graphy بمعنى «كتابة» .. وبذلك تعني الزيروجرافي : الكتابة الجافة) .

والنوع الثاني من الآلات هو العامل بالنظام الكهربي الإستاتيكي غير المباشر .. ويختلف نوع الورق المستخدم في كلا النوعين .. حيث يستخدم النوع الأول ورقاً مبطناً بمركب أوكسيد الزنك الحساس للضوء .. أما النوع الثاني فيستخدم أسطوانة حساسة للضوء .

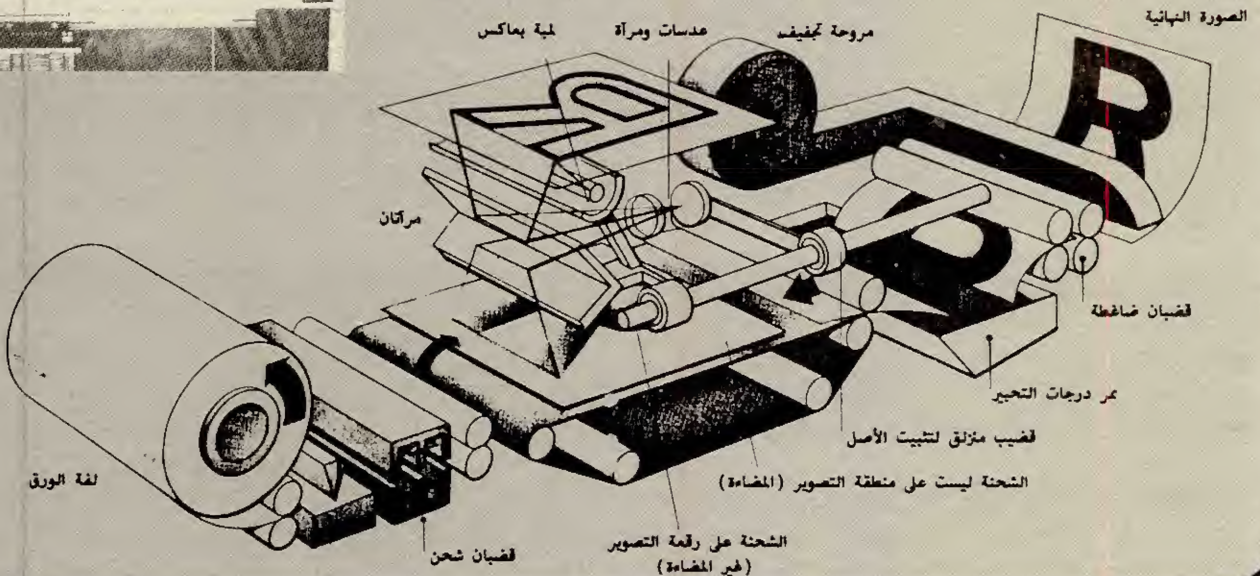
هذا .. وفي أواخر الخمسينات حدث الانفجار التجاري في بيع واستخدام تلك الآلات مع ظهور الأنواع التي تتميز بالسرعة والآلية في طباعة وتصوير المستندات .

على أن أسرع آلة تصوير مستندات ـ من النوع الأول ـ تستطيع إنتاج ثلاثة آلاف وستمائة صورة في الساعة الواحدة .. أما بعض أنواع الآلات غير المباشرة التي تعمل بورق غير حساس (مثل زيروكس ٤٠٠٠) فتستطيع العمل بمعدل ٤٣ صورة في الدقيقة الواحدة ، أي بمعدل ألفين وخمسمائة وثمانين صورة في الساعة الواحدة . (انظر الصورة) ..

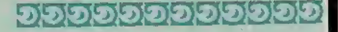
★ آلة تصوير المستندات من الداخل ★



★ رسم توضيحي للآلة من الداخل وكيفية عملها ★



من المكتبة السعودية



● الكتاب : الحياة الفكرية والأدبية .

● المؤلف : د . عبدالله ابن محمد بن حسين أبو داهش .

● الناشر : نادي أبها الأدبي ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م .



هذا الكتاب الضخم ـ مادة وفكراً ـ هو في الأصل الأطروحة التي حصل بها على درجة الدكتوراه منذ سنوات ، وإعادة طبعها لا يعني إطلاقاً أنها نفدت بطبعتها الأولى لقيمتها العالمية ـ فما أكثر ما بيع التافه والسطحي من الكتب ـ ولكن لأنها تتضمن حشداً من معارف عامة وخاصة يبدو أن « السوق » محتاج إلى أن يروّجها .

والقضية على هذا النحو خطيرة ، لأنها تعني أن تكرار المادة المطروحة تحت أي اسم يمكن أن يكون لها صدى كبير في أي وقت وداخل أية مؤسسة . وهذا في حد ذاته يعني بدوره إما أننا لا نقرأ فنفرّق بين الزيد وما ينفع الناس ، وإما أن المؤلف لم يدرك بعدُ أن ثمة معارف استهلكت ويكون صعباً أن نلح عليها ببعث يشبه بعث لعازر أيام المسيح .

ولقد حيرني كتاب الدكتور عبدالله أبو داهش بحق ، برغم تسليمي الكامل بأن جهده فيه أقيم على قاعدة تطهير ما جمع من شبه الرحالين ـ بركهارت وغيره ـ وتقديم الحقيقة التاريخية موثقة عن الجنوب في الحيز الزماني الواقع بين أعوام (١٢٠٠ ـ ١٣٥١هـ) (١٧٨٥ ـ ١٩٣٢ م) .

وهذا الحيز الزماني نفسه سبب أول من أسباب الحيرة ، لأنه لا يثير إشكالية تقضي على طالب الدكتوراه أن يعمقها ويقدم أسبابها ، ليصل إلى نتيجة أو نتائج حضارية تشجب كل عمليات التسجيل التاريخي الذي يجري على سننه من هبّ ودبّ .

والبداية أيضا ـ وقد ارتبطت بمطالع القرن الثالث عشر الهجري ـ لها امتداد سابق يمكن أن نطالب المؤلف بتقديمه . وكذلك الختام : فإنه لا يفصل فيه علمياً ولا حضارياً على نحو معقول ومقبول أن يتحدد بدخول بلاد الجنوب مرحلة فكرية جديدة ، لمجرد الشروع بتوحّد البلاد على يد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه .

ومن أسباب الحيرة عدم صدق العنوان ، أعني عنوان الكتاب ، على ما أدرج تحته لينمّ عليه . حقيقة لا بد من توفّر البعدين التاريخي والاجتماعي ـ وفق منهج هيبولين تين المستهلك ـ وذلك لفهم الفكر والأدب في إقليم أو في بلد ما ، لكن هل من الضروري أن نرفع شعار المعلومات نفسها التي يقولها الجغرافي والاجتماعي والمؤرخ والسياسي ؟ وهل لو جاز ذلك ، جاز أن يحتشد له فلان وابن فلان وعلان وترتان ؟

وماذا يجدي أن نقرأ عند الدكتور عبد الله أبو داهش كلاماً مكرراً عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، وهذه عرض لها عشرات ، بل مئات بلا إضافة ولا تفسير مخالف ، وبلا غضّ عن التوافه التي ترصد الملبس والمسكن و اشتيار العسل وأهمية سعف الدوم وأكل القطاط وجيف الحمير ـ في الأزمات ـ ونوع العملة المتداولة وإعلان الثأر في الأسواق .

أنا أسأل : ما أثر ذلك في الأدب ؟

بل إن الحياة العلمية والفكرية إذا أقيمت على مجرد تأريخ التعليم بداية بالكتاتيب التي أثقلت ذاكرتنا بمن أنشأوها ، وهم نحو مائة اسم نكرة ربما ضاق ببعض أصحابها أهالي الجنوب ، وربما لا ترفع من قيمتهم وجود معلمة للبنات ، ذكر علي بن محمد السنوسي أن عبد الله بن أحمد المطهر الذي وجد في جازان كان يسكن «هو وعمته المعلمة للبنات» (ص ٤٩) ـ يا للمجد ! ـ ووجدت أخرى اسمها عيساية ، وثالثة كانت في الملحاء بصبيا كانت أختاً للقاضي القبي ، ورابعة في قنفذة اسمها لولة !!

لقد كان أبو داهش في هذا الجزء من كتابه حاطب ليل (إلى ص ٧٤) .

وثمة أسباب أخرى للحيرة ، ربما أخلص منها بأن يستجيب أبو داهش فيبدأ كتابه ـ من جديد ـ بما وضع له عنوان « الحياة الفكرية » (ص ٧٥) وما بعدها ، بشرط أن يقوم بنخْل هذا الفصل

www.ahlaltareekh.com




★ د. عبد الله بن محمد بن حسين أبو داهش ★

وتصفية قوائم أعلامه التي غرقت بين الأقواس ممن كان دورهم في الفكر هامشياً. وعلى أية حال ليس كل من عقد ندوة في بيته أو أقام مجلساً هنا أو هناك مفكراً، وليس كل من ترددوا عليه ممن يحسب لهم حساب فعّال في تطور حركة الفكر.

ومثل هذا يقال – بلا حرج – عن علماء ألمع وعسير ومكتباتهم، وكذلك ما عرفوا به من دقة وتحقيق. لأن الأصل في العالم أن يبرز بشيء آخر، وأما أن يوصف بالدقة أو بالتحقيق أو بكليهما فتحصيل حاصل، وليس يضيف إلى صورة الفكر ملمحاً أو ملامح خاصة محددة.

أي أن الباب الأول كله من أبواب الكتاب لا غناء فيه ولا جدوى، إلا حين يضع الدكتور أبو داهش يدنا على الخط الفكري: كيف بدأ، وعلى أي نحو اطردت خطواته، وماذا أصبح والمملكة على باب إرهاص جديد؟

وأما الباب الثاني فعن النثر (ص ص ١٢١ – ١٩٠) وفيه كان للمؤلف صفة الدارس المعتدل والباحث الذي يريد ألا يشغلنا بجانبيات هي من هذا وذاك. فتحدث بسرعة ولكن بسداد عن الرسائل بنوعيها المعروفين تراثياً في فصل، وفي فصل آخر عرض للمقامات والخطابة والتاريخ، كي يفرغ بعد ذلك للباب الثالث – أهم بحوث الكتاب وأكملها – وقد خصَّ به الشعر (ص ص ١٩٣ – ٣٠٩) موزعاً على الخلاف السليماني في فصل، وألمع وعسير في فصل ثان.

ثم عقد فصلاً ثالثاً تحدث فيه عن خصائص الشعر المعنوية والفنية بعد أن بين من قبل تردده بين التقليد غالباً والمستحدث قليلاً – من قبيل التوشيح على أحسن الفروض – فكان مسك الختام، وإن يكن ثمة، ما هو أغلى – في ميدان العطور – من المسك وأروع!

أعني أن التقويم برغم ملحوظات المؤلف فيه عن ميزات شعر الحنين – وبخاصة في شعر المنفى – والتصوف المتفاوت مقداراً وقيمة بين ألمع والخلاف السليماني... هذا التقويم لم يأت بما يحسب لشعراء الجنوب وحدهم، ربما لأنهم يمثلون أحد أقسام الشعر في جزيرة العرب. إلا أن المؤلف أشار إلى اختلافات فنية اقتضاها اختلاف الأماكن، ولعل هذا يفسر لنا لماذا غرق شعراء عسير في بحر البديع وضبابيات الزخارف اللفظية.

وبعد، فإن الكتاب برغم الزيادة فيه وتشعبه وهنوات بدرت من المؤلف في بعض جوانبه، جدير بالتقدير، ومطلوبة قراءته.



● الكتاب: زوجتي وأنا. (قصة طويلة)

● المؤلف: الدكتور عصام خوقير.

● الناشر: تهامة جدة. ط(١)١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م. (٢٠٠) صفحة.



الراوي في هذه القصة الطويلة – أو الرواية كما أطلقت عليها تهامة في ظهر الغلاف – هو البطل (ناصر) رجل الأعمال. وبمقدار ما يكسب هذا الأسلوب الفني – أسلوب الراوي المتكلم – القصة أبعاداً نفسية عميقة في الكشف عن الخبايا، يفقدها أبعاداً عريضة عن الواقع الخارجي الحسي.

ومن هنا كانت قصة (زوجتي وأنا) رحلة في عالم النفس الإنسانية المعاصرة، أكثر مما هي رحلة في العالم المنظور، أي تتجه إلى عالم الشعور أكثر مما تتجه إلى عالم الحس. ولذلك لم تكن للراوي – أو القاص – عين ثاقبة تنفذ إلى عالمنا المرئي. فلم يلجأ إلى حسه التصويري إلا بمقدار ما كانت تسعفه به ذاكرته من الشعر ومحفوظاته عن الآخرين. ولقد كانت هذه القصة الطويلة تقوم وتشمخ باعتمادها على الحوار العامي الفصيح، الذي كان ينهض إلى حد كبير بتجسيد الملامح الدفينة لأعماق شخصياته. فقد سخَّر القاص حواره أحسن تسخير في إنارة ظلمات النفس البشرية.

وليس معنى هذا أن القصة خلت من عنصر الحركة والإثارة والسرد.. وإنما كانت تزخر بالأحداث المتتابعة المثيرة التي تشد انتباه القارئ من أول صفحة حتى آخر القصة. وقد تستحيل تلك الأحداث إلى مشاهد يومية في العمل





★ د. عصام خوقير ★

والمنزل والرحلات سواء أكانت داخل الوطن أو خارجه، ومع الأسرة والأهل والأقارب أو بمعزل عنهم.

وقد اعتمد الكاتب (خوقير) في رؤيته الفنية على الرسم الدائري.. أي أنهى قصته بذات الفكرة الأساسية التي بدأ بها؟ إذ بدأ بفكرة السعادة التي تحققها زوجة الراوي الأخيرة ـ بعد تجارب أربع مع ذوات الشهادات العالية ـ المتسمة بالبساطة والعفوية والثقافة المحدودة والسذاجة لدرجة الغباء.. وانتهى بتلك الزوجة التي يفاجئه نجاحها بالشهادة الإعدادية، وكلماتها تدق رأسه كالمطارق: (رايحه أواصل لحد الجامعة وآخذ الليسانس).. ولكنها تدرك وقع كلماتها القاسية عليه فتقول: (لكني برضه راح أكون لك أم محيسن اللي تعرفها، الساذجة، البسيطة، اللي كنت تعرفها، المحبة اللي كنت تعرفها، الزوجة والأم والأخت و.. وال..).

وهذه دعوة صريحة من الكاتب، في أن الرجل لا يسعد بالمرأة الجامعية، وإنما بالمرأة الساذجة حتى ولو بلغت درجة الغباء كما هو الحال مع بطلتنا الزوجة.

ويبدو أن ذلك الغباء هو مصدر سعادة بطلنا الراوي.. فقد بدت لنا القصة أشبه بلقطات سينمائية أو مسرحية تمثل أدواراً هزلية (كوميدية) لامرأة جاهلة تتصرف وتتكلم وتسأل بأشكال ضاحكة.. نجح الكاتب في تصوير تلك الحالات أو المفارقات التي تسلكها.

وإذا كانت هذه المرأة تتصرف بجهل أو غباء، فإنها لا تعدم السخرية التي تفصح عن عفوية كاشفة لأعمان الزوج، ومظاهر العصر المادي، ولذلك فقد عالجت هذه القصة بأسلوبها الساخر الكثير من أمراضنا الاجتماعية المعاصرة.. وأبرزت العيوب والعادات والمفاهيم والعقليات في بعض مناطق المملكة العربية السعودية.

ولقد جانب القاص التوفيق في تلك المفاجأة التي أنهى فيها قصته، إذ بدت لنا غير حقيقية، أو غير مقنعة على الأقل.. فكيف تنال بطلتنا الشهادة مع العلم أنه نوّه عنها بأنها «لا تجيد القراءة ولا الكتابة» (ص ٧٦). كما أنه قد ينطقها كلاماً لا يصدر من امرأة ساذجة جاهلة مثل قولها: «يا سبحان الله على الفلوس وما تفعل الفلوس، حتى اللغة العربية طوعتوها لمفاهيم المال وغيرتم مفاهيمها» (ص ٤٩).



● الكتاب: قضايا جامعية.

● المؤلف: د. صبحي عبد الحفيظ قاضي.

● الناشر: دار الإصلاح للطبع بالدمام. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.



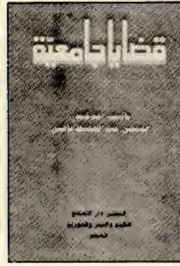
هذا كتاب مفيد، بل عظيم الفائدة.. لأنه أولا أحد المؤلفات التي يندر وجودها في المحيط الأكاديمي، من منطلق أن الجامعات تشجع التأليف في شتى مجالات المعرفة سوى ما يتصل بنفسها.. مع أن كل جامعة ـ في الحقيقة ـ هي نواة التطوّر ومناط التجديد، والمتجه الرئيسي نحو رفاهية الأمة، وما دام ذلك كذلك فلا بُدّ من أن تخضع للدراسات المتعمقة التي تشرح الأوضاع الأكاديمية لمعرفة أي خلل يطرأ عليها.

ذلك أولا، وأما ثانياً فلأن مؤلفه رأى كل ذلك وتجرد لما رآه قضايا جامعية خطيرة يجب طرحها.. أي حرص على أن يجعل هدفه الرئيسي عرض تلك القضايا طالما كانت ماسة لكيان التعليم العالي، من أجل إنجاحه جامعياً في إعداد المواطنين الأكفاء الصالحين العاملين دوماً على النهوض بوطنهم.

وقد حصر المؤلف القضايا في سبع مجموعات هي:

(١) قضايا تتعلّق بالإدارة الجامعية.
(٢) قضايا تتعلّق بأعضاء هيئة التدريس بالجامعة.
(٣) قضايا تتعلّق بالمنهجية في الجامعة.
(٤) قضايا تتعلّق بطالب الجامعة.
(٥) قضايا تتعلّق ببحوث الجامعة.
(٦) قضايا تتعلّق بالتقييم.
(٧) قضايا تتعلّق بفلسفة التعليم الجامعي.

وكخطوة أولى في البحث طالب بأن تتمّ الدراسة تقارنياً أي بالنظر إلى



المؤسسات التعليمية العالية في فرنسا وألمانيا واليابان والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .. لأن في تلك التقارنية ما يسعف على تحديد أهداف التعليم العالي ، من حيث تنمية الولاء لله ، واستثمار هذه العقيدة في تنمية الإمكانات العلمية والعملية .. ومن ثمّ يوجد المؤهَّل والنابغة الذي يهيأ له طريق الدراسات العليا المتخصصة ، كما يهيأ المجال في البحث العلمي من ناحية ، وفي النهوض بحركة التأليف بما يطوّع العلوم لخدمة الفكرة الإسلامية - في المملكة على الأقل - من ناحية أخرى .

هذا بالإضافة إلى الترجمة سواء فيما يختص بمعاني القرآن الكريم ، وما يختص باصطلاحات العلوم ونحوها .. هذا بالإضافة إلى إنجاز الخدمات التدريبية والدراسات التجديدية !

الفكرة على هذا النحو نبيلة ، والهدف جليل ...

وقد جمع الدكتور صبحي قاضي أمره على أن يبسطها - أي الفكرة - في كتابه موزعة على فصول تبرز بطريقة علمية تاريخية مقارنة كل ما يتصل بالجامعة ويبلور مشكلاتها . وقد جاءت الفصول عشرة ، أولها في تاريخ التعليم العالي عربياً إسلامياً ودولياً ، وآخرها « شكل » التعليم العالي في خمس دول هي على التعاقب : روسيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية وأميريكا .

وزاد ثلاثة ملاحق أولها قائمة بأسماء الجامعات المعترف بها في منح الدكتوراه بأميريكا .. والثاني قائمة بالمراجع العربية .. والثالث قائمة بالمراجع الإنجليزية .

وكل من تلك الملاحق يسعف على تحقيق الغاية من كتاب منهج يناقش « قضايا جامعية » في مرحلة تعتبر من أخطر مراحل حياتنا ، وفي عصر بات يؤمن بأمرين : بالتقدم التكنولوجي ، وبالتخطيط من أجل النمو الرشيد .

ولسنا نجد أي عناء في تلخيص فصول الكتاب ، كل فصل على حدة - وبخاصة بعد أن بينا أساسه ومغزاه - وإنما سنأخذ أنفسنا بتقديم الأبرز أو الأخطر كدليل على أهمية الكتاب .

من ذلك - مثلاً - ما جاء في الفصل الثاني بعنوان « الجامعة الكبيرة والجامعة الصغيرة » (ص ص ٢٩ - ٤٢) ، يريد بالصغيرة ما لا تحتوي على جميع التخصصات ، ويعلن رفضه للجامعة الكبيرة التي تحتوي التخصصات المتعددة فتشكل اتجاهاً أفقياً قليل الجدوى ..

كما يرفض فكرة الانتساب بقدر ما يروج بالقبول لفكرة الكليات المتوسطة التي انتشرت في أميريكا ، ولعل نجاحها يحفزنا - نحن العرب - إلى التوجه نحوها !

ومن ذلك أيضاً « البحث العلمي في الجامعات » (ص ص ٧٥ - ٨٩) ، وقد استهدف المؤلف فيه تحقيق الانتماء إلى تخصص معين يفرد له البحث العلمي المنظم ، وذلك على أساس دوافع يجب تقويتها ، بعيداً عن أية رغبة آثمة في السطو على بحوث الآخرين أو في تزييف البحث بأية وسيلة .

كذلك نجد في الفصل السابع الذي عنوانه « الطالب الجامعي » (ص ص ١٢٧ - ١٤٦) ، وقد أعقب « كلاماً » عن الإدارة ، نجد « بحثاً » قيماً يبدؤه بمجموعة أسئلة ينبغي الإجابة عنها بصراحة ، وبعض هذه الأسئلة :

(١) من الذي يستحق الالتحاق بالجامعة ؟

(٢) ما المواصفات التي ينبغي الاستعانة بها لتصنيف الطالب الجامعي ؟

(٣) هل يقوم الطلاب الجامعيون بتكوين مجموعات انتمائية وثقافات فرعية ؟ وكيف تقوم بوظائفها وأدوارها ؟

(٤) هل هناك ما يسمى بالفجوة الجيلية بين الطلاب ومن هم أكبر منهم سناً ؟

(٥) ماذا يقرأ الشباب الجامعي ؟

والسؤال الخامس - بترتيبنا نحن - من أهم المجسّات لشبابنا الجامعي ، إذ بينما يظل الطالب الجامعي في الولايات المتحدة يقرأ ويقرأ ابتداء بالروايات والكتب ذات المادة الخيالية وانتهاء بالعلاج الجشطالطي الحرفي والعقد ، نجد طالبنا قليل الاطلاع ويوجه همه إلى « المذكرات » التي تلخص دروسه ومحاضراته فيسهل عليه دخول الامتحان . ويبدو بوضوح أنه يفتقد المهارة اللازمة للإفادة من المكتبة ، وإذا قرأ الصحف اهتم بالصفحة الرياضية أو بأحدث ما تنتجه مصانع السيارات .





محمد جبر الحربي

وينبه الدكتور قاضي إلى أن الطالب العربي في الجامعات الغربية موجَّه وفق سياسة الحكومة المبتعث إلى بلدها ذلك الطالب ، وهذه السياسة - كما هو حادث في امريكا - تستخدم « الطلاب الأجانب لملء الفصول الدراسية في التخصصات التي لا يقبل عليها الطلاب الأمريكيون ، وذلك لعدم جدوى الشهادات في بعض التخصصات في سوق العمل الأمريكي » (ص ١٤٢) .

ومن ناحية أخرى يتعرض المبتعث لعمليات الغزو العقائدي المتعددة بعد أن يمهد له بمد يد المساعدة الكاذبة ، حتى ليجد الطالب نفسه في نهاية الأمر وقد أصبح يناقش بجدية كيفية « استطاعة المسيح تقديم سبل الإنقاذ » (ص ١٤٥) .

ويقودنا الكلام إلى الفصل التاسع (ص ص ١٦٩ - ١٨٧) وقد نشر برمته في مجلة الفيصل (عدد ٧٧) وفيه مناقشة موضوعية عن « الدكتوراه » ما هي ؟ وكيف يمكن الظفر بها ؟ وما الهدف من ورائها ؟ ثم كيف نشأت .. ويرى أنه بابتداع تلك الشهادة « بدأت النظرة إلى المدرس الجامعي تختلف ، وأصبح مطلوباً إعداده في أقسام الدراسات العليا لتدريس مواد .. الدراسات العليا » (ص ١٧٤) . غير أن هذا كله أجهض فكرة التخصص بعد أن ساد الإهمال في ركائز إعداد المدرس الجامعي فانخط العرب والمسلمون عن المستوى الرفيع بعد أن كانوا رواداً في هذا المجال داخل المسجد وفي حلقاته التي خرجت العلماء النابهين .

ثم ماذا بعد ذلك ؟

إن المؤلف بميوله التربوية يحول المشكلة إلى كليات التربية ومراكز البحوث التربوية ، على أساس أن « الدكتوراه » في أي تخصص ينقصها الإعداد للتدريس ، وهنا نسأله : هل العلماء الذين تخرجوا في المساجد - كالأزهر مثلاً - احتاجوا إلى تلك الكليات والمراكز التربوية ليتقنوا التدريس في حلقاتهم ؟



● الكتاب : ما لم تقله الحرب (ديوان شعر) .

● المؤلف : محمد جبر الحربي .

● الناشر : الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

تحمل هذه المجموعة الشعرية الجديدة لمحمد جبر الحربي عنوان آخر قصائد تلك المجموعة . وقد جاءت القصائد كلها غفلاً من تواريخ صياغاتها ، ومن ثم يكون حملها على سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م . ضرباً من الوهم أو إهداراً لقيمة الزمن الذي تعمد الشاعر تخبئته تحفظاً على معاناته التي لا شك ستتعقد مستقبلاً .

غير أن الأمر يبدو - فيما أتصور - تلويحاً من الشاعر أن يجعل « الأشعار » في المجموعة وحدة متكاملة ، ويمكن من ثم أن نجعل « ما لم تقله الحرب » آخر قصائد الديوان الذي تسمى بعنوانها ، أول تلك الأشعار ، وكذلك النموذج الذي يصلح لأن يكون الشق الخاص من لغته الشعرية ينهض به في مقابل شق المدلول الحقائقي الذي يدل عليه النظام اللغوي العام .

وبإيجاز تعد قصيدة « ما لم تقله الحرب » في الديوان تلخيصاً لرؤية محمد جبر الشاملة ، ونقطة وصول إلى أغلب ما يسمح به أداؤه الفني الذي يوازن بين الحقائق والمتخيلات ويدفعنا دفعاً إلى أن نجد أنفسنا في مواجهة « الشيء » واقعياً ومثالياً في آن واحد .

ومع ذلك فقد ينبغي أن ننبه بادئ بدء إلى أن المعاناة القومية ـ بكل توجعاتها ـ ستكون دائماً كما هي كائنة في «ما لم تقله الحرب» حجر الزاوية لموقفه. بحيث يمكن الزعم دون تورط ما، بأنها تشغل عنده مساحة كبيرة جعلت من صياغة الشكل هدفاً لتحويلها فعلاً وإبداعاً متجدداً.

وإذا كان ينحو بتلك الصياغة إلى ضرب من التظليل ـ وبعضه يصل إلى حد الغموض أحياناً ـ فقد حرص الحربي على الابتعاد عن الخطابية المباشرة بقدر اقترابه من الشفافية الرامزة والموحية. وقد وفر له هذا المنزع حرية التعامل مع الكلمات ذات العلاقة الوثيقة بروح الإنسان، وذلك في لحظات حلمها بأية إجابة عن أسئلة مصيرية يريد أن تكون خروجاً من دائرة الحزن ومنطلقاً إلى السلام:

يا حلوتي الحلوه
تأتين أو أمضي
ما سر هذا الكون.. ما السرُّ
قدرٌ
بأن أبق على الشرفات منديلا
ألوح للعصافير الصغيرة أن تغادر
أن تحاذر صبحها والقادمين
وأن تجس مواطئ النَّفَس المروع
أن تذوق الماء والثمر المهيأ
أن تشك إذا تأخر صيف هذا العام
أو إن غيب القمر!

(ص ص ٦٠، ٦١)

وربما كان هذا المقطع بإشاراته إلى المنديل والعصافير ـ في إطار معطيات الطبيعة ـ هو المحاولة والأمل والرغبة في كسر الدائرة المحزنة، ولكنه في القصيدة النهاية والبداية «ما لم تقله الحرب» وقد عرش على بديلها أو مناظرها وأنة الملاح ورقص السامري والشيخ والنعناع والخزامى وشعر القدماء، يتفاعل بجوهر المأساة القومية موجعاً باضطرام الجمر ويعجزه عن الانتصار، بل يعلن أنه يمتلك العزيمة:

لكنهم يأتون من قبلي
ومن بعدي
ويرمون الورود على خطاك
ويرتمون على توقفك الشهي
وينثنون عن الزناد
ويدعون بك الغراما

(ص ٩٣)

وسواء كان المخاطب بيروت أو صبرا أو غيرهما ـ وشعر جبر بلا حدود عادة ـ فإنه يدثر الخطاب بعشق أنثوي يحدده بالمواقف الصارمة التي ترفض لذلك المخاطب الشهادة والبكاء. لأن كليهما فَقْد، وليس يرضيه هو الفقْد ما مس ذلك الفقْد أطراف بلاده التي يناديها أعذب نداء:

يا تواشيح النخيل وهفهفات الموج
يا زخة الليمون يا ألق الجبال ويا...
حورية النيل المجدد بالرحيل ويا...
عصفورة اليمنين يا...
ياسمين دمشق
يا حزن السواد!

(ص ٩٦)

وفي المحيط نفسه، ثم في زمن الضياع والمهج التي لا تكل حتى لتضيف جديداً من العمر يوزع حزناً جديداً عليه، وكذلك في آخر الصرخات في «الزعتر» والبكاء على «ياسمين»:

ولأننا ندري ولا ندري
ولأننا عار على الآتين
أعطيك هذا القلب
.....
فتعللي بدمي
وتفجري في الدربْ
قلنا على الورق ما لم تقله الحربْ

(ص ص ١٠٧، ١٠٩)

وتكون صبرا إذن ـ فهو هنا يغنيها ـ عنواناً للموقف العربي، وإعلاناً بانهيار قد لا يؤخره ذلك البصيص من الأمل الذي يطالعنا به جبر الحربي على طول ديوانه الصغير الكبير، ذلك الديوان الذي لخص فيه بصدق رسالته التي خطط لها من أجل أن يبق الوطن:

أقسم أني
سأكون الطفل إذا تمتد
الرجل الكامل إن أصبحت الطفل
أكونك يا وطني
يا هذا الطفل الكامل
.....
وشلتك في صدري قيدا
يمتد هذا العشق وأزرق
أزرق هذا العشق الممتد
وضعيف هذا القلب ويمتد!



تجربة الجزائر في تكوين المكونين للمنظومة التربوية

دور التربية في التنمية الوطنية

بقلم: د. تركي رابح

إذا كان لكل عصر سمات ثقافية، وحضارية، خاصة، فإن أهم ما يتميز به عصرنا هذا الذي نعيش فيه أنه عصر «التنمية التربوية» حتى لقد وصف المجتمع الحديث بأنه عبارة عن «مدينة تربوية» كل ما فيها من مرافق وخدمات يضع نصب أعينه «الجيل الصاعد».

لقد ورثت الجزائر غداة استقلالها في ٥ يوليو (تموز) ١٩٦٢م، فيما ورثته من التركة الاستعمارية نظاماً تربوياً يفتقد التوازن الأساسي في هيكله العام، ويعاني اختلالا كبيراً في مجالات عديدة ليس هنا مجال تعدادها.

إن هذا النظام الذي وضع في الجزائر من طرف الاستعمار الفرنسي بعد الاحتلال في عام ١٨٣٠م، كان غريباً عن المجتمع الذي وضع في بلاده، في لغته، وفي فلسفته العامة، وفي أهدافه، وفي ثقافته، فضلاً عن كونه يفتقد التوازن المطلوب بين عناصره التي يقوم عليها هيكله العام.

ويكفي دلالة على ذلك أنه غداة الاستقلال لم يترك هذا النظام التربوي الاستعماري للجزائر سوى ست مدارس عادية أو دور لتكوين المعلمين وللمرحلة الابتدائية وحدها، توجد بالعاصمة، ووهران، وتلمسان، وقسنطينة، أما بقية أنواع التعليم الأخرى، وبقية المراحل الأخرى فلم يترك أية مؤسسة تكوينية لإعداد المعلمين لها.

وكان حجم استيعاب المدارس الست المذكورة الإجمالي لا يتجاوز ألف طالب وطالبة فقط، أما التعليم المتوسط وكذلك التعليم الثانوي فلم يكن في الجزائر عام ١٩٦٢م، أي معهد أو مدرسة أو كلية خاصة لتكوين المعلمين لها، ونفس الشيء يصدق على التعليم التقني.

وفي بداية أول عام دراسي بعد الاستقلال وهو عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م، لم تكن الجزائر تتوفر على العدد الكافي من المعلمين لمدارسها القليلة التي ورثتها عن إدارة الاحتلال البائدة، لأن الغالبية الساحقة من المعلمين الفرنسيين رحلوا عن الجزائر بالجملة، كما رحل الموظفون، والخبراء، ورجال الإدارة، بهدف إرباك كل مظاهر الحياة، التربوية، والثقافية، والاقتصادية، والإدارية في البلاد، حتى تعم الفوضى، والاضطراب، وينعدم الأمن والنظام، لكي يتمكن الاستعمار المنهزم عسكرياً، وسياسياً، في الميدان الحربي، من العودة إلى البلاد تحت شعار إعادة الاستقرار والنظام لبلد تجرَّأ على محاربته، وأعلن إصراره على إخراجه من بلاده بواسطة القوة المسلحة التي أجبرته على الرحيل في نهاية المطاف.

بداية المشكلة

من هنا بدأت مشكلة النقص الحاد والخطير في المكونين من معلمين ومديرين، وموجهين تربويين، ومنشطين ثقافيين وغيرهم، للمنظومة التربوية التي ورثتها الجزائر عن الاحتلال.

فقد كان المعلمون في **مرحلة التعليم الابتدائية** في عهد الاحتلال يتكونون في دور المعلمين الستة التي أشرنا إليها، وكانت تلك الدور كافية لتكوين المعلمين للمدارس الابتدائية القليلة التي أنشأها الاحتلال لتعليم أبناء الأوروبيين في الأساس، ثم لقلة قليلة من أبناء الجزائر كانت لا تتجاوز نسبتها العامة ٦٪ ثم زادت نسبتها بعد قيام ثورة ١٩٥٤م. في الجزائر إلى ٢٠٪.

أما المعلمون في **المرحلة المتوسطة**، والمعلمون في المرحلة الثانوية، فقد كانوا يتخرجون في معاهد تكوين المعلمين في فرنسا نفسها، وكذلك المفتشون، ورجال الإدارة التعليمية، فهم في الغالب إما يأتون من فرنسا مباشرة بعد تكوينهم هناك أو يرسلون في بعثات أو تربصات إلى فرنسا للتكوين في معاهد هذين النوعين من التعليم. ثم يعودون للعمل في الجزائر، وقد كانوا في أغلبيتهم الساحقة من ذوي الجنسية الفرنسية.

والشيء نفسه يصدق على المعلمين في **التعليم التقني والمهني**

على اختلاف تخصصاتهم ، حيث كانوا لا يجدون أي معهد تربوي لتكوين المكونين لمدارسهم ومعاهدهم في الجزائر .

وفي الفترة ما بين عام ١٩٦٢ م ، وهو عام استقلال الجزائر وعام ١٩٦٧ م ، أنشأت الجزائر مؤسستين تكوينيتين[١] ، تكملة للعدد المتواضع من مؤسسات التكوين المشار إليها من قبل وتتمثل هاتان في :

(١) المركز الوطني لتكوين المفتشين للتعليمين الابتدائي والمتوسط بالعاصمة ، وإدارة دور المعلمين .

(٢) المدرسة الوطنية للتعليم التقني بالحراش في العاصمة كذلك .

وقد تكفل المركز الوطني لتكوين المفتشين ، بتكوين المفتشين وإدارة دور المعلمين (المعاهد التكنولوجية) للتعليمين : الابتدائي والمتوسط ، وكانت الدراسة في مركز تكوين المفتشين (تحول في عام ١٩٨٢ م ، إلى مركز وطني لتكوين كافة إطارات التربية الوطنية) تستغرق سنتين :

★ **السنة الأولى : خاصة بالثقافة العامة .**

★ **أما السنة الثانية : فهي خاصة بالثقافة التربوية والتدريب الميداني في المدارس والمعاهد** ، يعقبها امتحان نظري ، وآخر ميداني يحصل بعد النجاح فيهما الطلبة على شهادة يطلق عليها اسم « **شهادة الكفاءة للتفتيش[٢] وإدارة دور المعلمين** » حيث يذهب الطالب الناجح إلى العمل إما كمفتش في التعليم الابتدائي إذا كان من إطاره ، أو إلى التعليم المتوسط ، وإما أنه يعين مديراً لإحدى دور المعلمين (المعاهد التكنولوجية) حسب اختصاصه .

أما **المدرسة الوطنية للتعليم التقني** (بالحراش بالعاصمة) فقد كانت خاصة بتكوين المعلمين لمعاهد ومراكز التعليم التقني بمختلف معاهده ، ومراكزه ، وتخصصاته ، وقد كانت أول مدرسة من نوعها تنشئها الجزائر بعد الاستقلال .

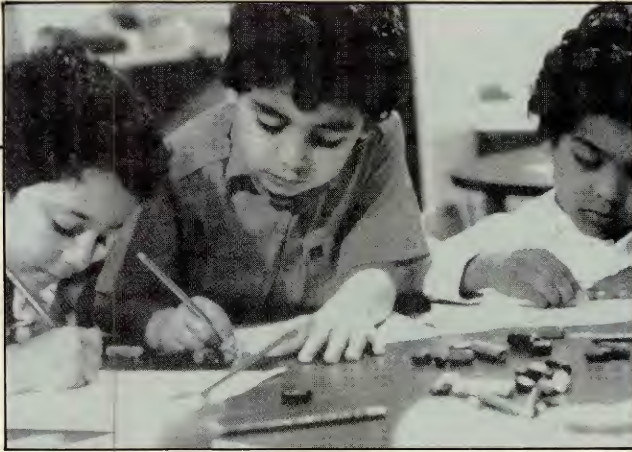
سياسة التربية والتعليم

هناك أربعة مبادئ أساسية تحكم سياسة التربية والتعليم وتكوين المكونين في الجزائر بعد الاستقلال نصت عليها كل مواثيق الثورة الجزائرية ، وقوانين التربية والتعليم والتكوين تتمثل في المبادئ التالية :

١ ـ **الديمقراطية** (ديمقراطية التعليم في جميع مراحله ـ ثم ديمقراطية الثقافة والتكوين لجميع الجزائريين) .

٢ ـ **التعريب** (تعريب التعليم في جميع المراحل مع التفتح على اللغات الحية في العالم) .

٣ ـ **الاتجاه العلمي والتكنولوجي في التعليم في مختلف المراحل** .



٤ ـ **الجزأرة** (جزأرة إطارات التعليم والإدارة ، وجزأرة الكتاب المدرسي وفلسفة التعليم إلى آخره) .

ويهمنا في هذه الدراسة مبدأ الديمقراطية التي تعني تحقيق الأمور التالية :

١ ـ إتاحة الفرص المتكافئة في التعليم أمام جميع الأطفال الجزائريين كل حسب كفاءته العقلية ، واستعداداته الذهنية بقطع النظر عن غناه أو فقره وبقطع النظر كذلك عن مكانة أسرته الاجتماعية .

٢ ـ تعميم المدارس ومعاهد التعليم في جميع أرجاء الوطن الجزائري بحيث تصل إلى المقيم في أعماق الريف والصحراء بنفس الطريقة ونفس المستوى الذي تصل به إلى ابن المدينة والقرى العصرية .

٣ ـ توفير الرعايا الاجتماعية والاقتصادية لأبناء الطبقات الفقيرة حتى يتمكنوا من الاستفادة من فرص التعليم مثل زملائهم الأغنياء ، وتقديم رعاية خاصة للمتفوقين منهم حتى يواصلوا دراستهم إلى أعلى المستويات العلمية في مراحل التعليم المختلفة .

وطبقاً لمبدأ ديمقراطية التعليم الذي نفذ بصرامة منذ بداية العام الدراسي الأول من حصول البلاد على الاستقلال ، تضاعفت أعداد التلاميذ خلال ثلاث سنوات فقط من ٧٧٧ ٦٣٦ سنة ١٩٦٢ م ، إلى ٢٠٣ ١٣٣٢ سنة ١٩٦٥ م ، وتضاعف بالتالي عدد المعلمين من ١٩٩٠٨ سنة ١٩٦٢ م ، إلى ٣٠٦٧٢ معلماً ومعلمة سنة ١٩٦٥ م ، مما تسبب في أزمة حادة في المعلمين المؤهلين ثقافياً وتربوياً للتعليم ، في مختلف المدارس والمعاهد .

ولذلك واجهت البلاد صعوبة كبيرة في الحصول على العدد الكافي من المعلمين المطلوبين للتعليم في المدارس ومختلف معاهد التعليم الأخرى ، وكانت الفصول مكتظة بعدد الأطفال ، وبعض المدارس لا تتوفر إلا على الحد الأدنى من المعلمين ولم يستطع التعاون الخارجي من البلاد العربية وغيرها سد هذا النقص .

ومن هنا تقرر توظيف كل قادر على التعليم مهما كانت ثقافته متواضعة سواء باللغة العربية أو اللغة الفرنسية ، وظهر ما عرف في الجزائر خلال الستينات والربع الأول من السبعينات من هذا القرن سلك **المعلمين**

الممرنين وهم ممن لا يحملون مؤهلات علمية وتربوية كافية تؤهلهم للترسيم في سلك التعليم .

وأصبحت فئات المعلمين في المرحلة الابتدائية تتكون من الممرنين والمساعدين والمدرسين والمعلمين .

وقد كان سلك الممرنين يمثل حيزاً كبيراً في العدد الإجمالي للمعلمين بالمرحلة الابتدائية ، مع ما يمثله ذلك من خطورة على مستوى التعليم ومردوديته العامة ، لأنه سلك ضعيف ثقافياً ، وتربوياً ، نظراً لأن أفراده لم يكونوا يحملون في الغالب أية شهادات علمية ، وإنما عينوا في سلك التعليم تحت ظروف قاهرة لمواجهة النقص في المعلمين المؤهلين فقط .

ولمعالجة هذا الوضع غير الطبيعي في المنظومة التربوية الجزائرية اتجهت الجهود إلى تكوين المكونين الذين يعملون على النهوض بقضية تكوين المعلمين على اختلاف أنواعهم قبل وأثناء الخدمة في التعليم ، ومحاولة تأطير سلك الممرنين وإبعاد غير الصالحين منهم من سلك التعليم .

المستشارون التربويون

وقد رئي إنشاء سلك إطار المستشارين التربويين من أجل معالجة قضية المعلمين غير المؤهلين مثل « الممرنين » والمعلمين المبتدئين في التعليم لأول مرة .

إن وجود إطار المستشار التربوي في سلك التعليم يشكل مرحلة حاسمة للتكوين المهني والثقافي للمعلمين المبتدئين ـــ أو المتربصين من مساعدين أو مدرسين ، والمستشار التربوي هو معلم يتمتع بخبرة واسعة في مجال التعليم ، ولذلك فهو يعين من الميدان وليست هناك أية مدرسة أو مركز يتكون فيه ، وهو يقوم بواجبه تحت إشراف المفتش الابتدائي في كل دائرة .

وابتداء من عام ١٩٦٩ م ، وقع إصلاح شامل للتعليم في الجزائر شمل فلسفته ، وأهدافه ، وبرامجه الدراسية ، ولغة التعليم ، وطرق تكوين المكونين وغيرها من محاور الإصلاح الأخرى .

المعاهد التكنولوجية

لقد تكونت المعاهد التكنولوجية كاستجابة لإصلاح التعليم بهدف تدارك النقص في تكوين المعلمين ـــ وهي تجربة جزائرية خالصة ـــ بمقتضى المرسوم الرئاسي رقم ٧٠/١١٥ الصادر بتاريخ أول أغسطس (آب) ١٩٧٠ م ، وتستند المعاهد التكنولوجية سواء كانت خاصة بالتربية والتعليم أم بقطاعات الاقتصاد الوطني والاجتماعي الأخرى إلى ثلاثة مبادئ رئيسية هي كما يلي :

★ **المبدأ الأول :** تقوية أهداف التكوين ، ويطبق في المعاهد التكنولوجية تكوين ضخم في الفروع التي تكون فيها الحاجات مهمة لمواجهة النقص السابق ، والحاجات الجديدة ، والضخمة والملحة للإطارات ، والتي أحصيت في مختلف فروع النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية .

★ **المبدأ الثاني :** هو مبدأ استعمال الوسائل الاستثنائية للتكوين وبما أن المعاهد التكنولوجية ترمي إلى تكوين ضخم للإطارات فهي تفرض استعمال الوسائل الاستثنائية غير الأنواع الكلاسيكية سواء فيما يخص الأماكن ، والإدارة ، والتأطير التربوي ، أو فيما يخص اللجوء إلى التعاون التقني والوسائل المالية .

★ **المبدأ الثالث :** هو مبدأ الأعمال العاجلة للتكوين وقد نص المخطط الرباعي الأول (١٩٧٠ ـــ ١٩٧٣ م) ، على تأسيس ٣٠ معهداً تكنولوجياً للإطارات المتوسطة والعليا ، بما فيها التربية والتعليم .

إن الحاجات الضخمة إلى الإطارات هي حاجات لا بد[٣] من توفيرها أثناء فترة المخطط الرباعي ، وتطبق المعاهد التكنولوجية تكويناً ضخم التفاصيل بالاتصال مع الحاجات الملحة للمؤسسات والوزارات والشركات الوطنية (القطاع العام التابع للدولة) .

وقد انطلقت المعاهد التكنولوجية في تكوين الإطارات المتوسطة والعليا من الأسس التالية :

١ ـ ترشيح الطلبة لا باعتبار الشهادات فقط ولكن باعتبار المستوى المطابق لكل شهادة أيضاً .

٢ ـ تغليب التكوين المهني على التكوين الثقافي الذي يمنح بالمعاهد التقليدية للتعليم العام في المتوسطات والثانويات .

٣ ـ تكوين يستمر لمدة عام[٤] واحد فقط ، ثم أصبح ابتداء من عام ١٩٨٣ م ، يتراوح ما بين عامين إلى ثلاثة أعوام بعد أن توفرت للبلاد الإطارات الضرورية ، وذلك حسب نوعية الإطار المطلوب تكوينه .

ويمتاز التكوين في المعاهد التكنولوجية بعدد من المميزات يمكن إجمالها في الأمور التالية :

١ ـــ ترتبط أهداف التكوين في المعاهد التكنولوجية بآفاق التنمية الشاملة في البلاد ومنها التنمية التربوية .

٢ ــ تعد المعاهد التكنولوجية وسيلة استثنائية ومؤقتة للتكوين ريثما تتحسن ظروف التأطير الثقافية والتربوية في البلاد .

٣ ــ تقوم المعاهد التكنولوجية بتكوين يرمي إلى تكييف مباشر مع مناصب العمل ، حيث يزود الطالب عادة بكافة المعارف التي تمكنه من تحقيق المهام الواقعية .

٤ ــ تقبل المعاهد التكنولوجية تلاميذ متمرنين دون اشتراط أية شهادة ، وهي ترمي إلى أن تقبل من كل أنحاء القطر الجزائري عدداً هاماً من الشباب تؤهلهم للحياة الاقتصادية والاجتماعية بعد إتمام تكوينهم داخلها .

الأهــــداف

وتهدف المعاهد التكنولوجية من إنشائها إلى سد حاجات التخطيط والفلاحة ، والصناعة ، والسياحة ، والأشغال العمومية ، والبناء ، والتجارة ، والمالية ، والصحة ، والبترول ، والشبيبة والرياضة ، والتربية الوطنية ، وغيرها من مجالات الحياة الجزائرية الأخرى من الإطارات والكوادر التي تحتاج إليها عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

وإلى جانب المعاهد التكنولوجية التي تزود البلاد بوسيلة جديدة لتلبية حاجات الاقتصاد الوطني إلى الإطارات المكونة تستمر سياسة التكوين بمختلف المؤسسات الوطنية التي تسير في نطاق الاختصاصات الوزارية المختلفة[٥] .

وتعتبر المعاهد التكنولوجية تجربة تربوية رائدة قامت بتحقيقها الجزائر بعد استقلالها بسنوات قلائل من أجل معالجة النقص الكبير من اليد العاملة المؤهلة ، وبخاصة من الفنيين والإطارات المتوسطة وهي مشكلة تعاني منها اقتصاديات دول العالم الثالث على وجه العموم .

وبالنظر إلى الاحتياجات الضخمة إلى هذه الإطارات المؤهلة ، وإلى قصور نظام التعليم التقليدي عن الوفاء بها عمدت الجزائر إلى إنشاء هذه المعاهد التي شملت فروعاً عديدة من الاقتصاد والتربية هي في أمس الحاجة إلى اليد العاملة المؤهلة .

وتعمل المعاهد التكنولوجية طيلة الأسبوع وطوال السنة الدراسية التي تبلغ مدتها ١١ شهراً بما في ذلك التدريب الميداني ، وإلى جانب الإعداد الفني والتقني للطالب ، تسعى المعاهد التكنولوجية إلى تنمية شخصية التلاميذ ، وإلى غرس عادات التفكير ، وروح المبادرة ، والرغبة في التربية المستمرة في نفوسهم بحيث تعوض آثار التخصص المفرط وتتوسل إلى ذلك بأحدث الطرق التربوية التي تستند إلى تعاون حقيق بين المعلمين والمتعلمين ، وإلى المسؤولية المتبادلة بعيداً عن روح السيطرة ، والإخضاع ، وعن أسلوب المحاضرة ، فلا يعود التعليم مجرد عملية نقل للمعارف ، من جانب المعلم ، إلى التلاميذ ، وإنما يصبح عبارة عن تهيئة للبحث ، والتفكير ، وللتعليم الذاتي من طرف المتعلمين .

ويحفظ مكان واسع للتدريبات الميدانية ، والتمارين العملية ، وهذا العمل المتنوع يوقظ باستمرار اهتمامات التلاميذ الذين تتطلب مشاركتهم في مرحلة التقويم التي تجرى لهم بين آونة وأخرى وفي نهاية دراستهم .

ولعل من أهم خصائص هذا النوع من التربية في المعاهد التكنولوجية هو تحويل المعلم ، من ملقّن للمعلومات ، إلى مرشد ، ومحرّك ، ومنشط ، فهو يعد الدرس ، وينشر المعلومات ، ويحفز العمل الجماعي ، ثم يترك لتلامذته مهمة إيجاد الحلول للقضايا العملية ، مكتفياً فقط بالإجابة عن أسئلتهم ، عند الحاجة ، عندما يعجزون عن الوصول إلى الحلول العملية باجتهاداتهم ، ويحتل التدريب الميداني دوراً هاماً في المعاهد التكنولوجية ، حيث يتيح للطلاب أن ينتقلوا باستمرار من الأمور الواقعية إلى الأمور المجردة ، ومن الممارسة الميدانية ، إلى النظريات المجردة ، والعكس بالعكس .

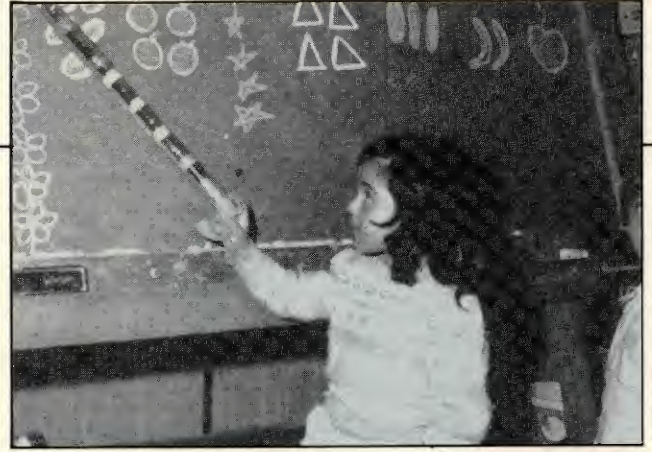
ومن جهة أخرى تلجأ المعاهد التكنولوجية إلى الرحلات الدراسية ، والزيارات الميدانية ، كوسيلة من وسائل التكوين والإعداد والتعليم المباشر في الميدان .

الانطلاقــــة

وقد انطلقت المعاهد التكنولوجية مع بداية تنفيذ المخطط الرباعي الأول في التنمية الشاملة سنة ١٩٧٠ م ، كما سبق أن ذكرنا لكي تعمل على سد النقص في الإطارات المتوسطة والعليا ، من الدرجة الرابعة والخامسة . والعمل في هذه المعاهد يرتكز على مبادئ أساسية هي : التدريب المكثف ، والتجديد في التدريب ، والحاجة الملحة إلى الإعداد والتدريب .

وترتبط أهداف التدريب والإعداد في المعاهد التكنولوجية بآفاق التنمية الوطنية الشاملة ، وينظم التعليم في المعاهد المذكورة على غرار التدريب الميداني في مواقع العمل ، انطلاقاً من دراسات تحليلية مسبقة للوظائف التي تشتق منها المعارف ، والمعلومات النظرية لممارستها .

ويلاحظ أن المعاهد التكنولوجية لا تخضع لسلطات التعليم العالي ، وإنما هي وضعت مباشرة تحت وصاية الوزارات المختلفة المعنية بالقطاعات الكبرى للنشاط الوطني ، فهي إذن مؤسسات ذات طابع إداري ، يدير كل واحد منها مجلس إدارة كامل الاستقلال والحرية[٦] في أعماله وتوجيهاته .



الأنمــاط

وتقوم المعاهد التكنولوجية الخاصة بقطاع التربية والتعليم منذ إنشائها في عام ١٩٧٠ م، بتكوين الأنماط التالية من الإطارات وهم : المعلمون والمدرسون والمعلمون المساعدون والمفتشون للتعليمين الابتدائي والمتوسط وإدارة دور المعلمين .

وينقسم التكوين في المعاهد التكنولوجية للتربية إلى ثلاث مراحل متتابعة ومتكاملة في نفس الوقت، وهي كما يلي :

١ ـ مرحلة التكوين الأولى : ومدتها سنتان بالنسبة للمعلمين في المرحلة الابتدائية بأنماطهم الثلاثة، وثلاث سنوات بالنسبة لأساتذة التعليم المتوسط منها سنة في الميدان وهي تتوجه إلى الطلبة بقصد إعدادهم لوظيفة التعليم، أو الإدارة، وتختلف مدتها باختلاف الأنماط المقصود تكوينها (خمسة أنماط) .

٢ ـ مرحلة التكوين المتواصل : وهي تتوجه إلى جميع المتخرجين من المعاهد التكوينية وإلى كل الموظفين الذين ينتدبون مباشرة عن طريق امتحان، أو مسابقة، أو تسجيل، في إحدى قوائم الاستحقاق والصلاحية للقيام بوظيفة تعليمية أو إدارية، وتدوم هذه المرحلة سنة على الأقل يُحضَّر فيها المعنيون بالأمر للترسيم في إطار محكم فلا يبقون مهملين ينتظرون الترسيم بدون تحضير أو إعداد .

٣ ـ مرحلة التكوين المستمر : وهي تتوجه إلى جميع المرسمين من إطارات[٧] التربية والتعليم من يوم ترسيمهم إلى يوم تقاعدهم، بحيث تُغطي هذه المرحلة كل حياتهم الوظيفية الناشطة عن طريق الملتقيات، والندوات، والتربصات، وحلقات البحث، والدراسة، وغيرها من الأنشطة العملية الأخرى التي تساعد على تجديد المعلومات .

المعاهد التكنولوجية للتربية

ويلاحظ أن المعاهد التكنولوجية للتربية أصبحت اليوم تغطي كافة ولايات الجزائر، بحيث وصل عددها إلى غاية ١٩٨٤ م، إلى أكثر من ٦٠ معهداً وعدداً آخر من الملاحق بعضها خاص بالبنات وبعضها الآخر خاص بالبنين .

وقد كونت المعاهد التكنولوجية خلال عشر سنوات ابتداء من عام ١٩٧٠ م، إلى عام ١٩٨٠ م، (٥٢٢٦٣ إطاراً منهم ١٥٤٠٧ معلمين و٣٦٨٥٦ مساعداً في التعليم الابتدائي) .

أما في التعليم المتوسط فقد كونت خلال نفس الفترة (٧٦٩٤٠) أستاذاً في مختلف التخصصات العلمية، وبذلك بلغ عدد الذين كونتهم المعاهد التكنولوجية للتربية في الفترة ما بين (١٩٧٠ ـ ١٩٨٠ م) ٨٠٢٠٣ إطارات للتربية والتعليم .

وقد تخرج في العام الدراسي ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ م، (٥١١١) إطاراً باللغة العربية بالإضافة إلى (١٨١٦) إطاراً باللغة الفرنسية في المرحلة الابتدائية[٨] .

أما في مرحلة التعليم المتوسط فقد تخرج في نفس العام الدراسي (١٩٨٠ ـ ١٩٨١ م) ١٦٧٨١ أستاذاً في التعليم المتوسط، وبذلك بلغ عدد المتخرجين في العام الدراسي المذكور ١٣٧٠٨ إطارات للتعليمين الابتدائي والمتوسط، أمَّا في الموسم الدراسي (١٩٨١ ـ ١٩٨٢ م) فقد بلغ عدد الذين كونتهم المعاهد التكنولوجية للتربية ما بين التعليمين الابتدائي والمتوسط ١٧٠٠٠ إطارٍ، أي أن المعاهد التكنولوجية منذ نشأتها في عام ١٩٧٠ م، إلى غاية عام ١٩٨٢ م، قد كونت من الإطارات للتربية والتعليم ما مجموعه ١١٠٠٠٠ إطار لمرحلة التعليم الابتدائي والمتوسط في مختلف مجالات التربية والتعليم .

أنماط المكوِّنين

تشتمل المنظومة التربوية في الجزائر في ميدان المكونين على الأنماط التالية :

١ ـ المفتشون : لأنواع التعليم الثلاثة (الابتدائي ـ المتوسط ـ الثانوي) .

٢ ـ المستشارون التربويون .

٣ ـ مديرو المؤسسات التعليمية .

٤ ـ أساتذة التعليم المتوسط .

٥ ـ المعلمون في المرحلة الابتدائية : (ممرنون ـ مساعدون ـ معلمون) .



٦ ـ أساتذة التعليم التقني (على اختلاف تخصصاته).
٧ ـ أساتذة التعليم الثانوي.
٨ ـ أساتذة التعليم الجامعي.

● **أولا ـ المفتشون ومعاهد تكوينهم:** ينقسم سلك المفتشين في المنظومة التربوية الجزائرية إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ مفتشو التعليم الابتدائي.
٢ ـ مفتشو التعليم المتوسط.

وهذان السلكان يتكونان في المركز الوطني لتكوين إطارات التربية التابع لوزارة التربية الوطنية الموجود بالعاصمة وله فروع في مدينة قسنطينة ومدينة وهران وذلك لمدة سنتين: **إحداهما** خاصة بالثقافة العامة، **والثانية** بالثقافة التربوية والتطبيق الميداني.

ويقوم المركز الوطني لتكوين إطارات التربية وفرعاه في مدينة قسنطينة ومدينة وهران بتكوين كل أنماط المفتشين الأربعة التالية:

١ ـ نمط مفتشي التعليم الأساسي:(٩) ذو التسع سنوات الذي بدئ في تنفيذه في الجزائر ابتداء من العام الدراسي ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ م، وسوف يتم تعميمه على المستوى الوطني خلال العام الدراسي ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ م، وهو يتكون من اندماج مرحلة التعليم الابتدائية في المرحلة المتوسطة بعد اختصارها من ٤ سنوات إلى ٣ سنوات (٦ + ٣ = ٩).

٢ ـ نمط مفتشي التوجيه المدرسي والمهني.

٣ ـ نمط رؤساء المؤسسات التربوية: معاهد ـ متوسطات ـ مراكز وطنية، إلى آخره.

٤ ـ نمط المقتصدين في المؤسسات(١٠) **التربوية ذات الشخصية الاعتبارية.**

أما الصف الثالث من المفتشين وهم مفتشو التعليم الثانوي على اختلاف تخصصاته، وكذلك المفتشون العامون في هذا السلك من التعليم، فإنهم يرشحون من الميدان حسب الخبرة والأقدمية في التعليم بالإضافة إلى الشهادات العلمية، ولا يوجد حتى الآن أي معهد أو كلية لتكوين المفتشين في التعليم الثانوي. وهذا نقص خطير في تكوين هذا السلك من رجال التفتيش والتوجيه، نرجو أن يتدارك في المستقبل القريب.

● **ثانياً ـ أساتذة التعليم التقني، ومفتشو التعليم التقني:** أما أساتذة التعليم التقني فتقوم بإعدادهم في الوقت الحاضر، صنفان من المدارس:

الأولى: هي المدرسة الوطنية التقنية بالعاصمة (الحراش) وهي تكون أساتذة على مستوى التعليم المتوسط أو التعليم الأساسي أي تكون إطارات من المستوى الرابع.

أما المدرسة الثانية: فهي المدرسة العليا للعلوم والتكنولوجيا بوهران وهذه تقوم بإعداد إطارات في المستوى الخامس والسادس لكافة معاهد التعليم التقني على اختلاف تخصصاته. ويتخرج منها أساتذة التعليم التقني.

أما المفتشون في التعليم التقني: فإنهم مثل زملائهم المفتشين في التعليم الثانوي العام يختارون من الميدان، ولا توجد في الوقت الحاضر أية معاهد أو مدارس لتكوينهم علمياً وتربوياً. ولعل أمرهم سيتدارك في المستقبل خصوصاً وأن العناية موجهة في الوقت الحاضر لتدعيم التعليم التقني والنهوض به، وتوجيه الطلبة في المرحلة الثانوية إلى مدارسه، ومعاهده، حتى تحصل عملية توازن بينه وبين التعليم العام الأكاديمي نظراً لحاجة البلاد الماسة إلى العدد الكبير من خريجيه في نهضتها الاقتصادية، والصناعية، والعمرانية، والفلاحية، والتكنولوجية.

● **ثالثاً ـ أساتذة التعليم الثانوي العام:** أما أساتذة التعليم الثانوي العام فهم يتكونون في الجامعات الجزائرية وكذلك في أربع مدارس عليا للأساتذة Ecde normale Soperieure توجد في كل من العاصمة وقسنطينة، ووهران، وأم البواقي، في العلوم الدقيقة، والبيولوجيا، والرياضيات والتربية وعلم النفس، والعلوم الاجتماعية، والإنسانية، بالإضافة إلى معاهد العلوم الإنسانية والاجتماعية في مختلف الجامعات الجزائرية التي يتجه عدد كبير من خريجيها إلى مهنة التربية والتعليم بعد حصولهم على الإجازات الجامعية.

ومن المعروف أن الجزائر تتوفر في الوقت الحاضر على سبع جامعات توجد اثنتان منها في العاصمة، واثنتان في مدينة وهران عاصمة الغرب الجزائري، وواحدة في قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، بالإضافة إلى جامعة إسلامية توجد في قسنطينة. أما الجامعة السابعة **فهي جامعة عنابة** للعلوم والتكنولوجيا والعلوم الاجتماعية، كما تتوفر الجزائر على ١٧ مركزاً جامعياً تتوزع على مختلف ولايات البلاد طبقاً لديمقراطية التعليم والثقافة.

إن الجامعات المذكورة وكذلك المراكز الجامعية تتكاتف جميعها في تزويد البلاد بمختلف الإطارات ومنها أساتذة التعليم الثانوي على اختلاف تخصصاته.

وتقوم معاهد العلوم الاجتماعية بتدريس مادة علوم التربية وعلم النفس في السنة النهائية من المرحلة الجامعية الأولى لطلبة الليسانس الذين سوف

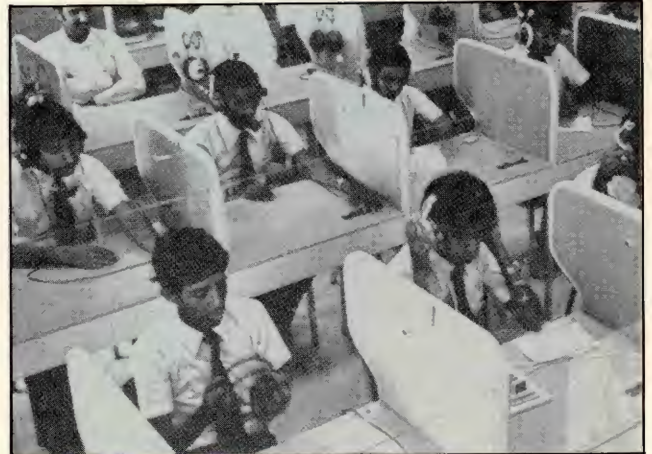
يصبحون أساتذة في مرحلة التعليم الثانوي العام بعد حصولهم على شهادة الليسانس في مختلف التخصصات .

● **رابعاً ــ أساتذة التعليم الجامعي [11] والعالي :** والسلك الأخير من أسلاك المكونين في مجالات التربية والتعليم هم أساتذة الجامعات على اختلاف درجاتهم العلمية . وحتى الآن يتكون هؤلاء الأساتذة بطريقة تقليدية تعرفها الجامعات منذ نشأتها حتى الآن ، وتعتمد بالدرجة الأولى على الحصول على الدرجات الجامعية مثل الدبلومات ، ودكتوراه الطور الثالث أو الماجستير ، ودكتوراه الدولة ، ثم يباشرون مهامهم في التدريس بدون أن ينقلوا أي تدريب أو تكوين بيداغوجي في طرق التدريس ، وعلم النفس التربوي ، وأصول المهنة إلى آخره .

ومما لا شك فيه أن حصول الأستاذ الجامعي على درجة الدكتوراه (بنوعيها) بدون أي تكوين تربوي ليس شرطاً في قدرته على التدريس والتكوين ، فهناك الكثيرون من أساتذة الجامعات ممن لهم مقدرة مشهودة في البحث والتأليف ولكنهم في مجالات التدريس يبدون عجزاً واضحاً قد يصل إلى درجة الفشل .

وباستثناء بعض الجامعات المصرية التي تقدم إعداداً أولياً لأساتذة الجامعات قبل مباشرتهم للتدريس ، كما تقدم لهم بين آونة وأخرى معلومات تجديدية عن طريق الندوات ، والحلقات ، والتربصات ، فإن الجامعات العربية الأخرى ومنها الجامعة الجزائرية ، ليست لديها أية برامج لتكوين أساتذة الجامعة خارج نطاق أطروحات الماجستير والدكتوراه ، وغيرهما من الدرجات العلمية الأخرى .

ولا شك أن هذا نقص كبير في إطارات الجامعات قد تنبهت له الجامعات الأجنبية في **روسيا ، وأمريكا ، وأوروبا ، واليابان** ، حيث أصبح العديد منها يقدم دراسات خاصة بتكوين أساتذة التعليم



العالي تربوياً ، كما أنه يعمل على إعادة تجديد معلوماتهم وخبراتهم التربوية بين وقت وآخر وتحسين طرق أدائهم لعملية التدريس مع طلبتهم . وقد أثبتت التجربة أهمية التكوين ونجاعته ، في نجاح الأساتذة في مهنة التدريس مع طلبتهم داخل قاعات الدرس .

خلاصة وتقويم

وفي خاتمة هذه الدراسة يحسن بنا أن نقدم تقويماً مركزاً حول هذه التجربة الجزائرية في تكوين المكونين التي شرحناها باختصار كبير .

ولعل في مقدمة إيجابيات هذه التجربة التي يجب الإشادة بها هي أن معاهد تكوين المكونين قد عُربت في قطاعات التربية والتعليم ، وقطاعات الإدارة الوطنية ، بحيث أصبح التكوين يجري في معظمه باللغة العربية . بعد أن تم تعريب التعليم الابتدائي ، ومعظم التعليم المتوسط والثانوي ، وكذلك معاهد العلوم الاجتماعية ، ومعاهد العلوم الإنسانية ، من اقتصاد ، وقانون ، وعلوم سياسية ، وعلوم الإعلام ، ووثائق ومكتبات . . . إلى آخره .

وإلى جانب توحيد لغة التكوين في معاهد تكوين المكونين فقد استطاعت تلك المعاهد ، وخصوصاً المعاهد التكنولوجية أن تزود قطاعات التربية ، والاقتصاد الوطني ، بكافة احتياجاتها في الإطارات المتوسطة وفوق المتوسطة من الدرجتين الرابعة والخامسة ، وبالتالي سدّت النقص الكبير للإطارات المتوسطة الذي تركه الاستعمار البائد للجزائر .

أما **الجوانب السلبية** للتجربة الجزائرية في ميدان تكوين المكونين فهي في نظري تتمثل فيما يلي :

١ ــ اختلاف مصادر تكوين المعلمين ، والمكونين ، حيث تتعدد تلك المصادر بتعدد أنماط المكونين ، وهذا التعدد يتسبب في اختلاف المستوى ، واختلاف النظرة للمشاكل ، خصوصاً وأن الاتجاه العالمي السائد اليوم يذهب إلى توحيد مصادر تكوين المعلمين والمكونين الآخرين تحت مظلة واحدة هي الجامعات بحيث تتخرج كافة أصناف المكونين لمختلف مراحل التعليم في الجامعات وذلك من أجل النهوض بالتعليم من ناحية ، وإضفاء مهابة وكرامة على المعلمين والمكونين من ناحية أخرى . غير أن هذا الأمل لا يزال بعيد المنال بالنسبة للجزائر الآن ، نظراً لصعوبة تحقيقه في الوقت الحاضر بسبب قلة المتخرجين في البكالوريا من جهة ، ونقص المباني والأساتذة في الجامعات المتخصصة في تكوين المكونين لمختلف مراحل التعليم من جهة أخرى .

٢ ــ ضعف المستوى التعليمي الواضح في الإطارات المتوسطة الذين



تعدهم المعاهد التكنولوجية حيث هم في الغالب ممن لم ينجحوا في امتحانات البكالوريا ، أو من المطرودين من التعليم الثانوي بسبب رسوبهم أو كبر سنهم ، خصوصاً ونحن نعيش في عصر تتغير فيه المعرفة بسرعة هائلة ، وبالتالي لا بد أن يكون الإطار على قدر كاف من الثقافة العامة والثقافة التخصصية حتى يستطيع أن يتكيف ويتطور مع تكيف وتطور المعرفة أولا بأول . ولا تكفي التدريبات والدراسات الميدانية وحدها في تزويده بالمعرفة الأساسية في مجال تخصصه .

٣ ــ هناك أنماط من المكونين للإطارات يُعينون في وظائفهم بدون أن يحصلوا على أي تكوين بيداغوجي وعلمي في تلك الوظائف مثل :

١ ــ المفتشين في التعليم الثانوي ، والمفتشين العامين في نفس التعليم .

٢ ــ المستشارين التربويين الذين يعملون في دائرة تكوين المعلمين في المرحلة الابتدائية تحت إشراف المفتشين في هذه المرحلة .

٣ ــ المفتشين في التعليم التقني على اختلاف أنماطهم ، حيث يُعينون على أساس الخبرة والتجربة والشهادة العلمية بدون أن يمروا بأي تكوين .

٤ ــ أساتذة الجامعات الذين يعينون كمعيدين أو مدرسين أو أساتذة ، على أساس درجاتهم العلمية بدون أن يمروا بأي تكوين في ميدان التربية وعلم النفس ، وأصول التدريس إلى آخره .

ورغم هذه السلبيات التي أشرنا إليها فإن التجربة الجزائرية في ميدان تكوين المكونين تجربة غنية في مضمونها وفعاليتها وتستحق الدراسة والاهتمام من رجال العلم والباحثين لأنها تجربة شعب اعتمد على نفسه في النهوض باقتصاده الوطني ، والتغلب على صعوبات التنمية ، ومشاكلها ، وتحقيق ديمقراطية التعليم على أوسع نطاق ، حيث تضم المدارس الجزائرية حالياً أكثر من خمسة ملايين طالب وطالبة ، كما تضم الجامعات والمدارس العليا في رحابها (١٢٠) ألف طالب وطالبة ، بحيث أصبح ربع الشعب الجزائري يتعلم في المدارس والمعاهد والجامعات . وتحققت جزأرة الإطارات في مجالات عديدة ، كما قطع تعريب التعليم والثقافة ، والمحيط الاجتماعي ، خطوات عملاقة بدون مبالغة بالنظر إلى ظروف الجزائر الخاصة عند الاستقلال في عام ١٩٦٢ م .

مراجع الدراسة

بالإضافة إلى المراجع المذكورة في هامش الدراسة نسجل المراجع التالية لمن أراد التوسع في الموضوع :

(١) د . تركي رابح ، أصول التربية والتعليم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٢ م .
(٢) د . تركي رابح ، مبادئ التخطيط التربوي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٢ م .
(٣) د . تركي رابح ، تطوير التعليم الجامعي في الجزائر وفق سياسة التوازن الجهوي ، دراسة منشورة في مجلة « الثقافة » ، عدد ٧٨ ، السنة الثانية ، نوفمبر (تشرين الثاني) ــ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٣ م ، الجزائر .
(٤) مجلة « همزة الوصل » ، مجلة تصدرها إدارة التكوين بوزارة التربية ، أعداد مختلفة .
(٥) كراس التخطيط والتنمية ، الجزء الأول ، تقييم مخططات التنمية ، حزب جبهة التحرير ، المؤتمر الخامس للحزب ، ١٩٨٣ م .
(٦) الكفايات البشرية في قطاع التعليم قبل الجامعي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٨٢ م .
(٧) متطلبات استراتيجية التربية في إعداد المعلم العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٨٠ م .
(٨) المجلة العربية للتربية ، العددان ٣ ، ٤ ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٨٣ م .
(٩) المخطط الرباعي الأول ، ١٩٧٠ ــ ١٩٧٣ م .
(١٠) المخطط الرباعي الثاني ، ١٩٧٤ ــ ١٩٧٧ م .
(١١) المخطط الخماسي ، ١٩٨٠ ــ ١٩٨٤ م .
(١٢) وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، كتاب « إصلاح التعليم العالي » ، الجزائر ، ١٩٧١ م .
(١٣) مجلة « التربية » ، مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة التربية الوطنية ، عدد مايو (أيار) ، السنة الأولى ، ١٩٨٢ م .
(١٤) مجلة « التربية الجديدة » ، مجموعة أعداد ، مكتب اليونسكو للتربية في الدول العربية ، بيروت .
(١٥) المعاهد الجامعية للتكنولوجيا ، ترجمة الأستاذين : أحمد قادري ، وحسن الحراكي ، وزارة التعليم العالي ، سورية ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٧ م .
(١٦) التربية العلمية والتكنولوجية في التنمية الوطنية ، إصدار اليونسكو ، ترجمة أحمد شفيق الخطيب ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ م .
(١٧) الجمود والتجديد في التربية المدرسية ، ترجمة الدكتور عبد الله عبد الدايم ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١ م .
(١٨) الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، عدد ٣٣ ، الصادر في ٢٣ أبريل (نيسان) ، ١٩٧٦ م .
(١٩) عدد من التقارير والوثائق باللغة الفرنسية .

الشاعر وتعانق الفنون


★ إبراهيم ناجي ★


★ الأمير عبد الله الفيصل ★

بقلم: د. صابر عبد الدايم

الأدب فن قولي بأنواعه المتعددة من شعر وقصة ورواية ومسرحية؛ وهذا الأدب وبخاصة الشعر يلتقي في دائرة التشكيل الفني مع فن الرسم وهو فن تصويري، ويلتقي مع فن الموسيقى وهو فن صوتي، ويلتقي مع فن النحت وهو فن تشكيلي تجسيمي.

وبرغم هذا التعانق والتداخل نرى أن لكل فن من الفنون المختلفة.. الفنون التشكيلية ـ الأدب ـ الموسيقى تطوره المستقل وهي، أي الفنون، تختلف بتوقيتها وبالعناصر المختلفة الداخلة في تركيبها، ولا ريب في أن هذه الفنون على صلة دائمة بعضها ببعضها الآخر. غير أن هذه الصلات ليست تأثيرات تبدأ من نقطة معينة ثم تحدد تطور بقية الفنون. فيجب أن نتصورها بدلا من ذلك على أنها مخطط معقد من صلات ديالكتيكية تعمل من طرفيها من فن إلى آخر والعكس بالعكس، وقد تنقلب هذه التأثيرات انقلاباً تاماً ضمن الفن الذي دخلت فيه[1].

نظرية المحاكاة

وهذا التعانق الحميم بين الشعر والفنون الأخرى نعثر على بذوره الأولى في **نظرية المحاكاة** عند **أفلاطون.. وعند أرسطو..** فالنظم الإنسانية عند أفلاطون محاكاة.. والأعمال والفضائل محاكاة، واللغة محاكاة لما ندركه من الأشياء وهي طريق لتأثير عالم المعقول أو عالم المثل في عالم الحس وأداة لذلك التأثير.. والشاعر عند أفلاطون والفنان بعامة يعكس لنا في فنه خيالات الأشياء أو مظاهرها لا جوهرها... فأفلاطون ينظر إلى الفن نظرة واحدة؛ والمحاكاة عند أرسطو تنحصر في الفنون الجميلة.. والتطبيقية العملية؛ فالموسيقى والرسم والشعر، يتعانقون في دائرة المحاكاة عند أرسطو.. ولكن يظل هذا العناق بعيداً عن التداخل والامتزاج، لأن أرسطو حدد لكل فن وسائله التي تخالف الوسائل الأخرى.

وفي العصر الكلاسيكي الذي يمثل فترة إحياء الآداب الإغريقية واللاتينية ومحاكاتها وبخاصة في عصر النهضة وعصر انتصار القواعد.. وعصر التنوير.. بذلت محاولات كثيرة لإعادة صياغة نظرية المحاكاة، وجعلها أكثر تماسكاً في التطبيق، ومن أحسن ما عرف في هذا الصدد، محاولة «**شارل باتو**»، في كتابه «**الفنون الجميلة مردودة إلى مبدأ واحد**»، عام (١٧٤٦م)، الذي ذهب فيه إلى أن «**المبدأ العام للفنون جميعاً هو أنها محاكاة للطبيعة الجميلة بما في ذلك الموسيقى التي عدها محاكاة للانفعالات. كما ذهب إلى أن الشعر الغنائي أيضاً محاكاة للعواطف والانفعالات**»[2].

الشعر والموسيقى

ومما يؤكد الصلة الحميمة والتعانق الفني بين **الأدب والموسيقى** ما نشترطه في الشعر من الوزن، والوزن الشعري يعد وحدات موسيقية لا بد أن تقوم عليها حياة القصيدة، وبحور الشعر التي تعد آفاقاً يسبح فيها الإيقاع الشعري.. إنها ترجمة عملية لضرورة توفر عنصر الموسيقى في التجربة الشعرية.

والقافية التي اشترط نقاد الشعر القدامى ضرورة وجودها في نهاية كل بيت سواء كانت موحدة أو متعددة في شكل **الرباعيات أو المسمطات أو المزدوج أو الأرجوزة..** هذه القافية تعد مظهراً فنياً من مظاهر توفر الموسيقى في فن الشعر، ولكن علم الموسيقى يختلف في تقسيماته ووحداته عن علم العروض في وزن الشعر، ويبقى النغم موحداً بينهما معلناً عن هذا العناق الفني الذي يرد الفنون الجميلة إلى مبدأ واحد.

ومن مظاهر التقاء الشعر بفن الموسيقى أن كثيراً من القصائد الشعرية توضع لها ألحان موسيقية.. ويتغنى بها كثير من الفنانين.. وهذه الظاهرة

الشعر وتعانق الفنون


★ نزار قباني ★ ★ حافظ إبراهيم ★

وجدت منذ أن نشأ الشعر بل تعد نشأة الشعر العربي مصاحبة لنشأة النغم ، ففي **العصر الجاهلي** اقترن الشعر بإيقاع حركات الإبل وخطواتها وبخاصة إيقاع **بحر الرجز** ؛ وفي المعارك والغزوات كانت الأناشيد ــ وما زالت ــ تثير حماسة الجنود وتدفعهم إلى الاستهانة بالموت في سبيل الحياة الحرة الكريمة . . وفي سبيل الحفاظ على العقيدة التي تكمن فيها عزة المسلم ؛ **وفي العصر الأموي** انتشر الغناء في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وكذلك في العصر العباسي انتشر الغناء في جميع الأمصار ؛ ونجد في كتاب « **الأغاني** » ، مادة وفيرة تعنى بالدراسات الموسيقية وارتباطها بفن الشعر .

وفن « **الموشحات** » ، يعد قصائد معدة للتلحين الموسيقي .

وفي **العصر الحديث** تفنن الموسيقيون في تلحين القصائد الشعرية القديمة والحديثة ، وتفننوا في ذلك وأجادوا . . أصبح تلحين القصائد وغناؤها باب شهرة ونافذة انتشار للشاعر وشعره ، فالقصائد الملحنة **لشوقي وإبراهيم ناجي ، ونزار قباني ، وعلي محمود طه ، ومحمود حسن إسماعيل ، وحافظ إبراهيم ، وعبد الله الفيصل ، وأحمد رامي** ، تساهم إلى درجة بالغة التأثير في تعرف الجماهير على الشعراء ، وتجعل اللغة الفصحى مألوفة لدى أذواق العامة والخاصة .

وفي الشعر الأوروبي كتبت أشعار معدة لإضافة الموسيقى إليها فيما بعد ، مثل النصوص المؤلفة من أجل « **الأوبرا** » ؛ وأحياناً كان الشعراء هم الملحنون ، ولكن تأليف الموسيقى والكلمات كان لا يتم في وقت واحد ؛ فقد كتب « **فاجنر** » ، مسرحياته قبل أن يلحنها بسنوات ، وكثير من القصائد الغنائية قد ألفت لتلائم ألحاناً جاهزة .

وهناك شعراء رومانسيون من أمثال « **تيك** » ، وبعده « **فرلين** » ، كانت محاولاتهم لبلوغ التأثير الموسيقي هي إلى حد كبير محاولات لضغط البنية المعنوية للشعر ، وتجنب التأليف المنطقي ، والتشديد على أهمية المغزى بدلا من الدلالة[٣] .

و« **شيللي** » ، في « **دفاعه عن الشعر** » ، الذي كتب سنة ١٨٢١ م ، ونشر سنة ١٨٤٠ م ، يركز على هذا التعانق بين فن القول الشعري وفن الموسيقى . . ويوضح أن « الشعر بالمعنى الخاص يعبر عن ذلك التنسيق اللغوي ، وخاصة اللغة الموزونة التي تخلقها تلك القوة الملوكية التي يختفي عرشها وراء طبيعة الإنسان الخفية ؛ . . . فاللغة هي مرآة تعكس الضوء الذي يراد منها إيصاله ، وكل من اللون أو الشكل أو الحركة سحابة تغشي ذلك الضوء . ولهذا لم تبلغ شهرة النحاتين والرسامين والموسيقيين مبلغ شهرة الشعراء بالمعنى الخاص لهذه الكلمة شأنهم في ذلك شأن عازفين متساويين في الموهبة ولكنهما ينتجان آثاراً مختلفة حين يعزف كل منهما على القيثارة » .

ويؤكد شيللي على أن « الانسجام اللفظي الذي يتم بالاختيار الملائم للألفاظ ، وبترابط الصوت مع المعنى فيها ، هو جزء من الطريقة التي يحقق بها الخيال بلوغ النظام الأمثل . فالصوت والمعنى عنده يأتلفان معاً كأنهما مركّب عضوي ، مثلما تنمو البذرة حتى تصبح زهرة ، ولا يمكن أن يوضعا معاً بطريقة آلية »[٤] .

موقف النقّاد

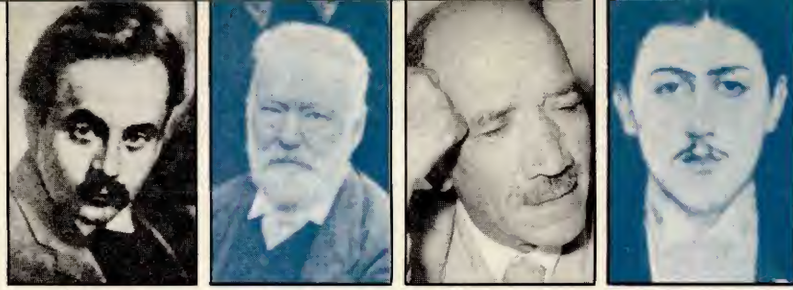
وبرغم كل هذه الصلات التي تقرب ما بين فنّي الموسيقى والشعر يتشكك بعض النقاد في قدرة الشعر على بلوغ التأثير الموسيقي . . ويرى هذا البعض « أن القصائد ذات النسج المحكم والبنية المتماسكة لا تكون طوع التلحين الموسيقي ، في حين أن الشعر العادي أو الضعيف يكون قابلاً للتلحين والغناء مثل القصائد الأولى **لهايني** ، و « **ويلهلم مولر** » ؛ وحين يكون الشعر ذا قيمة أدبية سامية فإن التلحين في الغالب يشوهه أو يبهم اتماطه تمام الإبهام حتى وإن كانت لألحانه قيمة في ذاتها » .

ومما يؤكد صواب هذا القول الذي ذهب إليه الناقدان « **رينيه بليك** » و « **أوستن وارين** » ، إخفاق اللحن في أجزاء من « **عطيل** » في « **أوبرا فردي** » ، كما أن جميع ألحان المزامير أو قصائد « **غوته** » تقدم برهاناً دقيقاً على هذا التنازع ؛ **فالتعاون بين الشعر والموسيقى موجود بكل تأكيد سوى أن أرفع الشعر لا يميل إلى الموسيقى ، كما أن أعظم الموسيقى تقف دون حاجة إلى كلمات** .

الشعر والرّسم

وأما عن صلة الشعر بفن الرسم ، فتؤكده ضرورة وجود الصورة الشعرية في إقامة كيان التجربة الشعرية ؛ و « **كولريدج** » ، يقول في حديثه عن شعر شكسبير ، « الصور فيه براهين عبقرية أصيلة وما ذلك إلا لأنها خاضعة في صياغتها لسيطرة العاطفة » ، والصور الشعرية تقرب بين الحقائق المتباعدة ، وتؤلف بين الأضداد حيث يلتقي الحلم الشعري بالحقيقة ؛ فالصور التجسيمية والوصف الموضوعي يميزان الصورة عند **البرناسيين** ، والصور المهمومة المشوبة بالغموض هي منهج **الرمزيين** الذين يعطون الأهمية الأولى للظلال لا للألوان ، والصور الشعرية ذات الدلالة النفسية تمثل منهج **السيرياليين** .

وإلى جانب هذا التداخل بين فنّي الرسم والشعر نلمح علاقة جوار وتآخ وتلازم بين هذين الفنّين . . وتتجسم هذه العلاقة في حرص كثير من الشعراء المعاصرين على أن يضيفوا إلى دواوينهم لوحات تفسّر


★ بروست ★ ★ أحمد رامي ★ ★ فيكتور هيجو ★ ★ جبران ★

قصائدهم ، ويحرص الرسام على أن يصبح عمله تفسيراً جديداً لقصائد الشاعر ، من الشعراء من يقيمون معارض مشتركة مع الرسامين لعرض لوحاتهم مفسرة بالأشعار .

وكثير من الشعراء نراهم يستوحون قصائدهم من رسوم أبدعها فنانون تشكيليون فالشعر يكون مصدر تجاربه في أحيان كثيرة الرسم أو النحت أو الموسيق ؛ وقد تغدو الأعمال الفنية الأخرى موضوعات للشعر شأنها شأن الأشخاص والطبيعة .

ويقال إن « **سبنسر** » ، استلهم بعض قصائده الوصفية من القماش المزين والمواكب واستق « **كيتس** » ، تفاصيل قصيدته « على قارورة يونانية » ، من إحدى صور « **كلود لورين** » . ويرى « **ستيفن . أ . لارابي** » ، أن جميع رموز وإيحاءات النحت اليوناني موجودة في الشعر الإنجليزي ؛ وذلك واضح في دراسته « **شعراء إنجليز وتماثيل يونانية** » ، الصلة بين النحت والشعر ، خاصة في المرحلة « **الرومانتية** » .

وقصيدة « **مالارميه** » « **قيلولة وعل** » ، مستلهمة من رسوم « **بوشر** » ، في المتحف القومي بلندن . وكتب الشعراء وبخاصة شعراء القرن التاسع عشر الميلادي ، أمثال **هيجو وجوته** والمدرسة البرناسية ، قصائد حول صور معينة(٥) .

وإغراقاً من الشعراء في تجسيد الصلة بين فنّي الشعر والرسم ، نجد كثيراً منهم يجعل القارئ يتخيل الصورة ببصره فعلاً ، وشعراء القرن الثامن عشر الميلادي ، ولعوا بالناحية التصويرية في الشعر ولعاً شديداً ، وشعراء الوصف في الشعر العربي وفي مقدمتهم شعراء الجاهلية عنوا بهذا الاتجاه التصويري عناية فائقة وبخاصة في وصف الطبيعة الحية التي عايشوها واندمجوا في عوالمها .

والأدب الحديث بدءً من « **شاتوبريان** » ، وانتهاءً « **بروست** » ، تأثر كثيراً بإيحاءات الرسوم ، ويحفزنا إلى تصور المشاهد بتعبيرات تستدعي غالباً الرسوم الحديثة .

وهذا هو التعانق الفني بين الشعر والرسم قد يكون داخل وجدان فنان واحد . وقد تتعانق الفنون الجميلة كلها في دائرة إبداعه ، ومحيط انفعالاته المائج بالأحاسيس ، فنجد الشخص الواحد شرنقة فنية تتشابك خيوطها . . وتتنوع إفرازاتها وإن شئت فقل هو أرض خصبة تجود بأنفس الأشياء وأغلى النعم ظاهرة وباطنة ؛ فهو شاعر ورسام ومصور وموسيقي ، ويمكن أن يكون نحاتاً . . فمثلاً « **وليم بليك** » ، كان شاعراً ورساماً ، وكذلك « **روستي** » ، وقد وضع « **ثاكري** » بنفسه ، صوراً لقصة « **سوق الغرور** » .

في الأدب العربي

ومن أدبنا العربي الحديث كان « **جبران** » ، يجمع بين الشعر والرسم والتصوير والموسيق ، وقد رسم لوحات كتبه بنفسه ، بل وضع صوراً تخيلها **لابن سينا والمتنبي وأبي العلاء ، وأبي نواس** في كتابه « **البدائع والطرائف** » .

وفي شعر « **شوقي** » و « **علي محمود طه** » و « **عبد الله البردوني** » و « **عبد الله الفيصل** » و « **عمر أبي ريشة** » وغيرهم من كبار الشعراء العرب في العصر الحديث . . لوحات شعرية معبرة تترجم هذه الصلة الحميمة بين الشعر والرسم والتصوير ، والشعر يحيا بوجود الصورة الشعرية ؛ ويتوهج بالنبض الإيقاعي . . والموسيق الموحية ؛ وموهبة الشاعر تتسنم الذروة حين يجعل تراكيبه الشعرية مرئية . . ورنين إيقاعه دافئاً ؛ حين يحول الكلمات إلى صور مشرقة موحية ، صور ذوقية أو شهية ، أو حرارية ، أو صور ضغطية من أصل جمالي .

وهذه الصورة تفيض بها المخيلة الحرة البصرية لا المخيلة المقيدة السماعية . فالصورة البصرية أكثر إيحاءً وانطلاقاً وتعبيراً من الصورة السمعية .

ولذلك فضّل « **إليوت** » « **دانتي** » على « **ملتون** » ، لأن مخيلة دانتي بصرية . . وهي ما يجب أن تتوفر لدى كل شاعر كفؤ ؛ ومخيلة ملتون سمعية ، فهو لم ير الأشياء بعينها وإنما سمع عن مفهومها .

وبرغم هذا التعانق بين الشعر والفنون الأخرى لا يمكن أن يتحول الشعر كلية إلى نحت أو رسم أو موسيق . فإن التأثير في الشعر يختلف عن تأثير فن النحت فمثلاً برودة الإحساس في الشعر شيء يختلف تمام الاختلاف عن الإحساس اللمسي بالرخام . وإن السكينة في الشعر شيء تختلف عن السكينة في إبداع فنان تشكيلي . وتبق لكل فن خصائصه . ولكن الفنون لا ترضى العزلة فتسعى إلى بعضها لتبادل التأثر والتأثير وفي مقدمتها الشعر ترجمان الحياة ونبض الإنسانية .

الهوامش

(١) نظرية الأدب . أوستن وارين ، رينيه وبليك . ترجمة محيي الدين صبحي ، ص ١٧٥ ، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

(٢) مذاهب الأدب في أوروبا « الكلاسيكية » ، د . عبد الحكيم حسان ، ص ٢٧٢ ، دار المعارف بالقاهرة .

(٣) نظرية الأدب « المصدر السابق » ، ص ١٦٤ .

(٤) انظر « مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق » ، ديفد ديتشس ، ترجمة الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

(٥) انظر « نظرية الأدب » ، ص ١٦١ .



بقلم: د. صبري محمد حسن

تكاملت مدرسة علم اللغة الأحمر في إطار مناخ فكري عام تربى فيه أساطينها من أمثال بوهلر النمساوي بأبحاثه عن فلسفة العلم وسيكولوجية اللغة وتروبتزكوي Trubetzkoy الروسي بأبحاثه ودراساته عن التكامل الصوتي ووظائف اللغة وتركيزه على دور الأصوات اللغوية في تنفيذ وظائف اللغة نفسها. أما فايلم ماثيسيوس Vilem Mathesius التشيكي فهو صاحب مفهوم المنظور الوظيفي للجملة الذي لم يطبقه فحسب على لغته الأم، بل طبقه أيضاً على لغات أوروبية أخرى. وموكاروفسكي Mukarovesky أيضاً هو صاحب مفهوم الوظيفة الاستاطيقية الجمالية للغة من خلال البنيتين: الاستاطيقية الجمالية والأدبية. إضافة أيضاً إلى اهتمام تلك المدرسة بالوظيفة الاجتماعية للغة وتركيزها على اللغة المعيارية ودورها في خدمة المجتمع الأمر الذي خص تلك المدرسة بدور متميز على مسرح علم اللغة ومكانة لا يمكن إغفالها بين مدارسه المختلفة.

اهتمامات وتوجهات المدرسة

إذا كان علم اللغة لم ينشأ في أمريكا إلا مؤخراً بوصفه ميداناً ومجالا مستقلين من مجالات البحث فإن **مدرسة علم اللغة الحمراء** تحقق تكاملها الوثيق اللصيق بين مجموعة من اللغويين الذين تكاملوا جميعاً في إطار مناخ فكري عام وفي حيز مكاني أيضاً أطلق على نفسه اسم «**قلب أوروبا**» في الثلاثينات من القرن العشرين، وبذلك تختلف هذه المدرسة عن المدرسة الأمريكية التي واجهت في بادئ أمرها معارضة قوية عنيدة من طلاب اللغة أصحاب العقول المتحجرة.

وإذا كان اللغويون الأمريكيون في بداية عهدهم أيضاً قد اتسموا بالعزلة وتحاشي النقاش مع الطلاب التقليديين فإن مدرسة علم اللغة الحمراء اقتحمت تلك المناقشات ولعبت دورها فيها. وربما يرجع السبب في ذلك إلى طبيعة العلاقة التي تربط اللغويين ببيئتهم الفكرية وتتمثل أصلاً في اختلاف المناخ الفكري في أوروبا عنه في أمريكا في ذلك الوقت. كما يمكن رد مثل هذا الاختلاف أيضاً إلى اختلافات التوجه النظري داخل المدرسة الحمراء، فضلاً أيضاً عن اختلاف التيارات السائدة في علم اللغة البنيوي في الولايات المتحدة الأمريكية.

ومدرسة علم اللغة الحمراء، عكس مدارس علم اللغة جميعها، بل وعكس مختلف الاتجاهات الأخرى بما فيها الاتجاه الوصفي والتحويلي، تركز بالدرجة الأولى وبشكل قوي جداً على دراسة وظائف اللغة، وينصب هذا التركيز بصورة خاصة على وظيفة اللغة في عملية التواصل من ناحية ودور اللغة ووظيفتها في الأدب من ناحية أخرى، فضلاً أيضاً عن اختلاف جوانب اللغة واختلاف مستوياتها أيضاً من وجهة نظر وظيفية خالصة.

وقد زادت هذه المدرسة بتوجهها هذا من الاهتمام بمساحة المشكلات التي لها قيمة خاصة

من الناحية الوظيفية عند دراسة اللغة . والمدرسة الحمراء تدخل في نطاق اهتماماتها الرئيسية : « **الفنولوجيا** »[1] التي ترى أنها تتمثل في دراسة القيمة الوظيفية للأنماط الصوتية ضمن الإطار العام للغة . كما تركز هذه المدرسة أيضاً على مفهوم المنظور الوظيفي للجملة الذي تراه على أنه تناول وظيفي للتفسير اللغوي لمشكلة الأسلوب ، فضلاً عن تركيزها أيضاً على دراسة الوظيفة « **الاستاطيقية** » الجمالية للغة ودور تلك الوظيفة في الأدب والفنون التعبيرية اللفظية ، هذا بالإضافة أيضاً إلى دراستها دور اللغة المعيارية في المجتمع الحديث .

وإذا استثنينا « الفنولوجيا » من بين هذه الاهتمامات نجد أن المدرسة الحمراء تنفرد بالتركيز على بقية الاهتمامات الأخرى بدرجة أكبر من جميع مدارس علم اللغة الأخرى ، وهذا لا يعني أن اهتمام المدرسة الحمراء « بالفنولوجيا » كان مقلاً بشكل أو بآخر .

بوهلر وسيكولوجية اللغة

كيف تتناول المدرسة الحمراء مفهوم وظائف اللغة ؟ وكيف تطبق وجهة نظرها الوظيفية تلك في دراساتها وأبحاثها اللغوية ؟

قدم « كارل بوهلر » ، عالم النفس النمساوي ذائع الصيت ، في الثلاثينات بحثه الشهير عن سيكولوجية اللغة الذي بناه على أساس من مفهوم رئيسي أطلق عليه اسم « **الأداة النموذجية للغة** » . وقد استعمل بوهلر كلمة أداة مصطلحاً فيما يشير به إلى وجهة نظر مؤداها أن اللغة التي تعد نظاماً من الرموز ، تؤدي وظيفة الأداة التي يستطيع الإنسان أن يخبر الآخرين بها عن الأشياء . وهذا المفهوم يتساوق مع فلسفة بوهلر نفسه عن العلم .

ويركز « بوهلر » في مفهومه هذا على أهمية الموقف عند استعراض أي موضوع لدراسته . وهذا يعني **أننا إن أردنا فهم وظيفة اللغة كأداة ، يجب علينا استعراض اللغة في ضوء ثلاثة عوامل رئيسية خاصة بموقف الكلام نفسه الذي استخدمت فيه اللغة ، وهذه العوامل الثلاثة هي : المتكلم والمستمع ثم الأشياء** ، لأن الإشارة اللغوية إنما ترتبط بعلاقة متبادلة مع هذه العوامل الثلاثة . فهي ترتبط بعلاقة متبادلة مع المتكلم من ناحية ، ومع المستمع من ناحية أخرى ، فضلاً عن ارتباطها بعلاقة متبادلة مع الأشياء التي يجري الكلام عنها . والارتباط المتلازم هذا عند « بوهلر » إنما يعني أنه إذا أدخل أي تباين على المتكلم فإنه يؤدي بالتبعية أيضاً إلى حدوث تباين في الإشارة اللغوية نفسها . وبالقدر نفسه أيضاً إذا أدخل تباين على المستمع تتباين معه أيضاً الإشارة اللغوية . زد على ذلك أن حدوث أي تباين على الأشياء التي يدور الكلام عنها تتباين معه أيضاً الإشارة اللغوية . ويرى « بوهلر » في ارتباطات العلاقات المتبادلة تلك أنها تمثل الوظائف الأساسية للغة ، ولذلك يطلق « بوهلر » على العلاقات التي بين الرمز اللغوي والمتحدث اسم « **الوظيفة التعبيرية للغة** » ، كما يطلق أيضاً على العلاقة المتبادلة بين الإشارة اللغوية والمستمع اسم « **الوظيفة الاستثنافية** » ، وأخيراً يطلق « بوهلر » نفسه على العلاقة المتبادلة بين الرمز اللغوي والأشياء التي يدور الكلام عنها اسم « **الوظيفة التمثيلية** » .

تروبتزكوي وأصوات اللغة

يجيء تروبتزكوي Trubetzkoy وهو روسي المولد والمنشأ ، على رأس من يُسَلِّمون بمفهوم « بوهلر » عن الوظائف الثلاث للغة ، فضلاً عن شهرته بأبحاثه على « الفنولوجيا » ، آخذاً في اعتباره وظائف اللغة الثلاث التي أرساها « بوهلر » ، ومركزاً أيضاً على جانبين أساسيين متميزين في دراسته لذلك العلم هما : الدور الذي تلعبه أصوات الكلام في تنفيذ الوظيفة التمثيلية للغة فضلاً عن دراسته لدور هذه الأصوات نفسها في تنفيذ الوظيفتين الأخريين ، وهما على وجه التحديد الوظيفة التعبيرية والوظيفة الاستثنافية . ويطلق تروبتزكوي على المجال الأول من مجالي دراسته لعلم « الفنولوجيا » اسماً اشتقه من اسم العلم نفسه يتساوى تماماً مع مصطلح « **الفونيميات** »[2] الذي تستعمله المدرسة الأميريكية حالياً ، كما يطلق أيضاً على المجال الثاني لهذه الدراسة اسم « **الأسلوبيات الصوتية** » الذي يقول له الإنجليز -Phonon stulistics' ، غير أن معظم أبحاث تروبتزكوي تتركز أصلاً على « الفونيميات » أكثر منها على الأسلوبيات الصوتية .

ويتركز مفهوم تروبتزكوي الأساسي في دراسته للأنماط الصوتية في أنها هي التي تمكننا من تمييز الوحدات اللغوية ذوات المعنى بعضها عن بعضها الآخر دون أن تكون تلك الأنماط نفسها حاملة لأي معنى ، وبذلك فإن تروبتزكوي يُعَرِّفُ الوحدة الحدية التي يطلق عليها اسم « **الفونيمة** » في إطار « الفنولوجيا » بالدور الذي تشارك به الوحدة تلك في الوظيفة التمثيلية للغة ، وهذا يعني أنه إنما يُعَرِّفُ الفونيمة في ظل قدرتها على التمييز بين الحاملات المختلفة للوظيفة التمثيلية بعضها عن بعضها الآخر . ويؤكد تروبتزكوي أيضاً على أن المفهوم الأساسي في تفسير توظيف « الفونيات » في اللغة إنما يتمثل في ما أطلق عليه اسم « **التقابل الفنولوجي** » الذي يعني ، عنده ، تلك الفروق الحرجة المسموعة التي نستطيع بها تمييز « الفونيات » الواحدة عن الأخرى ، وبالتالي نتمكن من تمييز وحدات الكلام ذوات المعنى ، الواحدة عن الأخرى أيضاً .

ويتجلى مفهوم تروبتزكوي هذا في الكلمتين الإنجليزيتين **pit** وتعني « حفرة » ، وكلمة **bit** التي تدل على « عضة / قضمة » . فالصوتان الأولان في هاتين الكلمتين هما صوتان فارقان

لأنهما يميزان ويفرقان وحدتي معنى : pit و bit الواحدة عن الأخرى ، بمعنى أن الفونيمتين / p / و / b / تميزان الكلمتين الواحدة عن الأخرى . هاتان الفونيمتان نفسهما يمكن تمييزهما الواحدة عن الأخرى ، إذ إن الفونيمة / b / مجهورة ، أما الفونيمة / p / فمهموسة . كما تركز أبحاث تروبتزكوي بدرجة أكبر على مناقشة أنماط التقابل الفنولوجي المختلفة التي يراها أموراً محتملة بشكل منطقي أو أنه قد لاحظها في معظم لغات العالم .

المنظور الوظيفي للجملة

وقد برزت المدرسة الحمراء وتطورت أيضاً في مجال المقارنة بين القواعد ودراسة الأسلوب . ويعد فايلم Vilem ماثيسيوس Mathesius أشهر من ابتكر وطبق في أبحاثه ذلك المفهوم الذي أطلق عليه اسم المنظور الوظيفي للجملة ، الذي يقول له الإنجليز – Functional sentence perspective كما طبقه أيضاً على اللغة التشيكية ، لغته الأم ، فضلاً عن تطبيقه لهذا المفهوم نفسه على اللغة الإنجليزية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى ، الأمر الذي ترددت أصداؤه بشدة بين أتباع المدرسة الحمراء فاتبعوه إلى يومنا هذا . ترى ماذا كان جوهر المفهوم الذي بنى عليه ماثيسيوس منظوره الوظيفي للجملة ؟

يرى ماثيسيوس أن كل عمل من أعمال الكلام لا يبنى بطريقة واحدة وإنما يبنى بطريقتين : فثمة بناء يتم بطريق النمط القواعدي للجملة ، وبناء آخر لا يكون صنواً للبناء القواعدي ، يتوفر للجملة عن طريق ما يسميه ماثيسيوس «**بنية السياق الحاملة للمعلومات**» . وهو يرى أن هذين هما البناءان المختلفان اللذان تستطيع اللغة بهما الكشف عن وظائفها . ويصف ماثيسيوس الفرق بين البناءين فيقول :

« ينبغي أن تكون البنية الحاملة للمعلومات



في الجملة في تقابل مع بنيتها الرسمية . وإذا كانت البنية الرسمية تلك تعنى أصلاً بالطريقة التي يتم بها تكوين جملة من عناصر قواعدية ، فإن البنية الحاملة للمعلومات تعنى أصلاً بطريقة تكامل الجملة مع الموقف الطبيعي الفعلي الذي تم إنتاج تلك الجملة فيه . والعناصر الرئيسية لبنية الجملة الرئيسية هي المبتدأ القواعدي والخبر القواعدي أيضاً ، أما عناصر البنية الحاملة للمعلومات فهي بمثابة الأساس من السياق نفسه ــ لأن معطيات أي موقف بعينه تكون معروفة أو واضحة على أقل تقدير ، وبذلك تشكل نقطة ابتعاد للمتكلم نفسه ــ كما أن لب السياق هو ذلك الذي يريد المتحدث تأكيده عن أساس السياق أو في ضوء ذلك السياق نفسه »[٣] .

وإزاء مصطلحي « الأساس » و « اللب » اللذين استعملهما ماثيسيوس لم يفعل اللغويون الذين جاءوا من بعده شيئاً سوى استبدال أول هذين المصطلحين بمصطلح كلاسيكي آخر هو « **التيمة** » الذي يقول له الإنجليز **theme** وتعني « الموضوع » واستبدال المصطلح الثاني بمصطلح كلاسيكي أيضاً يقول له الإنجليز **rheme** ولا يعني سوى « الخبر » الذي أطلقه عليه ماثيسيوس نفسه .

ويعد تنظيم الكلمات وترتيبها شكلاً من أشكال التعبير عن المنظور الوظيفي للجملة في لغات العالم . « فالتيمة » أو المبتدأ يقع في بداية الجملة بالنسبة للكلام العادي الخالي من التوكيد ، أما « الخبر » فيرد بعد المبتدأ في نفس هذا النوع من الكلام أيضاً . وفي لغات مثل الإنجليزية نجد أن تنظيم الكلمات وترتيبها له

وظيفة قواعدية هي وظيفة تمييز المبتدأ عن الخبر ، ويمكن تحقيق تنظيم الكلمات الذي يتطلبه المنظور الوظيفي للجملة باستعمال طرق التعبير القواعدية المختلفة ، مثل تقابل صيغة المبني للمعلوم مع صيغة المبني للمجهول .

من ذلك مثلاً أن الجملة الإنجليزية :
Professor Ali wrote this book on Chemistry
المبنية للمعلوم ، التي معناها : « الأستاذ علي كتب هذا الكتاب عن الكيمياء » ، يمكن فرقها عن الجملة المبنية للمجهول : This book on Chemistry was written by Professor Ali التي معناها : « هذا الكتاب عن الكيمياء كتب بواسطة الأستاذ علي » ، على أساس اختلاف المنظور الوظيفي للجملة . فنحن نجد أن المبتدأ في الجملة المبنية للمعلوم هو « الأستاذ علي » أما الخبر فهو « هذا الكتاب عن الكيمياء » . وفي الجملة المبنية للمجهول نجد أن « هذا الكتاب عن الكيمياء » هو المبتدأ و « الأستاذ علي » هو الخبر .

ولتسهيل تمييز المبتدأ عن الخبر في الجملة ، يقترح ماثيسيوس صياغة سؤال بحيث يكون السياق إجابة محتملة لمثل ذلك السؤال ، وبحيث يكون المبتدأ في إجابة مثل ذلك السؤال عنصراً اسمياً معرفاً ، وبحيث أيضاً يمكن السؤال عن الخبر بضمير . فلو أننا سألنا عن الجملة المبنية للمعلوم سؤالا مثل : ما الذي كتبه الأستاذ علي ؟ تكون إجابتنا « كتاباً عن الكيمياء » وهذا هو المبتدأ . وإذا سألنا سؤالا ثانياً : « بواسطة مَن كُتب هذا الكتاب عن الكيمياء ؟ » تصبح الإجابة : « هذا الكتاب عن الكيمياء كُتب بواسطة الأستاذ علي » .

البنية الاستاطيقية[٤] للغة

وإذا كانت دراسة المنظور الوظيفي للجملة تتناول الطريقة التي تكشف اللغة بها عن الوظائف الثلاث التي صاغها « بوهلر » فقد أضافت مدرسة علم اللغة الحمراء جانباً هاماً

آخر يتناول وظيفة رابعة أخرى للغة لم يتطرق إليها « بوهلر » في أبحاثه ، وقد تمثلت تلك الوظيفة أو ذلك الجانب الرابع في الأبحاث التي قامت بها المدرسة الحمراء على البنية الاستاطيقية الجمالية والبنية الأدبية أيضاً ، اللتين ركزت عليهما هذه المدرسة طوال الثلاثينات وحتى مطلع الأربعينات أيضاً ، وكان أبرز علمائها في تلك الأيام **جان موكاروفسكي** Jan Mukarovsky الذي يتمثل مفهومه الأساسي عن الوظيفة الاستاطيقية الجمالية للغة في أن :

« كل جسم أو حدث ، تشمله اللغة ، تحدد له وظيفة محددة ، هذه الوظيفة نفعية بالنسبة للأدوات ، تواصلية بالنسبة للغة .... إلخ ، ومع ذلك إذا حدث وأصبح الجسم أو العمل محطاً للاهتمام به في حد ذاته وليس من أجل الوظيفة العملية التي يخدمها ذلك الجسم أو ذاك العمل ، تصبح لمثل هذا الجسم أو ذلك العمل قيمة جمالية ، بمعنى أن ذلك الجسم أو ذاك العمل يستجاب له لما هو عليه وليس لما هو من أجله . وبذلك فإن القيمة الجمالية على هذه الشاكلة ، لا تكون مقصورة على الأعمال الأدبية والأدب فقط ، وإنما تظهر أيضاً في الاتصال بأي جسم أو عمل » .

ولتوضيح ذلك يضرب « **بوهسلاف هفرانيك** » Bohuslave Havranek مثلاً مؤداه أننا لو ترجمنا التحية الروسية الشهيرة Zdravstvuyre إلى اللغة الإنجليزية بالمعادل العرفي الوظيفي لها الذي يقول له الإنجليز : good morning وتعني « صباح الخير » بلغة القوم ، أو بمعادل عرفي آخر يقول له الإنجليز أيضاً : good evening ويعني « مساء الخير » بلغة القوم أيضاً ، لمرّت هذه التحية مرور الكرام كتحية عادية . أما إذا ترجمنا تلك التحية نفسها ترجمة حرفية إلى الإنجليزية لتصبح : be well وتعني « ليكن لك الخير » فقد تفهم هذه التحية على أنها نوع معين من أنواع التحية ، بمعنى أنها يمكن أن تحتفظ بوظيفتها التواصلية ، ولكن مثل هذه التحية نفسها قد تثير بالإضافة إلى ذلك ملاحظة خاصة في نوع ما ، ويتسبب عنها شيء من الحيرة والارتباك عن قصد المترجم نفسه ، أو قد تفسر نفس هذه التحية أيضاً على أنها محاولة لنقل وتوصيل انطباع قادم من بيئة أجنبية . وهكذا نجد أن الترجمة الحرة أو التلقائية إنما تشكل نوعاً من « المكننة » ، أما الترجمة الحرفية فهي بدورها تعد مثالا على « الأمامية » التي يتم فيها الاستجابة للصياغة نفسها بدلا من الاستجابة لمضمون رسالة التواصل ، وبذلك تكون خاصية استثارة الاستجابة بحد ذاتها هي التي تشكل الوظيفة الاستاطيقية الجمالية للغة .

ويرى « موكاروفسكي » مفهوم « الأمامية » هذا في إطار اللغة على أنه « **التشوه الاستاطيقي الجمالي المتعمد للمكونات اللغوية** » ، بمعنى أن أتباع المدرسة الحمراء إنما كانوا في الحقيقة أتباعاً للغوي السويسري الشهير « **فرديناند ديسيسور** » الذي يتمركز مفهومه للغة حول نظام الإشارات من ناحية ومجموعة من المعايير الاجتماعية من ناحية أخرى . فأي نمط لغوي باعتباره من ناحية نظاماً من الإشارات إنما يتمتع بقدر معين من المرونة يسمح بإحداث تباينات داخل الوحدات ، كما يسمح أيضاً باختيار وترتيب الوحدات إلى الحد الذي لا يمكن أن يحدث عنده أي تناقض بين هذه الوحدات وبين فهمها من ناحية الوضوح والجلاء .

واللغة أيضاً باعتبارها مجموعة من المعايير الاجتماعية تسمح أيضاً بتقييد أي نمط لغوي على أساس من الأولويات الثقافية لتلك التباينات المسموح بها ، ومدى ترددها من الناحية الإحصائية . وبذلك تصبح مسألة « التشوه » عند موكاروفسكي مسألة تخص النمط اللغوي بقدر ما يكون هو نفسه معياراً اجتماعياً ، على أن يظل هذا « التشوه » في نطاق حدود النمط أيضاً كنظام للإشارات ، نظراً لأن الوحدات التي « تشوه » وتصطبغ بصبغة « الأمامية » تلك إنما تنبع أصلاً إما من النظام نفسه شأنها في ذلك شأن نظائرها الممكننة المقابلة لها أو أن هذه الوحدات يتم افتراضها في النظام نفسه أو في ضوء شروطه .

ولا تقتصر الوظيفة الاستاطيقية الجمالية للغة على الأعمال الفنية والأدب فقط ، لأن ما يميز الفن والأدب في رأي « موكاروفسكي » باعتبارهما يتقابلان مع « الأمامية » العشوائية التي قد تحدث في أي موقف من المواقف الاجتماعية إنما يكمن في « الطابع المتماسك المنظم للأمامية نفسها » . ويكشف ذلك التماسك عن نفسه في حقيقة مؤداها أن إعادة تشكيل المكونات التي اصطبغت بصبغة « الأمامية » في عمل من الأعمال الفنية إنما حدث في اتجاه ثابت ، ولذلك فإن تجريد المعاني من المكننة في عمل من الأعمال إنما يجري ويتحقق بطريقة متماسكة عن طريق الانتقاء المعجمي (المزج المتبادل بين المساحات التقابلية من المعجم) . وقد يتم حل هذا التجريد في عمل آخر وبالقدر نفسه من التماسك أيضاً عن طريق العلاقة الدلالية غير الشائعة للكلمات بعضها من بعضها الآخر في السياق . وينتج عن هاتين العمليتين اصطباغ المعنى بصبغة « الأمامية » في الحالتين ولكن بطريقتيهما الخاصتين المختلفتين في كل منهما .

ويتمثل اصطباغ المكونات بصبغة « الأمامية » المنظمة في العمل الشعري مثلاً في تدرج العلاقات المتداخلة بين كل هذه المكونات ، أو بمعنى آخر التدرج المتبادل للعلاقات المتداخلة بين كل هذه المكونات من حيث إخضاعها للمرتبة الأدنى أو المرتبة الأعلى على حد سواء . وبذلك يصبح المكون الذي يجيء على رأس هذا النظام الهرمي بمثابة المكوِّن الغالب أو المهيمن . أما بقية المكونات الأخرى سواء ما اصطبغ منها أو لم يصطبغ بصبغة « الأمامية » بالإضافة أيضاً إلى العلاقات المتداخلة بينها ، فيتم تقدير قيمتها من موقع المكون الغالب والمهيمن نفسه لأن المكون

الغالب أو المهيمن في العمل هو الذي يبث الحركة ويحدد اتجاه علاقات جميع المكونات الأخرى »[٥] .

ويسوق « موكاروفسكي » « الخط العروضي » في القصيدة الشعرية مثالا على المكون المهيمن أو الغالب ، وهو يقصد بالخط العروضي ذلك انتقاء الملامح العروضية مثل النبر والتنغيم التي تميز عملاً شعرياً بعينه . كما يوضح « موكاروفسكي » أيضاً ، الطريقة التي يتكامل بها ما يسميه بالخط العروضي في الشعر التشيكي مع انتظام الكلمات وترتيبها . وتدليلاً على فرضيته تلك يوضح « موكاروفسكي » كيف ينتج الخط العروضي عند مؤلف تشيكي مثلاً ، وبخاصة عندما يغير المؤلف نفسه من انتظام الكلمات وترتيبها ، دون أن يخل ذلك بالقافية أو الوزن ، وكيف أن ذلك يصبح أيضاً طابعاً مميزاً تماماً لشاعر يختلف اختلافاً بيناً عن سائر الشعراء الآخرين .

الوظيفة الاجتماعية للغة

وثمة مساحة أخرى من أبحاث المدرسة الحمراء تخصص لدور اللغة في التفرقة الاجتماعية ، إذ إن هذه المدرسة تدرس وظيفة اللغة في هذه المساحة ، لا في ضوء موقف الكلام نفسه ، كما فعل « بوهلر » ، وإنما تدرس هذه الوظيفة نفسها في ضوء الخلفية الاجتماعية لنمط الكلام ككل ، بمعنى أن هذه الدراسة إنما تعني أصلاً ما يمكن أن نسميه « الوظيفة الاجتماعية للغة » التي تخدم بها اللغة طبقات المجتمع المختلفة . وينصرف تركيز المدرسة الحمراء هنا إلى التركيز على اللغة المعيارية ودور مثل هذه اللغة في المجتمع الحضري الحديث كما هو الحال في أوروبا .

ويعد **« هفرانيك »** و « ماثيسيوس » أبرز من تناولوا دور اللغة المعيارية في المجتمع فقد **عرّفا اللغة المعيارية بأنها شكل منسق ومنظم من أشكال اللغة ويسلم به مجتمع لغوي أكبر لأن ذلك الشكل يخدم ذلك المجتمع اللغوي نفسه .** وتعزي المدرسة الحمراء إلى اللغة المعيارية خاصيتين هما الثبات والاستقرار المرن من ناحية والعقلنة من ناحية أخرى . وترى المدرسة الحمراء الخاصية الأولى على أنها خاصية مبتغاة ينبغي تحقيقها ، إذ إن اللغة المعيارية كي تؤدي وظيفتها بدرجة عالية من الكفاءة يجب أن تكون مستقرة على شكل منسق ومنظم بما فيه الكفاية ، كما أن مثل هذه اللغة يجب أن تكون في الوقت نفسه مرنة بالقدر الذي يسمح بتغيير ذلك الشكل المنسق كي يواكب التغيير الحضاري . وتتميز العقلنة بأنها اتجاه صوب وضوح العبارة وتنظيمها تنظيماً متناسقاً ، إذ إن التنظيم المتناسق يخص القواعد ، أما وضوح العبارة فينصب أصلاً على المعجم .



واللغة المعيارية عند المدرسة الحمراء تتقابل مع الكلام الشعبي ، وهو المصطلح الذي تطلقه تلك المدرسة على أنماط الكلام التي لا تخضع للشكل المنسق المنظم الذي سبق تحديده من قبل ، بأنها معروفة لدى مجتمع لغوي وتخدم ذلك المجتمع نفسه . كما تهتم هذه المدرسة أيضاً بتداخل الأدوار بين اللغة المعيارية والكلام الشعبي وبخاصة الاهتمام الذي توليه تلك المدرسة لدراسة الأنماط المختلطة التي تحتوي على عناصر من اللغة المعيارية وأخرى من الكلام الشعبي .

مآثر المدرسة الحمراء

ويجب ألا يغيب عن البال أن **« رومان جيكوبسون »** قد حصل قبل هجرته إلى الولايات المتحدة الأميركية ، على الكثير من أفكاره الأصيلة المبتكرة من المدرسة نفسها التي انكبت على توفير الإطار النظري لدراسة وظيفة اللغة إلى يومنا هذا . ولا يزال أتباع تلك المدرسة يحاولون جاهدين أن ينشروا على العالم كله تراثهم الخاص بهم في علم اللغة . ويضاف إلى ذلك أيضاً أن **« بول . ال . جارفن »** وهو من أساطين علماء اللغة المحدثين ، يعترف بفضل هذه المدرسة عليه ، لأنها « كان لها تأثيرها الكبير على الطريقة التي يفكر بها هو نفسه في علم اللغة » . كما يعترف أيضاً أن مفهوم الوظيفة الذي ابتكرته تلك المدرسة قد أينع وأتى أكله ، سواء على الصعيد النظري لتفسير الظواهر اللغوية من ناحية ، أم في ابتكار وتطوير أساليب التحليل اللغوي نفسها من ناحية أخرى .

من هنا يبدو تزايد الاهتمام بأعمال علماء مثل **« ماثيسيوس » أو « تروبتزكوي » و « فاشيك » و « ترنكا »** شاهداً بل ودليلاً على أن مدرسة علم اللغة الأميركية ترى أيضاً أن مدرسة اللغة الحمراء قد أينعت ودنت قطوفها متمثلة في نظرياتها وفهمها للجوانب المختلفة في علم اللغة .

الهوامش

(١) التكامل الصوتي .

(٢) الفونيمة : إحدى وحدات الكلام الصغرى التي تساعد على تمييز لفظة ما عن لفظة أخرى في لغة ما أو لهجة .

(٣) Vilem Mathesius. (On the So – Called Information bearing structure of the sentence). Slovo a Slovesnost, V (1939), 171 – 174 Reprinted in Vilem Mathesius, cestina obccn,y Jazykozpyt (The Gzech Language and general Linguistics) Prague, 1948.

(٤) الاستاطيقية الجمالية : القول بأن مبادئ الجمال أساسية وبأن المبادئ الأخرى ، كمبادئ الخير . . . . إلخ ، مشتقة منها وقد تعني الجمالية أيضاً بتفسير الظواهر الفنية والتجربة الجمالية بواسطة العلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ . . . الخ .

(٥) ibid., P. 20.



تأليف: السير موريس باورا
عرض وتحليل: د. محمد محمد عناني

الخيال الرومانسي

مؤلف هذا الكتاب هو السير موريس باورا أستاذ الشعر بجامعة أكسفورد والدارس المتعمق للأدبين اليوناني واللاتيني. وهو يحاول في هذا الكتاب دراسة مفهوم الخيال عند الرومانسيين والوظيفة التي لعبها في إبداع شعرهم ذي السمات الخاصة به. ويلجأ إلى التطبيق والتحليل الموضوعي في معظم أبواب الكتاب بعد مقدمة عامة عن تصوير الرومانسيين للخيال وكيفية استفادتهم منه.

ويبدأ السير باورا كتابه قائلاً:

«إذا أردنا أن نلتمس خصيصة واحدة تميز بها الشعراء الرومانسيون الإنجليز عن شعراء القرن الثامن عشر، وجدناها في اهتمامهم الشديد بالخيال وبمفهومهم الخاص عن تلك الملكة. فشعراء القرن الثامن عشر ونقاده مثل (بوب) والدكتور جونسون ودرايدن قبلهما لم يكونوا يلقون بالا إليه أو يلتفتون في حماس إلى الدور الذي يلعبه في الشعر، وإنما كانوا يتحدثون عنه في تحفظ وعلى شريطة أن يخضع دائماً لما أسموه الحكم، «بمعنى العقل أو المنطق». وهم يعجبون باللجوء إلى الصور الفنية في الشعر، ولكن هذه أيضاً لم تكن أكثر من الانطباعات البصرية أو الاستعارات. وهم يميلون إلى معالجة التجارب الإنسانية العامة التي يشترك فيها الجميع. ولا يحتفلون بالأهواء الشخصية أو النزوات الفردية التي يشتط الخيال في البعد بها عن الواقع، فالجانب المألوف من الحياة، وصدق تصويره يحتلان المكان الأول في شعرهم».

شعر الرومانسيين

أما الرومانسيون فكانوا كلفين بالغريب والغامض من تجارب البشر، كانت الرحلات التي تضرب في أشد البقاع غرابة وغموضاً تستهوي أفئدتهم وتلهب أخيلتهم حتى انعكس ذلك في حياتهم وشعرهم بصورة لم يسبق لها مثيل في الشعر الإنجليزي، ونحن إذا تأملنا شعر **وليم بليك**، و **كولريدج**، و «**وردزورث**» و **شللي** و **كتيس**، وجدنا اتفاقاً يكاد يكون تاماً حول مفهوم الخيال، والدور الذي يلعبه في الشعر، رغم الفروق الجوهرية التي تميز كلاً منهم عن صاحبه. ويعزو السير «**باورا**» ذلك إلى عاملين:

●● أولهما: الإيقان الكبير بالنفس البشرية وفرديتها.

●● ثانيهما: الإيقان بقدرة الشاعر على الإبداع، وأن هذا المبدع يجب أن ينبع من باطن النفس، ويكشف أغوارها.

وقد قوي إيقان الرومانسيين بالخيال نتيجة لعوامل أخرى دينية وميتافيزيقية، فالفلسفة الإنجليزية ظلت قرناً كاملاً خاضعة لتأثير نظريات **جون لوك**، الذي قال إن الإدراك العقلي سلبي تماماً، أي مجرد تسجيل للانطباعات الخارجية، مراقب كسول للعالم الخارجي. وكان منهجه ملائماً لعصر غلب فيه التأمل العلمي الذي كان **نيوتن** أصدق من يمثله. فالتفسير الآلي الذي قدمه الفلاسفة والعلماء للعالم يعني أن أحداً لم يكن يهتم بالنفس الإنسانية، وخاصة بعقائدها الغريزية التي لا تقل خطراً عن قضاياها المنطقية. وهكذا رأينا «**لوك**» و «**نيوتن**» يقرران وجود إله في كونيهما، فيقرر الأول وجود الإله لأن «**الطبيعة بكل**



الخيال الرومانسي

ما فيها من دقة وإتقان تشهد بكفاية على وجود (رب)، ويقرر نيوتن ذلك استناداً إلى أن **آلـة الكون الضخمة تقطع بوجود محرك لها !** ولكن الرومانسيين لم يكونوا يكتفون بهذا من الدين . فإيمانهم ينبع أساساً من إحساسهم ، ومن تجربتهم . وهكذا كان عليهم أن يبحثوا عنه في ذواتهم قبل أن ينشدوا تبريراً منطقياً لوجوده .

ومن هذا الإيمان بالدين النابع من الذات ، نشأ إيمان بقدرة هذه الذات على الإبداع الذي لا بد أن يتوسل بالخيال . فهذه الملكة وحدها قادرة على التحرر من المنطلق التقليدي ، والتهويم في أكوان جديدة بحثاً عن الخلود ، وحينما نبذ الرومانسيون التفسيرات التي قدمها لوك ونيوتن عن العالم المحسوس ، كانوا يلبون نداءً داخلياً يهيب بهم أن يرتادوا عالم الأرواح ارتياداً أعمق وأشمل . فكل منهم يؤمن بوجود عالم مختلف عما نراه ونعرفه ، وكان هذا العالم مقصدهم الذي ينشدون ولقد أرادوا أن يتغلغلوا إلى الحقيقة الخالدة ، فيكشفون أسرارها ، ثم يفهمون معناها وقيمتها .

فالأشياء المحسوسة ـ رغم أنها الوسائل التي توصل إلى معرفة هذه الحقيقة ـ ليست كل شيء ولن يكون لها معنى إلا إذا ارتبطت بقوة عظيمة تمدها بالحياة ، فما أكثر ما يقف العقل حائراً مشلولا أمام أحاسيسها الدفاقة .

إن النفس البشرية لتعيش ألف حياة في لحظة واحدة من الانفعال . ومهما بلغ المنطق من حدة فلن يستطيع تفسير ما يحدث داخل صدر الإنسان .

الخيال المبدع

نعم : إن النفس البشرية لتعيش ألف حياة في لحظة واحدة من الانفعال . . ومهما بلغ المنطق من حدة فلن يستطيع تفسير ما يحدث داخل صدر الإنسان .

وإذن فقد كان الإيقان بالإنسان وفرديته إلى جانب الإيقان بالله الموجود في داخله حافزاً دفع الرومانسيين إلى طرح التفسيرات المنطقية الآلية ، والبحث عن منهل لا ينضب من الخيال . يستطيعون أن يردوه في ثقة ، فيطفئْ غلتهم . ويفسر لهم ألغاز الكون ، الذي كان دائماً داخل نفوسهم . ويقول **كولريدج** : **«وإذا لم يكن العقل إلا سلبياً فإن أي منهج يقوم على سلبية العقل منهج زائف»** .

ولا يخفى بطبيعة الحال تأثير الفلسفة الألمانية على **كولريدج** فهو لا ينكر أنه قرأ **كانط** ، و **«شلنج»** ولكن **كولريدج** كان يركن أيضاً إلى عقائده الغريزية وإحساساته فكونه شاعراً أولا ومفكراً ميتافيزيقياً جعله ينتهي دون اعتماد على فلسفة خارجية إلى تصور لعالم الروح مستمد من إحساس عميق بالحياة الباطنية للناس والأشياء . ومن إيقانه بأن الخيال الذي يتوسل بالحدس أفضل من المنطق التحليلي في اكتشاف حقائق الأشياء ، إذ إن الحدس في هذه الحالة سوف يتخطى العقل والحواس جميعاً . ويخرج بالإنسان إلى عوالم قد لا تكون معقولة ، وقد لا تكون ممكنة الوجود ، وقد يكون بنيانها غير مندرج تحت الأنماط التقليدية للحواس الخمس ، ولكنها مع ذلك عوالم تجسد في غرابتها وغموضها عالم الروح الزاخر بشتى المشاعر التي تدق على الإدراك والفهم والتعبير إلا بهذا السبيل .

عوالم التهويم

ولكن كيف يتم ذلك ؟ إن العقل الذي يصدر ويتلق عند الفنان والمتذوق يجمد المشاعر في قوالب ثابتة ، ويحدد أنماطها في صور تقليدية فلا يفسح المجال لأشكال جديدة منها أو صور مركبة تكسر هذه الأنماط وتفتتها . . . أما عوالم الخيال التي يبدعها التهويم ، فهي وحدها قادرة على ذلك ، إذ إنها تسرح بحواسنا بعيداً عن عالمنا المألوف ، وتدخل بنا في أجواء شبه أسطورية ، حافلة بدلالات الرمز ودلالات الإيحاء ، وحيث يكتسب كل شيء دلالات مختلفة عن دلالاته في عالم العقل والمنطق .

إن عوالم التهويم تشبه الأحلام ، وهذه المنطقة الغنية من مناطق الشعور قد تعرضت لرحلات رائدة بعيدة المدى من جانب **كولريدج** وغيره من الشعراء الرومانسيين . . إذ إن تكسر حدود **الزمان والمكان** فيها ، وبروز تكوينات غريبة جديدة ، وتحررها من قيود التفكير التقليدي ، كل ذلك يجعل المرء يعيش في دنيا مختلفة تماماً عن دنياه ويتذوق أنماطاً من الخيال لا توجد في حياته اليومية ، ويجرب أحاسيس لا عهد له بها من قبل فيثري ثراء من لون جديد .

ونحن نرى أن **وليم بليك** قد سبق الرومانسيين جميعاً إلى ارتياد هذا العالم ، فبدأ باللجوء إلى الرمز ، والتجريد ، وإبداع عوالم غريبة غير مختلطة الدلالات . . فهو يصور قوى الشر المتربصة بالإنسان ، دونما تحديد لكنهها ، أو وقوف على تفصيلاتها الزمانية أو المكانية ، وإنما يبدع رمزاً خاصاً قد يوجد في الحياة وقد لا يوجد . . ويجسد فيه تصويره الخاص لهذا الشر الذي يحس به في الإنسان وخارجه .

أيها النمر .. أيها النمر ..
يا من تبرق عيناه في غابات الليل .
أي أيد أو عيون خالدات .
استطاعت أن تبني هيكلك الرهيب ؟ .
وفي أية أغوار سحيقة أو سماوات .
اضطرمت نيران عينيك ؟
أية أجنة جرؤ على التحليق بها ؟
وأية يد جرؤت على الإمساك بالنار ؟
وأي كف وأي فن يمكن أن يلوي أعنة قلبك ؟
وحين ابتدأ في الخفقان ــ أي يد رهيبة وأي أقدام رهيبة ؟

والغموض الذي يميز القصيدة هو ما وجدت من أجله . . . فإن جمع تلك الصور هذا الجمع الغريب ، هو الذي يثير في النفس أحاسيس جديدة ما كانت تتأثر لو اتبع الشاعر المنطق أو لجأ إلى التحليل العقلي التقليدي .

وقد يلجأ (**بليك**) حقاً إلى رسم صورة « **معقولة** » ولكنها حتى في « **معقوليتها** » لا تقف عند دلالاتها الظاهرة وإنما تتجاوزها لترمز إلى تجارب عديدة منوعة ، مكتسبة بهذا بناء رمزياً يوحي ولا يقف عند حدود الصور الحسية :

أيتها الوردة ــ إنك عليلة .
فالدودة الخفية التي تحوم في الليل .
حين تعوي العاصفة .
قد عثرت على مهدك الذي صاغه الفرح الأحمر .
وإذا بغرامها الأسود الدفين .
يدمر فيك الحياة .

معنى القصيدة الشعرية

يقول **السير باورا** : « **إذا سألتنا عن معنى القصيدة ، فسوف نقول إنها تعني ما تعنيه** . . وهذا واضح كل الوضوح . إنها ترسم صورة وردة هاجمتها دودة في ليلة عاصفة ، و**بليك** يشرح هذا تماماً في قصيدته ، ولكنها ــ شأن سواها من القصائد الرمزية ــ تتيح لنا أن نقرأ فيها معان أخرى وتحمل صورها أثقل ارتباطات ثانوية ، فيمكن أن نقول مثلاً إنها تشير إلى تدمير الأنانية للحب ، وتدمير التجربة للبراءة ، وتدمير الموت للحياة الروحية ، حقاً ، إنها قادرة على احتمال كل هذه المعاني ، ومن حقنا أن نستشف فيها كل هذه الدلالات ، **ولكن المعنى الأخير للقصيدة يظل دائماً داخل القصيدة نفسها ويظل يتذبذب في اختلاف شديد من ذهن قارئ إلى ذهن سواه . فإن ارتفاع الرمز فوق مستوى الواقع هنا يفسح الطريق للإيحاء التجريدي الذي يكاد يكون مطلقاً** » .

فإذا انتقلنا إلى **وردزورث** وجدناه يلجأ أيضاً إلى الرمز والتجريد ، ولكنه لا يفعل ذلك كثيراً ، فهو رجل حواس قبل كل شيء ، ومهما انطلق خياله واشتط في البعد عن الواقع ، فإنه دائماً يعود سريعاً إلى الأرض ، محاولا فهم الكون وتذوقه ، دون تحليق مجنح في لا نهايات الخيال ، وحينما وجد **السير باورا** أن عليه أن يتناول مفهوم الخيال عند هذا الشاعر ، أخذ في معالجة قصيدة لا يلعب الخيال فيها الدور الرئيسي ، وإنما يلعب فيها الفكر الدور الأكبر ــ وهي قصيدة « **خاطرات الخلود** » ــ ومن العجيب أن كثيراً من النقاد يتناولون هذه القصيدة باعتبارها جوهر إنتاج الشاعر وممثلة صادقة لشعره وهذا خطل في الرأي واضح ، فالقصيدة ليس لها نظير في كل ما كتب تقريباً ، وإنما يرجع اهتمامهم بها إلى أن فيها أفكاراً فلسفية عن **الإنسان والأرواح** وما إلى هذا بسبيل ، فهي تتيح لهم أن يتحدثوا عن مدى تأثر **وردزورث** بآراء **أفلاطون** ومدى تأثره **بفرويد** وهكذا . . أما **السير باورا** في هذا الكتاب فيتحدث عن تاريخ كتابتها وعن صلتها بحياة الشاعر كما يجدر بنا أن نذكر أن الناقد الأميريكي المعاصر **كلينث بروكس** حين تعرض لهذه القصيدة من الناحية الفنية ، قد تعسف أشد التعسف في استخراج معان ورموز ودلالات لا تحتملها القصيدة بأي حال ، فكتب عنها مقالا في كتابه (**الآنية المحكمة الصنع**) حاول فيه إبراز علاقات داخلية بين صور القصيدة وأفكارها وبالغ في ذلك مبالغة واضحة ، ولعله بالغ ليؤكد صحة منهجه فحسب .

وأعتقد أن **السير موريس باورا** كان من الممكن أن يجد في شعر **وردزورث** أكثر من مكان يلعب فيه الخيال الدور الرئيسي ولكنه فيما يبدو طرق المسلك الممهد ، ولم يأت قطعاً بجديد في « **تحليله** » لهذه القصيدة ، فهو يعلق على هذه الفقرة :

ليس مولدنا سوى نوم ونسيان .
فالروح التي تشرق معنا وتنير الحياة .
كانت قد غربت في مكان آخر .
وأتت من ذلك الغور السحيق .
لا في نسيان تام .
أو في تجريد مطلق .



وإنما نحن نقبل من عند الله .
ـ حيث منزلنا ومقرنا .

فيقول : « **لم يكن وردزورث بالرجل الذي يدرج الأفكار في شعره لمجرد ملاءمتها لـه ، كما لم يـكن ليقـول في الشـعر ما لا يستطيع أن يؤمن به في حياته الشخصية . فإذا قال شيئاً فهو قطعاً يؤمن بصدقه وبأنه الحق لا بد من قوله** » . ومن المستحيل أن يقرأ المرء هـذه القصيدة ثم لا يـرى أن **وردزورث** كان مقتنعاً (**حين كتبها**) بنظرية الوجود السابق على الحياة الأرضية ، في عالم من المثل أو الأفكار ، وإن الطفل يسترجع صوراً من هذا الوجود السابق في طفولته المبكرة .

« **إن نظرية التـذكر في الـطفولة أو الاسـترجاع تعـود إلى أفلاطون ، ولكن وردزورث لم يستق هـذه النـظرية منـه ، ولم يطبقها بالصورة التي اتبعها أفـلاطون ، فقـد استمدها مـن كولريدج وهنري فون . .** » .

وهكذا . . فإن **السير باورا** ــ على ما يبدو ــ قد نسي ما انتـوى أن يفعله حين تعرض لدور الخيال في الشعر الرومانسـي ، وانسـاق كغـيره في تيارات التفسيرات الحياتية والفلسفية للقصيدة .

الطوفان الجارف

وقبل أن نترك **وردزورث** ، يجمل بنا أن نشير إلى مـا ذكره الشـاعر المعاصر **و . هـ . أودن** في كتـابه (**الـطوفان الجـارف**) في معـرض حديثه عن صورة البحر في الأدب وعما تـرمز إليـه عـادة وعـن دلالاتها المختلفة من عصر إلى عصر ومن شاعر إلى شـاعر . . إذ تنـاول فقـرة مـن شعر **وردزورث** وردت في قصيدته الطويلة (**المقدمة**) وعالجها معـالجة أبرزت دور الخيال في إبداعها ، وتعرض للدور الرمزي الذي تلعبه صورتا البحر والصحراء ، وناقش دلالتها الفنية ، ولو أنه لم يعلـق على ارتبـاطها في القصيدة بدنيا الأحلام ، فالشاعر في تلك الفقرة يقول إنه كان جـالساً ظهر أحد أيام الصيف في كهف صخري أمام البحر ، يقرأ في كتاب مـا ، حين غلبه النعاس وهو يتأمل صـفحة البحـر الـزرقاء . ورأى في حلمـه صحراء شاسعة سوداء خاوية فانقبض قلبه واعتراه الحزن والخـوف ، وإذا به يرى أعرابياً على صهوة جمل يمر به حاملاً قوقعة بحرية غـريبة ، وكتـاباً شفافاً من نوع لا يعرفه ، فاطمأن قلبه قليلاً واستأنس به ، ولكن البدوي ظل في سيره ولم يبطء . فسأله الشـاعر لم لا تقف قليـلاً فـأجاب إن بني الإنسان قد كتب عليهـم الهـلاك إذ سـيرتفع الماء ويفيض ويغـرقهم الطوفان . . وأسرع البدوي فأسرع خلفه علّه ينجو ولـكن الأول أشـار إلى الخلف .

وحينما نظرت إلى الخلف ـ حيث أشار .
رأت عيناي بحراً من الضوء المتلألىء .
مراقاً على نصف المهمه المنبسط أمام عينـي .
وحين سأله عن تفسير ذلك قال :
« إن مياه الأعماق آخذة في التجمع حولنا » .
وحينئذ حث الحيوان الغريب الذي يمتطيه على الإسراع في السير .
وتركنـي وحيداً . . جعلت أناديه وأصيح عالياً .
لكنه لم يسمع . . ولم يلتفت . . وإنما طفق يعدو ويعدو .
حاملاً في يديه الشيئين اللذين كانا ملء بصري .
واستمر في عدوه في الصحراء اللانهائية .
بينما تطارده المياه المنجرفة على عالم آخذ في الغرق .
وعندها . . استيقظت في رعب شديد .
ورأيت البحر أمامي .
والكتاب الذي كنت أقرأ فيه إلى جانبـي .

أقول إنه كان يجدر بمن يتعرض للخيـال الـرومانسي أن يتنـاول هـذا الحلم ، فهو مرتبط بمفهومات الرومانسيين جميعـاً عـن الحـرية والانـطلاق ، ودلالة البحر لديهم ، وارتباطه بـالخرافة والأحـلام ، واتصـال الأسـطورة بالواقع ، بل اندماجها فيه ، وهو لب الموضـوع الـذي يعـالجه **السـير باورا** .

الملاح العتيق

فالسير باورا يتعرض لقصيدة كولريدج « الملاح العتيـق » وهي قصيدة تجسد ما نعنيه بارتباط الخرافة بالواقع ، بل هي المثل الصادق للعوالم الغريبة البعيدة التي يبدعها الخيال الـرومانسـي ويتـوسل بهـا لـكي يستحدث تجارب غير مألوفة ، يشكلها من مـواد تقـع في نـطاق الحـواس ولكنها تتخذ صوراً خاصة عجيبة تضـيف إلى عـالم الجمال الـذي نعـرفه مشاعر جمالية غير مألوفة . . وتحكي القصيدة قصة ملاح اقترف إثماً بقتلـه طائراً مسالماً وكيف كفر عن خطيئته بأن تعرض لعذاب أليم في البحر ، تاه فيه وقتاً طويلاً ، ثم قبل الله توبته بعد أن أخلص فيها وعاد إليـه الإيمـان

الحقيقي بالله ، وهو حب كل ما خلق الله وعدم إيذاء أي من الكائنات كبيرها وصغيرها .

وتبدأ القصيدة بأن يقابل الملاح العتيق ثلاثة فتيان متوجهين إلى حفل زفاف فيتوقف أحدهم ويقص عليه كيف أبحرت السفينة ، وكيف ضلت الطريق في القطب الجنوبي وأحاط بها الجليد من كل مكان وغدا لذع البرد قاسياً . .

وأخيراً مر طائر (القادوس) .
مخترقاً سجف الضباب .
وكأنما هو فرد منا (... ...) .
حبيناه (... ...) .
وقدمنا له طعاماً لم يذق مثله طول عمره .
فالتهمه وظل يحوم حولنا ويحوم .
فإذا الجليد يتعلق ويتشقق في جلبة كأنها الرعد
القاصف وإذا الريان يقود سفينتنا خلاله !!
ومن الخلف هبت ريح جنوبية مواتية . .
والقادوس لا يزال يتبعنا .
كان في صحبتنا كل يوم . . ما إن ندعوه .
حتى يلبي . . فنطعمه ونداعبه .
وسط الضباب أو السحاب .
على السارية أو على رش بها .
جثم الطائر تسع أمسيات .
وضوء القمر الفضي يسطع طول الليل .
خلال دخان الضباب الناصع .
رعاك الله أيها الملاح العتيق .
وأنقذك من الشياطين التي بلتك هذه البلية !
ماذا بك؟ ولم تبد هكذا؟
بقوسي ونشابي أرديت القادوس قتيلاً . .

وهكذا يقترف الملاح الخطيئة ، ويبدأ في التعرض لكفارة مريرة حتى يغفر الله له ذنبه ، ولكن جوهر الصورة في هذه القصيدة ، كما يقول الشاعر و . هـ . **أودن** هو أن الملاح قتل الطائر بإرادته الفردية ، أي إنه تحمل الوزر كاملاً ، وعلى هذا يستطيع أن يتوب ، لأنه فرد مستقل والله يقبل توبة الأفراد ، أما الملاحون رفقاء رحلته ، فلم يتخذوا من هذه الجريرة مواقف فردية تتفق وكلاً منهم ، وإنما تصرفوا تصرفاً جماعياً ، تصرفوا بصورة حشد لا إرادة له ، وإنما يساق كالقطيع وراء من يقوده .

لقد ارتكبت فعلة جهنمية .
قد تجر علينا الآلام والمصائب .
قالوا جميعاً إنني قتلت الطائر (... ... ...) .
وقالوا : يا لك من تعس ! أتقتل الطائر
الذي (... ... ...) .
ثم بزغت الشمس في جلال وعظمة .
ليست معتمة أو حمراء . . لكنها مثل وجه السماء
الصبوح .
وعندئذ قالوا جميعاً إنني قتلت الطائر
الذي (... ... ...) .
وقالوا لقد أصبت بقتلك تلك الطيور التي تأتي بالضباب
والأنواء .

الخرافة في الشعر

وبطبيعة الحال يبدأ **السير باورا** بإيضاح الأمل الحيوي للقصيدة ، ما مصدرها وكيف جاءت الفكرة إلى الشاعر؟ ثم يبدأ في الحديث عن معالجة الخرافة في الشعر قائلاً : « **إن أول مشكلة تواجه الشاعر الذي يتناول الخرافة هي أن يربطها بالتجارب الإنسانية المألوفة** » . فإذا استطاع أن يبني موضوعه الخرافي من لبنات إنسانية يعرفها البشر ويحسونها ، نجح فيما يرمي إليه ، ولا ريب في أن الجمهور الذي كان يستمع إلى **هومر** تقبل ظهور شبح والدة « **أرديسياس** » لأنه كان يعتقد بوجود الأشباح ، ويعتقد أن الأشباح لا بد أن تظهر على هذه الصورة وتتصرف بهذه الطريقة ، أما **كولريدج** فلم يعتمد على استجابة جمهور قرائه للخرافة ، وإنما وجد أن عليه أن يربطها بشيء يعرفونه ويفهمونه ... شيء يلمس أفئدتهم وخيالهم . . **وكان ذلك الشيء هو خصائص الحلم** ، وكل ما في الأحلام من غموض . . فهو يتوسل بجو الأجسام حتى يهيئنا للدخول في عالمه الخاص ، وبعد ذلك يبدأ في إبداع ما يريده في إطار الحدود التي رسمها ــ ونقل الغموض الذي يبغيه عن طريق المشاهد الحسية الواقعية . ويسمي **السير باورا** هذه الطريقة **بالواقعية الخيالية** .

فأسرار الحياة الغامضة المرتبطة بقلب الإنسان وأحاسيسه تنتقل إلينا في هذا الجو الشبه واقعي بسهولة لأننا اعترفنا أولا أن هذا عالم أحلام ، وبمجرد أن نسير مع الشاعر في تجربته نجد من اليسير علينا أن ننفعل مع بطله ونتجاوب مع عالمه الخرافي ، فهو يمزج هذا وذاك حتى يصف موت رفاق الملاح مثلاً .

الخيال الرومانسي



في ضوء القمر الذي يتبعه النجم الأوحد .
اتجه الرفاق إلي واحداً تلو الآخر في حال شق عليهم فيها
حتى الأنين أو التأوه وبوجوههم .
التي كساها الموت من غمراته وسكراته صبراً على اللعنات
من عيونهم .
مات رجل من الأحياء تهاووا صرعى واحداً بعد الآخر ..
لم أسمع آلة أو آهة .
وإنما صوت جثثهم الهامدة في اصطدامها المروع بخشب
السفينة .
ثم طارت الأرواح من أجسادهم . منطلقة إلى نعيم أو
جحيم .
وأحسست كل روح تعبر بجانبي كأنها أزيز انطلاق سهم
من القوس .

ويقول **السير باورا** إن معظمنا حين يقرأ **(الملاح العتيق)** يستجيب إلى سحرها دون أن يتساءل عن أية أهداف لها خارجية عنها ، أو عن الدلالة الرمزية لأي شيء فيها . إذ إنها تعيش في وجداننا بحيوية بالغة تصدنا عن طرح أسئلة منطقية حول أي مشكلة فيها .

وبعد مناقشة الجزء الأول من القصيدة يمضي **السير باورا** في شرح **مفهوم الرمز عند كولريدج** ، وعلى ضوئه يفسر كثيراً من رموز هذه القصيدة . فالملاح الهرم لا يتوب لأنه تعذب عذاباً أليماً فحسب ، وإنما لأنه أحس بجمال الطبيعة حتى في الليل البهيم ، الذي يمثل وحدة النفس البشرية وظلامها ، ولأنه استأنس بكائنات حية **« مؤمنة »** فأحس بتجاوب معها واتصلت روحه بروحها .

وحدي .. وحدي .. أجل كنت وحدي ..
في عرض البحر الرحيب .. الرحيب ..
لم يشفق قديس واحد على روحي في عذابها الأليم ..
ولكن الملاح ، لأنه فرد مستقل ، جاءته الرحمة من
داخله حين أحب .. أحب ثعابين الماء وشعر بجمالها
وحياتها من الأعماق ..
وخلال ظل السفينة في البحر .. راقبت ثعابين الماء ..
كانت تتحرك في جماعات ساطعة البياض ، فإذا انتصبت
قاماتها ..
أشعت نوراً وهاجاً في شظايا وضاءة .
وعبر ظل السفينة راقبت كسوتها الزاهية ..
فن أزرق إلى أخضر ناضر .. إلى أسود مخمل .
أيتها الكائنات الحية السعيدة !
لا يستطيع لسان أن يفصح عن جمالها .
وانبثق من قلبي ينبوع حب لها .. ووجدتني أباركها
دون أن أدري ..
وفي نفس اللحظة .. ابتهلت في صلاة خاشعة ..
فإذا القادوس يسقط من رقبتي التي تنسمت روح
الحرية ..
ويغوص كالرصاص في قاع المحيط.

والسير باورا يعلق على القصيدة تعليقات تتناول معه مظاهرها وإن كان يترك الكثير لذهن القارئ .. مثلما يفعل في باقي فصول الكتاب ..

فهو يتناول قصائد كثيرة لشعراء رومانسيين ، ولكنه دائماً لا يقول كل شيء .. وإنما يدور حول فكرة واحدة فيرددها ألف مرة في كل سطر وكل جملة .

وإذا كان لنا أن نعلق على كل لغة الكتاب ، فلا بد أن نذكر ذلك الإسهاب الكثير والإطناب الممل ، ولعل السبب في هذا يرجع إلى أن الكتاب مجموعة محاضرات ألقاها على طلبته في جامعة أكسفورد . أقول إن التكرار الكثير يبتعد بالكتاب عن مصاف الكتب العلمية الأكاديمية ، ويقترب به كثيراً من درجة الكتب المدرسية التي تساعد الطلاب على الحفظ والتكرار ، له مزايا كثيرة .. كما يعلم كل طالب وكل من كان طالباً .



منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب "الحيوان"


★ الجاحظ ★

تأليف : د. وديعة طه النجم

عرض وتحليل : د. خليل أبو الحب

صدر في منتصف ١٩٨٥م ، عن معهد المخطوطات العربية كتاب جديد من كتب التراث العربي الإسلامي تحت عنوان «**منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان : نصوص ودراسة**» **للدكتورة وديعة طه النجم ، جامعة الكويت** . والمؤلفة معروفة بدراساتها عن **الجاحظ** وهذا ليس أول لقاء لها معه .

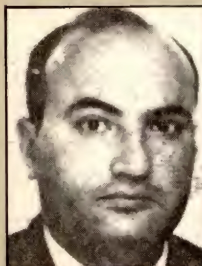
جاء الكتاب في حوالي ٢٨٠ صفحة من الحجم الكبير (فولسكاب) ، ٩٨ من صفحاته دراسة ، و١٤٥ صفحة للنصوص ، أما البقية فتكوّن الملحق بأسماء الحيوان وفهارس الحيوان والأعلام والمصادر .

كتب الحيوان

هناك كتابان كلاسيكيان شهيران في تاريخ علم الحيوان : الأول هو كتاب **الحيوان لأرسطو** ، والثاني هو كتاب **الحيوان للجاحظ**. في الحقيقة يتألف كتاب أرسطو من ثلاثة كتب بـ ١٩ مقالة في طباع وأجزاء الحيوان ولكنها جميعاً بالنسبة للعرب الذين عنوا بالحيوان تسمى كتاب **الحيوان لأرسطوطاليس** . وهناك كتاب آخر ينسب لأرسطو ويشير إليه المؤلفون العرب تحت عنوان «**نعوت الحيوان**» ولكنه ثبت مؤخراً أنه منحول لأرسطوطاليس (د . عبد الرحمن بدوي) .

كتاب حيوان أرسطو خاص بالحيوان وموضوع لهدف وغاية دراسة الحيوان بصورة منتظمة ، وقد عالج فيه تركيب وفسيولوجية وتشريح وعادات وبيئة وتصنيف وتولد الحيوان . **أما كتاب حيوان الجاحظ فهو كتاب يجمع بين دفتيه الكثير من المعلومات في اللغة والدين والسياسة والفلسفة والمنطق والفقه والتاريخ والشعر والأدب** ، وكذلك معلومات عن الحيوان استقاها من الشعر العربي والروايات والأقاصيص العربية أو التجارب والمشاهدات التي أجراها هو أو من اشتغل معه وعاصره .


★ أرسطو ★


★ د. عبد الرحمن بدوي ★

أرسطو والجاحظ

وكانت مصادر الجاحظ متعددة ، فقد اعتمد على القرآن الكريم والروايات والشعر والمؤلفات العربية . ومن جملة ما اعتمده من المصادر هو كتاب « حيوان » أرسطو ، إذ من حسن حظ الجاحظ — والثقافة العربية — أن يترجم **يوحنا بن البطريق** هذا الكتاب في نفس الوقت والفترة التي عاش فيها الجاحظ ، وقد اطلع هذا على الترجمة ويكاد أن يكون مؤكداً أنه نقل عنها فقط . وقد جاءت نقول واقتباسات الجاحظ متعددة وكثيرة ، بصورة منتظمة وواضحة أو بصورة مشوشة ، منقوصة ومحرّفة ، وفي أكثر الأحيان أدخل عليها « سحره » اللغوي وأبدل لغة المترجم الركيكة بلغة جميلة أدبية . وكان يستفيد منها في دعم

منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب "الحيوان"

رأي له وقول يقوله أو جدل يدخل فيه وحجة يدحض بها وغير ذلك . وفي كثير من الأحيان لم يكن هناك أي فائدة للنقل ـ على ما يظهر ـ . كما أنه كان يناقش بعض ما يرد من أقوال لأرسطو مُبدياً بعض التحفظ عليها ولأي المترجمين والنساخ بالإساءة إلى المؤلف ، لأنه كان يكن كل احترام وتقدير لأرسطو ويهاب أن ينتقده مباشرة .

عمل المؤلفة

لقد قامت الدكتورة وديعة بدراسة هذه النصوص ، عند أرسطو وعند الجاحظ ، وقد أثبتت النصوص التي نقلها الجاحظ وإلى جانبها أو تحتها النصوص كما جاءت عند أرسطو معتمدة التحقيق البديع **للدكتور عبد الرحمن بدوي** لترجمة ابن البطريق لكتاب حيوان أرسطو والذي ظهر ـ أي التحقيق ـ في **الكويت** عامي ١٩٧٧ م ، و١٩٧٨ م ، وكان الاعتماد الرئيسي على كتاب **أعضاء الحيوان** من كتب أرسطو .

وقد ضم كتاب الدكتورة بين دفتيه ، ليس النصوص فحسب ، بل دراسة عميقة عن ابن البطريق والترجمة في العهد الإسلامي الأول وجهود المترجمين وأسلوبهم وفضلهم في نقل كنوز المعرفة من الأمم الأخرى إلى العربية ، وكثيراً ما كانوا يستعملون لغة ثالثة وسيطة بين اللغة الأصل والعربية ، وفي وقت لم يكونوا هم أنفسهم قد أتقنوا العربية وغير قادرين عليها .

وضم الكتاب أسلوب الجاحظ في النقل ، وقد حوّلت المؤلفة الالتباسات والارباطات والمتاهات التي يدفع الجاحظ إليها قراءه إلى « أسلوب » اتخذه الجاحظ متعمداً في نقل أشياء وترك أشياء لكي يلائم المحيط العربي ـ الإسلامي . **إن هذا ـ عندي ـ** تحميل للنص أكثر من اللازم وإن الجاحظ لا يزال ملوماً في خلطه المعلومات واستطراداته والإرباك في هوية الكتاب ، إلا أن الدكتورة تريد الدفاع عنه قدر المستطاع . **وكذلك ضم الكتاب** إشادة بقابلية الجاحظ على استعمال اللغة من كلمات وجمل جميلة أدبية وهذا شيء نتفق به مع المؤلفة بدون أي تردد .



★ ابن قتيبة ★ ★ أبو حيان التوحيدي ★

كتب أفادت من الجاحظ

وقد تطرقت الدكتورة بدراستها إلى ما جاء في **«عيون الأخبار» لابن قتيبة** ، وقد توصلت إلى أن هذا المؤلف ينقل عن كتاب الجاحظ أكثر مادة فصله والسمة الغالبة على منقولاته الاختصار والالتقاط والجمع السريع وإن لم ينظر بصورة مباشرة في كتاب أرسطو . والكتاب الآخر الذي توقفت عنده طويلاً هو كتاب **الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي** ، وقد جاء الفصل الذي نقله عن **خصائص الحيوان** عبارة عن حقائق مختصرة وسريعة ومشتتة . وقد تخلصت إلى جملة حقائق ، أهمها :

١ ـ إن أبا حيان نقل عن كتاب أرسطو ـ طباع الحيوان ـ ولكن قد لا يكون نقله من ترجمة ابن البطريق .

٢ ـ إنه أفاد من كتاب أرسطو بصورة مباشرة دون الاستعانة بكتاب الجاحظ .

٣ ـ إنه نقل عن مصادر عربية أخرى غير محددة .

« إن اتجاه أبا حيان إلى الاختصار قد أدى في أحيان كثيرة إلى ابتسار النص واختلاطه أو تحريفه عن معناه الذي ورد فيه عند أرسطو » . ومن يقرأ ما جاء في الليلة العاشرة من « الإمتاع والمؤانسة » يجد مصداق ما ذهبت إليه الدكتورة واضحاً . وخصصت الدكتورة ٣٠ صفحة للمقارنة بين كتابي الجاحظ وأرسطو ولتوضح أسلوب الجاحظ بالنقل واستعمال الكلمات والمصطلحات العلمية الصحيحة ولإدخال اللغة الجميلة محل الترجمة الركيكة .

لقد كان الجاحظ محظوظاً أن يهيئ الله له مثل الدكتورة وديعة ، فقد أظهرته بالمظهر اللائق جداً ، أشادت به وأطرت عليه واعتذرت له ـ إذا ثبت تقصيره ـ وهو الناجح في النقل في الوقت الذي فشل فيه ابن قتيبة والتوحيدي . ولم تبخل الدكتورة بإضافة ملحق عن الحيوان الذي ورد بأسماء مختلفة وحاولت جهدها التثبت من الاسم الصحيح الذي نعرفه نحن الآن . ووضعت فهرسين ، الأول عن الحيوان ، والآخر عن الأعلام . وكذلك فهي لم تدخر جهداً في الرجوع لبعض المصادر التي لا تتوفر بسهولة للدارسين خارج جامعة الكويت .

وبعد كل هذه الجهود ، تقول المؤلفة وبكل تواضع العلماء :

« وبعد ، فهذا جهد لم يبلغ الغاية ، عسى أن يجد من يواصل السير مع أبي عثمان ، فهو حقاً بحر زاخر . . » . بخ بخ لك يا عمرو بن بحر ، فإنك في الحقيقة من أكثر المؤلفين العرب والمسلمين حظوة وحظاً ، فقد كنت عزيزاً ومقدراً في حياتك وإن المقالات والكتب التي صدرت عنك قديماً وحديثاً تصل المئات ، بل الآلاف . فأي سعادة أكبر من هذه ينالها عربي مسلم ؟

مشروع القرن

عناق بين إنجلترا وفرنسا من تحت الماء

بقلم مهندس: نبيل حسون

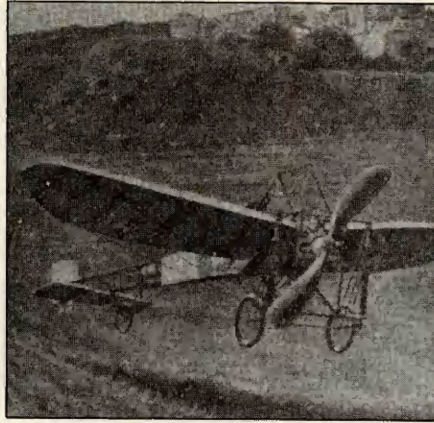


★ رسم توضيحي لمشروع جسر أوروبا ★

إنه مشروع القرن العشرين الذي سيضاهي في جرأته الهندسية برج إيفيل وقناة السويس. فحتى يومنا الحاضر، لم ينفذ أي نفق تحت الماء أو جسر معلق يماثله طولا في أي مكان في العالم. فأكبر الجسور المعلقة يبلغ طوله ٥,٤ أميال ويوجد في ميتشيغان MICHIGAN. أما أطول نفق فهو في اليابان ويبلغ ٣٣,٧ ميلاً، ويدعى نفق سيكان SEIKAN TUNNEL ويقع بين هونشو وهوكايدو. وطول الجزء الذي يمر منه تحت الماء ١٤,٤ ميلاً فقط.



★ أول امرأة تعبر القنال سباحة عام ١٩٢٦م Gertrude Ederle ★



★ بليريوت Bleriot يعبر القنال بالطائرة عام ١٩٠٩م ★



★ عبور على سطح الماء عام ١٨٧٥م ★

إنها المرة السابعة والعشرون التي يدرس فيها مشروع إقامة **اتصال ثابت عبر بحر المانش بين بريطانيا والقارة الأوروبية** . وأول من اقترح مثل هذا الاتصال هو **نيكولا ديسمونت** NICOLAS DESMONT عام ١٧٥١ م .

حلم قديم

وقد كان هذا المشروع من بين الأحلام الكثيرة التي راودت **نابليون بونابرت** إمبراطور فرنسا بعد الثورة . ففي عام ١٨٠٢ م ، اقترح عليه المهندس الفرنسي **ألبرت ماتيو** ALBERT MATHIEU فكرة إنشاء نفق تحت بحر المانش ــ هذا البحر الذي يصل المحيط الأطلنطي ببحر الشمال ويفصل بريطانيا عن فرنسا وأوروبا ، ويسمي البريطانيون هذا المضيق (بالقنال الإنجليزي ENGLISH CHANNEL) . أما الفرنسيون فيطلقون عليه تسمية (بحر المانش LA MANCHE) .

وينص المشروع على إضاءة النفق بواسطة مصابيح الغاز ، ويتم تهويته بإنشاء مداخن تصعد إلى السطح فوق مستوى الأمواج . كما حدد زمن العبور بخمس ساعات على العربات التي تجرها الأحصنة ، ويتضمن جزيرة اصطناعية لتغيير الأحصنة .

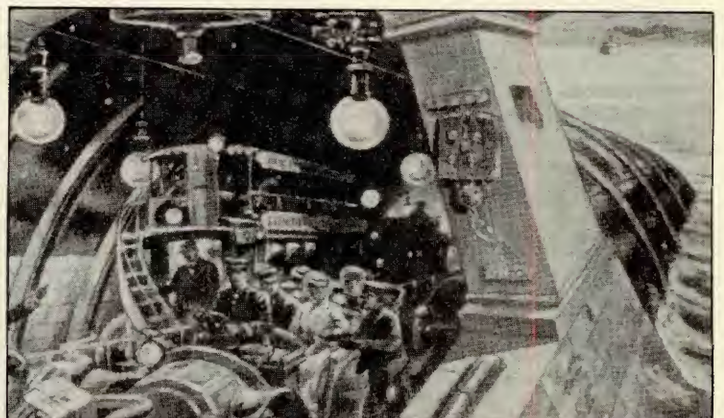
وافق نابليون على هذه الفكرة وناقشها مع رجل الدولة البريطاني **شارل فوكس** من خلال فترة معاهدة آميان للسلام . غير أن أحلام نابليون لم تتحقق بهذا الصدد . إذ سرعان ما اندلعت الحرب في أيار (مايو) عام ١٨٠٣ م ، بينه وبين الإنجليز الذين خشوا ــ في حينه ــ من استخدام هذا النفق في حال إنشائه كوسيلة سهلة لغزو بلادهم .

لكن هذه الفكرة بقيت تراود الكثيرين ، حتى إن مجلس العموم البريطاني اضطر لمناقشتها ٣٨ مرة خلال القرنين الماضيين . غير أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل وتبخرت مثل الضباب الأسطوري الذي يسود القنال ، هذا الحاجز الفيزيائي والنفسي الضخم الذي يعزل بريطانيا عن باقي القارة الأوروبية .

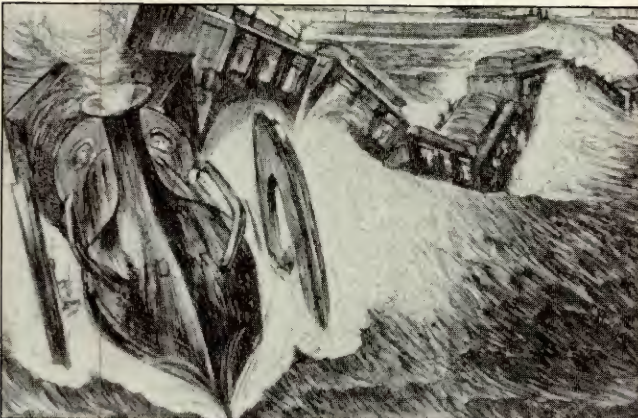
وقد تم اقتراح مشروع آخر عام ١٨٥٦ م ، من قبل المهندس المدني الفرنسي **ايميه توميه دوغامون** AIME THOME DE GAMOND الذي طرح فكرة إنشاء نفق يتضمن سكة حديد مزدوجة ، فوافقت **الملكة فيكتوريا** على المشروع ، غير أن وزيرها الأول علق قائلاً : « هل تريدني أن أساهم في عمل يهدف إلى تقصير المسافة التي نجدها ــ حالياً ــ جد قصيرة » .

وفي عام ١٨٧٠ م ، تبنت مجموعة من المهندسين البريطانيين ، ومن بينهم **وليام لو** WILIAM LOW مشروع الفرنسي ايميه ، وأعيدت دراسته من قبل مؤسستي السكك الحديدية الفرنسية والبريطانية . وبُدئت

★ تخيّل فنان للنفق عام ١٩٠٩م ★



★ كاريكاتير (١٨٧٠م) لقطار عائم يوصل بين باريس ولندن دون نفق ★





★ لوحة نسيج من القرن الحادي عشر تمثل عبور القنال الإنجليزي ★



★ كاريكاتير ساخر لمخاوف البريطانيين من إقامة النفق (١٨٨٠ م) ★

الحفريات فعلاً ، بيد أن الأعمال ما لبثت أن توقفت بسبب الخصومات السياسية والعسكرية التي نشبت بين البلدين .

وقد حاول **السير إدوارد وتكين** EDWARD WATKIN حفر نفق انطلاقاً من **دوفر** DOVER من الجهة البريطانية ، ويصل إلى **سانغات** SANGATTE في الجهة الفرنسية ، إلا أن العسكريين وقفوا ضده وأجبروه على إيقاف الحفر في عام ١٨٨٢ م . وبعد أن قام بعدة محاولات لإقرار المشروع في مجلس العموم ، استسلم في النهاية عام ١٨٩٤ م ، وكان قد أنجز حفر ثقب بعمق ٢١٠٠ ياردة في التربة الحوارية بالقرب من دوفر من الجانب الإنجليزي وفجوة بعمق ٢٤٠ قدماً بالقرب من سانغات من الجانب الفرنسي . وحالياً يطلق السكان المقيمون في المنطقة على هذه الفجوة تسمية « بئر القدامى » LE PUITS DES ANCIENS .

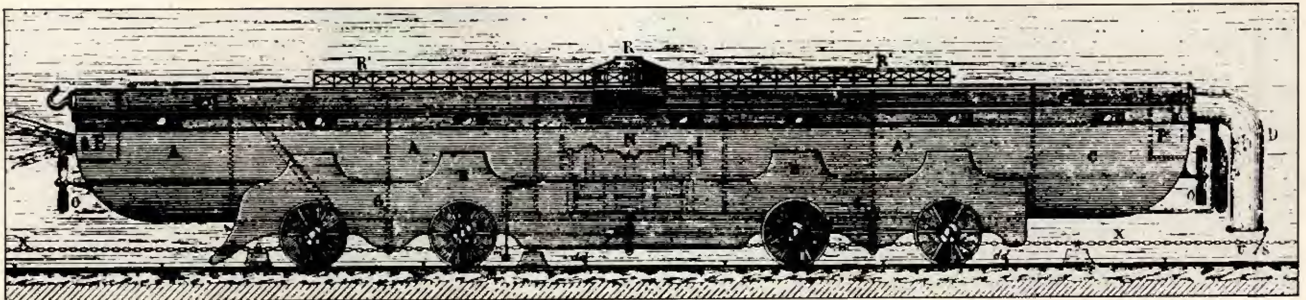
وبناء على ما تقدم ، يتبين أنه منذ ١٨٤ سنة ــ أي منذ عهد نابليون ــ وهذا المشروع يواجه الفشل تلو الآخر .

خطوة إلى الأمام

أما القرن العشرون ، فقد شهد بدوره جهوداً مماثلة ومصيراً مشابهاً لما سبقها . ففي عام ١٩١٤ م ، أفشل مجلس الدفاع البريطاني مشروع نفق قبل أسبوعين فحسب من اندلاع الحرب العالمية الأولى . وفي الثلاثينات من هذا القرن ، أعلن **ونستون تشرشل** أنه يمكن غمر النفق بالمياه بسهولة ، في حال تعرض بريطانيا للغزو من خلاله . لكن الاحتلال النازي لفرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية ، أثار المخاوف الكامنة لدى الإنجليز من احتمال استخدام النفق ــ في حال إنشائه ــ لاحتلالها هي أيضاً .

وقد شهد عام ١٩٧٣ م ، أكبر جهد لتحقيق هذا النفق ، إذ وقّع

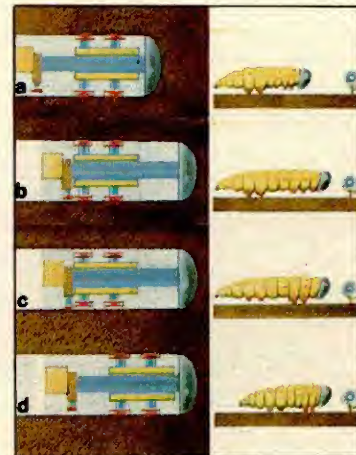
★ القطار الغواصة ، اقترح عام ١٨٧٥ م ، لعبور بحر المانش ★



★ الحفارة .. ومكوناتها ★

الجانبان الفرنسي والبريطاني على اتفاقية لحفر نفق للقطارات تحت البحر بطول ٣٢ ميلاً من **شيريتون** CHERITON إلى **فـريتون** FRETHUN ، وكان رئيس الوزراء البريطاني آنذاك **إدوارد هيث** ، ورئيس الجمهورية الفرنسي **جورج بومبيدو** . وكان مخططاً أن يتم إنجازه عـام ١٩٨١ م ، إلا أنه خلال ١٥ شهراً من توقيع الاتفاقية ، ارتفعت كلفة النفق من بليوني دولار إلى ٤,٥٠ بلايين دولار .

أضف إلى ذلك ازدياد الصعوبات التي أخذ الاقتصاد البريطاني يعاني منها ، إذ ارتفعت نسبة التضخم إلى ١٩ ٪ . ثم جاءت الحكومة العمالية برئاسة **هـارولد ويلسـون** إلى الحكم في آذار (مـارس) ١٩٧٤ م ، فما لبثت أن ألغت اشتراكها في مشروع النفق عـام ١٩٧٥ م ،



★ يمثل الشكل حركة تقدم الحفارة التي تشبه حركة اليسروع ★

لإنشاء هذه الوصلة الثابتة من بحر القنال الذي يبلغ عرضه ٢١ ميلاً في أضيق نقاطه . وفي حال تنفيذ أحد هذه المشاريع ، لن تعود بريطانيا جزيرة مرة أخرى ، بعد مطلع عام ١٩٩٠ م .

أهمية المشروع

ويمثل هذا المشروع أهمية اقتصادية وسياسية كبيرة بالنسبة لبريطانيا وأوروبا على حد سواء . ففي خلال السنين العشر الماضية ، ازدادت صادرات بريطانيا إلى القارة الأوروبية سبع مرات ، إذ بلغت ٣٠ مليار دولار بعد أن كانت ٤,٢ مليارات دولار فقط ، ناهيك عن ازدياد وارداتها . علاوة على أن المشروع سيحتاج إلى ٧٥٠٠٠ عامل تقريباً في فترة الإنشاء ، كما سيساعد في إحياء كثير من الصناعات ، من بينها صناعة الفولاذ الفرنسية وصناعة البناء ، هذا بالإضافة إلى تحريضه لإنشاء طرق جديدة وسكك حديدية أخرى .

أربعة مشاريع

وقد قدمت أربعة عروض لإنجاز هذا الاتصال هي :

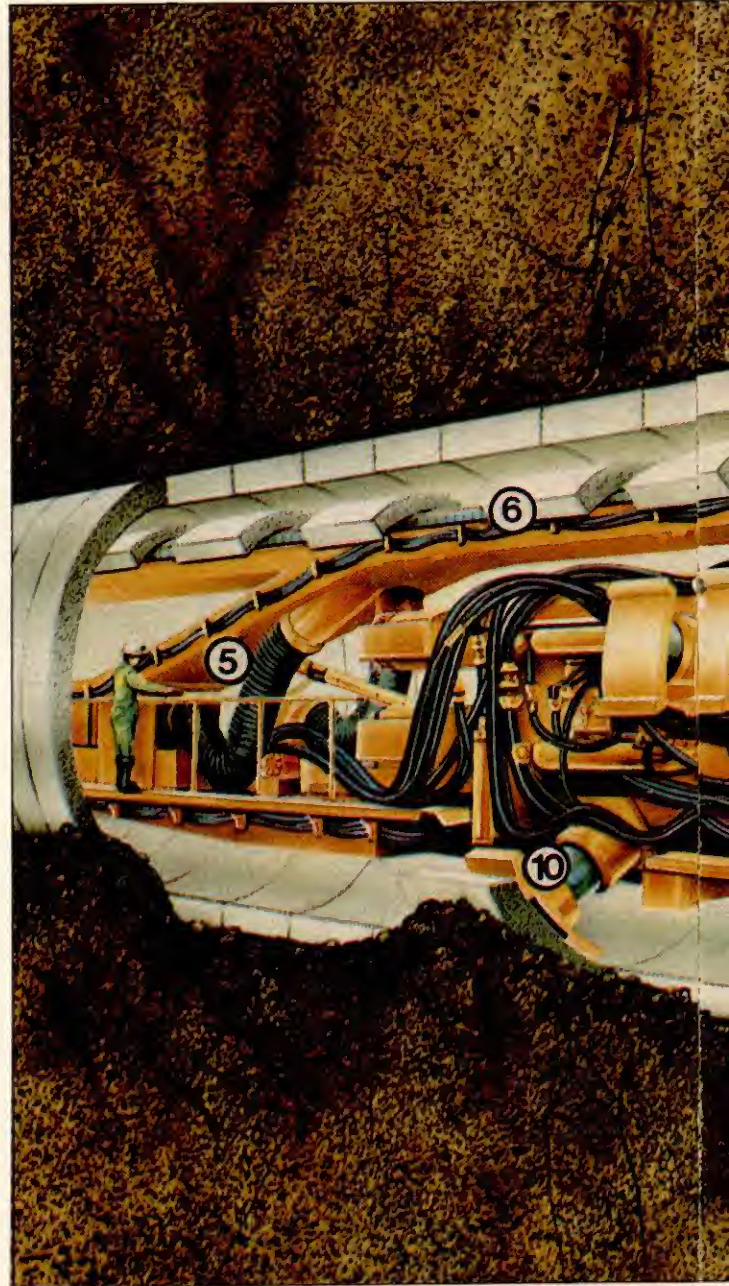
١ ــ جسر أوروبا .
٢ ــ طريق أوروبا .
٣ ــ طريق القنال السريع .
٤ ــ نفق القنال .

جسر أوروبا

والآن لنستعرض هذه العروض بالتفصيل :

★ **المشروع الأول ــ جسر أوروبا EUROPNT** : ينص هذا المشروع على إنشاء جسر معلق فوق البحر ، يتألف من سبعة مجازات يبلغ طول كل منها خمسة كيلومترات . وهو منشأة لم يتم إنجاز مثلها قط . حيث إن مجاز **جسر تانكارفيل TANCAR VILLE** أقل من كيلومتر واحد ، **وجسر البوسفور** مجازه ١٣٠٠ متر . أما أكبر الجسور حالياً في العالم فهي في اليابان وتصل مجازاتها إلى ١٤٠٠ متر ، و ١٧٠٠ متر فقط . إذاً ستكون هناك ستة أعمدة مزدوجة لحمل هذا الجسر ، يصل ارتفاعها إلى ٣٤٠ متراً . أما الكابلات الحاملة فلن تكون من الفولاذ ، بل من الكيفلار KEVLAR الذي تبلغ مقاومته ست مرات أكثر من الفولاذ ولمقطع متشابه . ويستعمل الكيفلار بنجاح منذ (٢٠) سنة تقريباً لتثبيت القواعد البترولية في البحار . وسيبلغ قطر الكابل الواحد منها ١,٤ متر .

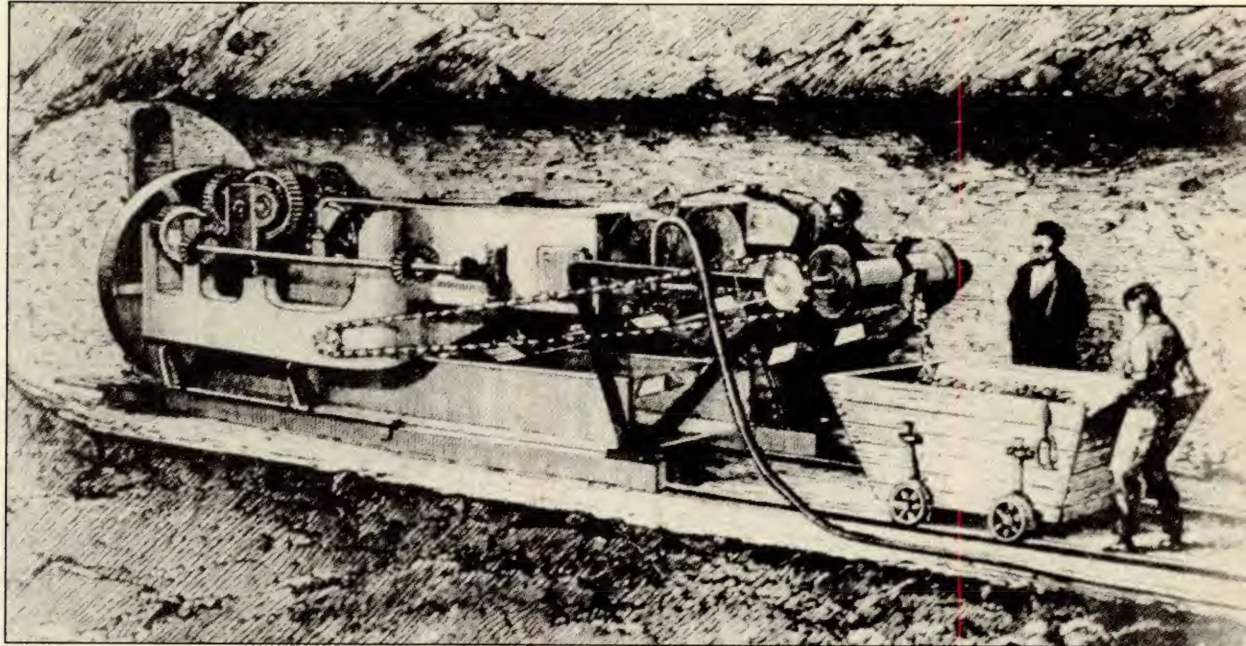
أما ارتفاع الجسر فهو ٧٠ متراً فوق منسوب الأمواج . ويتألف من طريقين متراكبين يحتوي كل منها على ٦ ممرات تسمح بمرور ١٨٠٠ مركبة في الساعة . ويمكن في المستقبل إنشاء طريقين إضافيين يحتوي كل



بعد أن بُدئ فعلاً بتنفيذه . وكان قد حفر جزء منه بطول ١١٨٣ قدماً من جهة دوفر وجزء آخر بطول ١٨٠٠ قدم من جهة فرنسا ، بالقرب من **كاليه CALAIS** .

ومنذ فترة وجيزة ، عاد هذا المشروع إلى الضوء ، فشكلت لجنة فرنسية ــ بريطانية في عام ١٩٨١ م ، لدراسة إقامة اتصال ثابت بين الجانبين عبر القنال . وقدمت اللجنة تقريرها النهائي في أيار (مايو) ١٩٨٤ م ، فأوصت بتلزيم المشروع لتمويل خاص . وأعطى رئيس الجمهورية الفرنسي **فرونسوا ميتران** ورئيسة الوزراء البريطانية **مارغريت ثاتشر** ، دعمها الكامل له . وأعلن استدراج للعروض تنتهي مدته في ٣١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٥ م . وقدمت أربعة مشاريع





★ حفّارة نفق صممت في القرن التاسع عشر ★

منها على ممرين وذلك أعلى وأسفل الطريقين الأولين . ستنفذ هذه الطرق ضمن غلاف إهليلجي من الألمونيوم ذي عناصر مسبقة الصنع سيجرى تصنيعها مثل هياكل السفن . وعلاوة على ذلك ، يتضمن التصميم نفقاً للقطارات يُحفر تحت قاع البحر .

تبلغ كلفة المشروع الإجمالية ٨,٥٠ بلايين دولار ومدة إنجازه خمس سنوات . وسيؤمن ٢٤٠٠٠ فرصة عمل أثناء فترة الإنشاء ، و٦٤٠٠ وظيفة دائمة بعد الإنجاز . ومن ميزاته أن السيارات يمكنها عبوره بشكل مستقيم دون اللجوء إلى مناورات الدخول إلى النفق أو الصعود إلى القطار .

أما الانتقادات الموجهة إليه فهي بشأن بعض المواد الجديدة المقترح استخدامها في التصنيع والتي لم تتم تجربتها قط في مشاريع أخرى . زد على ذلك قواعده الست التي ستعترض الملاحة في القنال ، الأمر الذي يشكل خطراً على هذه القواعد ، وعلى (المعدّيات) البحرية في الوقت ذاته .

طريق أوروبا

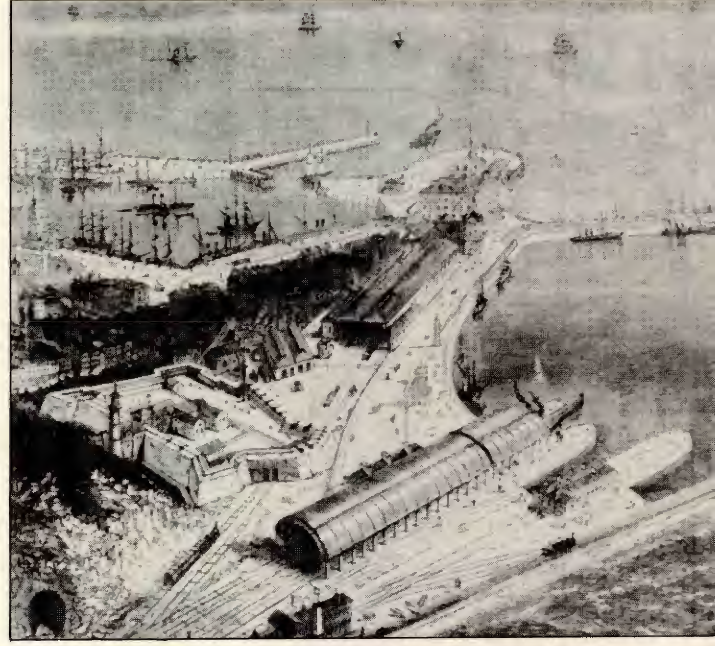
★ **المشروع الثاني ـ طريق أوروبا** EURO ROUTE هو تصميم أكثر تعقيداً وكلفة من نفق القنال . إذ تبلغ كلفة إنشائه ٧,٥٠ بلايين دولار تقريباً ، ومدة إنجازه ست سنوات . ويدعو إلى الجمع بين الجسور والأنفاق ، ويتضمن جزراً اصطناعية .

يتألف هذا المشروع من جسرين معلقين بواسطة الكابلات الفولاذية وبطول يبلغ ٧ كيلومترات من الجانب الفرنسي و٨,٥٠ كيلومترات من الجانب الإنجليزي . وتصل مجازاته إلى ٥٠٠ متر لكل منها ، ويرتفع ٥٠ متراً فوق أمواج القنال .



★ الجزء المحفور فعلاً من النفق عام ١٨٨١م ، دوفر ★

وهكذا تسلك السيارات طريقها منطلقة فوق جسر معلق يمتد من دوفر إلى جزيرة اصطناعية مجهزة بالمطاعم والأسواق الحرة ، حيث تهبط المركبات إليها عن طريق منحدر حلزوني طوله كيلومترين اثنين . ثم تنطلق إلى نفق يوضع في خندق على قاع البحر ـ فهو ليس محفوراً تحت



★ رسم لمركز الانطلاق للقطارات والمعديات في «دوفر» المقترح عام ١٨٧٠م ★

القاع ــ ويصل بين جزيرتين اصطناعيتين ويبلغ طوله ٢١ كيلومتراً ، ويحتوي على طريقين متراكبين فوق بعضهما في كل منهما ممرين للسيارات . أما السرعات المسموحة فهي ١٠٠كم/ساعة في الجسر المعلق ذي الممرين ، و٦٠كم/ساعة في المنحدرات ذات الثلاثة ممرات التي تؤدي إلى الجزيرتين ، و٨٠كم/ساعة في النفق الذي يقود إلى جزيرة اصطناعية أخرى وإلى جسر معلق آخر ، يؤدي إلى فرنسا في نقطة تبعد ستة أميال تقريباً جنوب غربي كاليه (سانغات) . ويبلغ زمن العبور ٣٠ دقيقية .

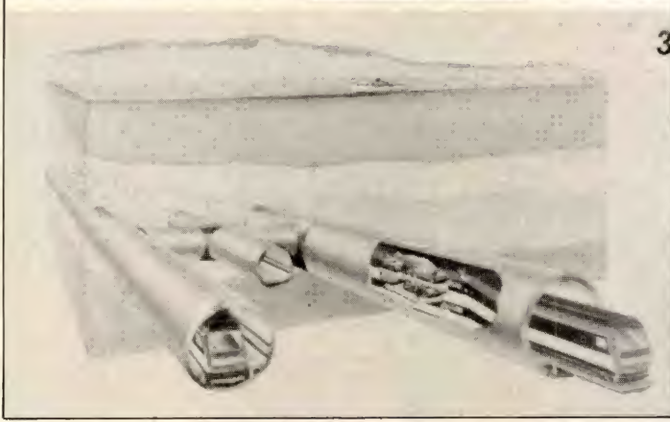
كذلك يدعو التصميم ــ إضافة إلى طريق عبور السيارات ــ إلى تنفيذ نفق آخر للقطارات ، يحفر هذه المرة تحت قاع البحر ، ويتسع لخطين من السكك الحديدية ، ويتصل بمحطتين للقطارات في كل من **شيريتون وفريتون** .

سيؤمن هذا المشروع ٧٥٠٠٠ فرصة عمل مؤقتة تقريباً أثناء إنشائه ، و٨٠٠٠ وظيفة دائمة بعد إتمامه عام ١٩٩٣م .

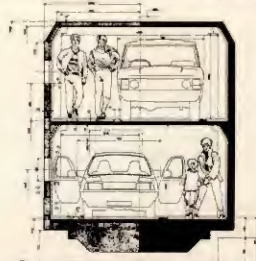
إلا أن هذا المشروع يواجه انتقادات كبيرة لصعوبة تنفيذه ، ولما يتطلبه من آليات خاصة وعناصر إنشائية مسبقة الصنع غير اعتيادية . زد على ذلك موضوع سلامة الملاحة وتصميم منشآت الجزر الاصطناعية وركائز الجسور بحيث تستطيع مقاومة صدمات السفن التي يصل وزنها إلى ٣٠٠٠٠٠ طن وتتحرك بسرعة ١٧ عقدة . كما أن أجزاء الجسر المعلق ستجبر السائقين على المعاناة على طول ٩,٦ أميال من طريق مكشوف معرّض للضباب معظم الأوقات ، ولسرعة رياح تبلغ ٩٠ ميلاً في الساعة . كذلك يتعرض هذا التصميم للانتقاد في جزئه الحلزوني ، إذ يعتقد البعض بأنه سوف يتسبب بوقوع كثير من الحوادث ، لأنه يأتي مباشرة بعد طريق عريض ومستقيم .







★ (١) محطة الانطلاق من الجهة الفرنسية . (٢) عمليات التحميل . (٣) عبور النفق ★





طريق القنال السريع

★ **المشروع الثالث ـ طريق القنال السريع** CHANNEL EXPRESS WAY ويتألف هذا التصميم من ثلاثة أنفاق ، اثنين منها للسيارات وواحد للقطارات ، عرض كل منها ١٢ متراً وطوله ٤٨ كيلومتراً ، ويقع تحت قاع بحر المانش بعمق ٤٠ متراً .

أما كلفته فتصل إلى ٣,٧ بلايين دولار ، ومدة إنجازه خمس سنوات . يعتبر هذا المشروع مرناً حيث يسمح للمسافرين سواء بقيادة سياراتهم الخاصة أو باستقلال القطار ، لكنه لا يسمح سوى لـ ١٦٠٠ سيارة ، و٣٠٠ مركبة ثقيلة بالمرور في الساعة .

بيد أن مشكلته الكبرى تكمن في فعالية نظام التهوية المقترح الذي يجب عليه أن ينظف هواء النفق من الكربون وبقية الغازات وذلك بواسطة الترسيب الإلكتروستاتي ELECTROSTATIC. PRECIPITA-TION وتحتاج هذه الطريقة إلى ٦٥٠م٢ من الهواء النقي في الثانية لتنظيف وتنقية جو النفق . ويجدر التنويه إلى استخدام نظام شبيه به ، أثبت نجاحه في نفقين في اليابان ، أحدهما **نفق إيناسان** ENASAN ، والآخر **نفق كانيتسو** KANETUS الذي دُشّن في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٥م ، إلا أن طوله لا يكاد يبلغ ٢٠ كيلومتراً .

إذاً ستتطلب عملية التهوية إقامة ١٩ محطة لتنقية الهواء داخل النفق ،

★ رسم لمشروع طريق القنال السريع ★



★ رسم لمشروع طريق أوروبا ، حيث تظهر الجزيرة الاصطناعية ★



★ شكل توضيحي لمشروع نفق القنال ★



أي بمعدل محطة لكل كيلومترين اثنين ، وسيحقن الهواء النقي من ٦ نقاط ، وترتفع هذه الآبار بمقدار ٢٧ متراً فوق منسوب البحر . وهنا تبرز مشكلة حمايتها من صدمات السفن . لكن أكثر ما يسترعي الانتباه في هذا المشروع كون دعمه المالي آت من مجموعة مضادة لبناء أي رابط ثابت ــ على الإطلاق ــ عبر القنال ، وهي مجموعة مالكي (المعديات) التي تعبره يومياً .

نفق القنال

★ **المشروع الرابع ـ نفق القنال** THE CHANNEL TUNNEL وهو أقل المشاريع كلفة . إذ إن تكاليف إنشائه ستبلغ ٣,٦ بلايين دولار تقريباً (وفق أسعار عام ١٩٨٥ م) . ويتطلب إنجازه فترة سبع سنوات .

يتألف التصميم من نفق مزدوج يتم حفره تحت قاع البحر بعمق ٤٠ متراً . ويساوي قطر النفق الواحد ٧,٣ أمتار ، ويحتوي على خط سكة حديدية مفرد . وبين هذين النفقين ، يوجد ممر للخدمة بقطر ٤,٥ أمتار ، يتصل بالنفقين الرئيسيين كل ٣٧٥ متراً . أما غاية هذا الممر فهو تأمين التهوية والصيانة والسلامة .

ستستخدم قطارات خاصة لنقل السيارات والباصات والشاحنات ، تنطلق كل ثلاث دقائق من **شيريتون** بالقرب من **فولكستون** FOLLKESTONE (التي تقع على بعد سبعة أميال جنوب غربي دوفر) ، ومن فريتون بالقرب من كاليه في فرنسا . ووفقاً لما هو مخطط ، سيمكن نقل ١٠٠٠ مركبة / ساعة في كل اتجاه ، تزداد إلى كثافة مرور أغطية تبلغ ٤٠٠٠ مركبة / ساعة في كل اتجاه .

ستسير القطارات داخل هذين النفقين بسرعة ١٦٠ / ساعة ، ويتسنى لراكبي السيارات أن يبقوا بداخلها أو يخرجوا ليتمشوا في القطار ويتناولوا المرطبات ، خلال فترة عبور النفق التي يتوقع أن تبلغ ٣٠ دقيقة .

وبفضل هذا النفق ، ستنحصر المسافة بين لندن وباريس من ٦,٣٠ إلى ٣,١٥ ساعات . ويمكن لعشر رحلات أن تنطلق داخل النفق في الوقت ذاته ، متباعدة بمسافة ٤,٢ كم الواحدة عن الأخرى (أي رحلة كل دقيقتين وثلاثين ثانية) .

سيؤمن هذا المشروع ٦٠٠٠٠ فرصة عمل تقريباً أثناء فترة الإنشاء ، وأكثر من ٧٥٠٠ وظيفة دائمة بعد ذلك . **ومن ميزاته** انعدام خطر حوادث الاصطدام والحريق في الأنفاق . كما أن نظام التهوية سيكون سهلاً وخفيفاً جداً حيث إنه لن توجد مشكلة غاز ثاني أوكسيد الكربون المنطلق من عوادم السيارات . زد على ذلك ميزة هامة وهي كونه بسيطاً وقابلاً للتحقيق من الناحية الفنية ، وأقل كلفة من المشاريع الأخرى ، **أما الانتقاد الوحيد** الموجه لهذا النفق فهو في عدم تمكن السائقين من قيادة سياراتهم الخاصة داخله ، إضافة إلى أن أي إضراب لعمال السكك الحديدية سيعطل خدماته ويشل حركته .

قصة الاختيار

★ **المرحلة الأولى** : في عام ١٩٨١ م ، وبعد قمة فرنسية بريطانية ، تم تشكيل مجموعة عمل مشتركة من الخبراء ، مهمتها دراسة إقامة اتصال ثابت عبر بحر المانش . وقد نشر تقرير هذا الفريق في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ م ، وجاء لصالح حفر نفق مزدوج للقطارات تحت الماء ، لكونه الحل الأقل كلفة من بقية الحلول ؛ ولأنه يمكن أن يمر فيه ، في الوقت ذاته ، قطارات الركاب والبضائع والمركبات (أي السيارات والباصات والشاحنات التي تنقل على قطارات خاصة) .

هذا إضافة لإمكانية تحقيقه فنياً ، لتوفر كافة الوسائل والدراسات التي أجريت سابقاً لنفس الغرض . أما بقية الحلول المقترحة ، فتتطلب جميعها إقامة عدة منشآت ثابتة في البحر مثل أعمدة الجسور ومداخن التهوية ، وكلها يلزم حمايتها من صدمات السفن المحتملة . وهذا يشكل صعوبة فنية وإنشائية ضخمة .

★ **المرحلة الثانية** : لم يتطرق التقرير السابق إلى موضوع التمويل وإمكانيته ، لذلك أحيلت هذه الناحية إلى مجموعة من خمسة بنوك عالمية ، ثلاثة منها فرنسية واثنان بريطانيان . وقد حدد أول اجتماع لها في تموز (يوليو) ١٩٨٢ م ، لدراسة إمكانية جمع التمويل الضروري لهذا المشروع وإجراء الاتصالات اللازمة لذلك . وبعد سنتين من العمل ، قدمت هذه البنوك تقريرها بتاريخ ٢٢ أيار (مايو) ١٩٨٤ م ، واعتبرت أن مشروع الطرق يتضمن مخاطر فنية ، ويحتاج تمويلاً ضخماً يتجاوز من بعيد إمكانية



قبول السوق المالي . وأقرت أن الحل والمشروع الوحيد الذي يمكن تنفيذه فنياً ومالياً هو مشروع نفق القطارات المزدوج . وفي ٢ نيسان (أبريل) من عام ١٩٨٥ م ، نُشر استدراج للعروض وحدد موعده النهائي يوم ٣١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٥ م .

المشـروع الفائـز

بإجراء مقارنة بين المشاريع الأربعة المطروحة ، **يتضح أن مشروع الجسر «جسر أوروبا»** يتطلب إقامة أعمدة لا تقل المجازات المعلقة فيما بينها عن ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ متر . لكن من المعروف أن أكبر المجازات الحالية للجسور المعلقة لا يكاد يصل إلى نصف هذه المسافة . إذاً سيطرح هذا التصميم مشاكل فنية يجب إيجاد حلول مناسبة لها فنياً ومالياً ، بحيث يمكن تجاوزها والتغلب عليها ضمن التمويل المخصص لها وخلال المهلة الزمنية المحددة . وهذا أمر غير مضمون . إذ إن هناك خطراً ومجازفة بزيادة الكلفة زيادة كبيرة ، وكذلك عدم التمكن من الالتزام بمدة الإنجاز المنصوص عنها . وإذا افترضنا أن هذه المشاكل قد حلت في الوقت المناسب ، فإن كلفة المشروع ، وهي أكبر من ١٠٠ مليار فرنك فرنسي ، تشكل ضعف كلفة إنشاء نفق للقطارات . ويعتقد أيضاً أن المدخول المادي الناتج عن مشروع الجسر لن يزيد كثيراً عن عائدات نفق السكة الحديدية .

أما بالنسبة لمشروع «طريق أوروبا» ، فإن المجازفات الفنية التي يحتويها أقل من مشروع الجسر السابق ، إلا أنها مهمة أيضاً . إذ إن وضع قطع إنشائية مسبقة الصنع على عمق كبير هو عمق القنال ، وعلى مسافات طويلة ، وفي وسط القنال الأكثر ارتياداً في العالم ، يشكل بحد ذاته صعوبات تنفيذية جمة وبكلفة توازي كلفة الجسر . الأمر الذي يواجه صعوبة في التمويل .

لا يتبقى سوى مشروع النفق المزدوج **«طريق القنال السريع»** ، وهو للطرق والقطارات . ويجمع هذا التصميم بين حل الطرق وحل نفق السكة الحديدية .

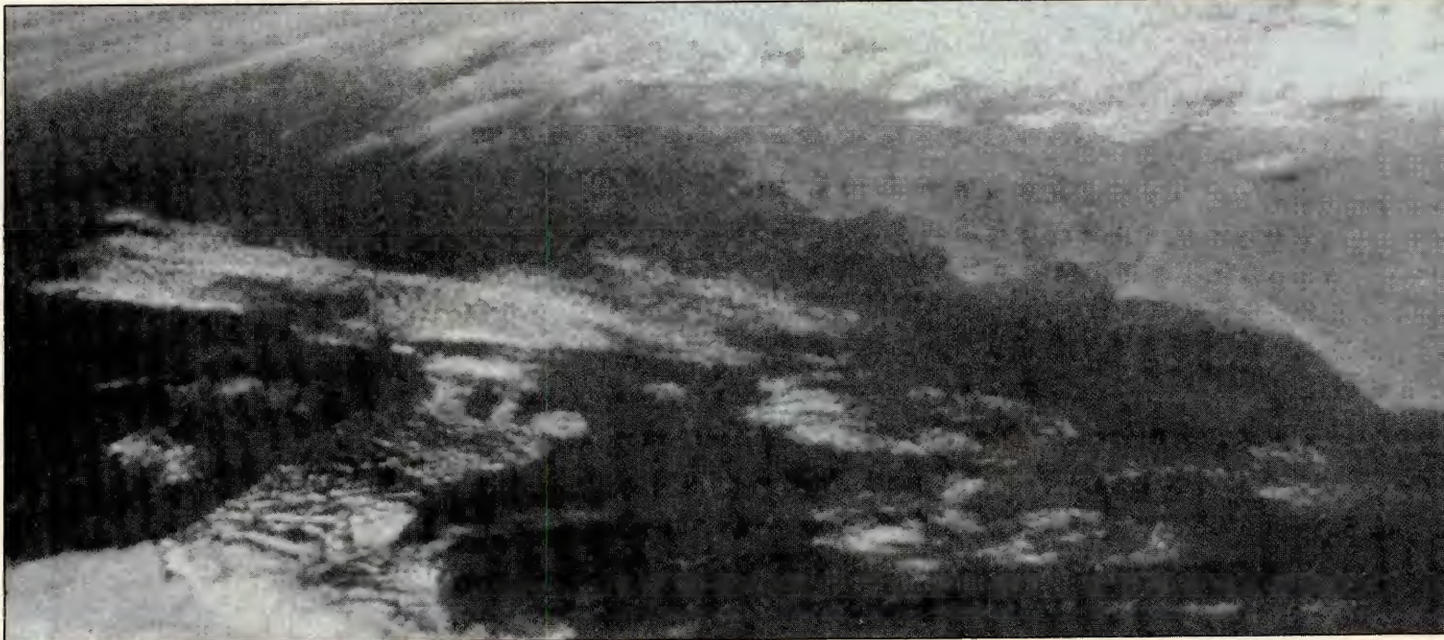
للوهلة الأولى ، لا يوجد ما يتعارض مع تنفيذه أو تمويله . بيد أنه بعد عدة أشهر من الدراسة ، رفض لسببين رئيسيين ، أولهما فني وثانيهما مالي .

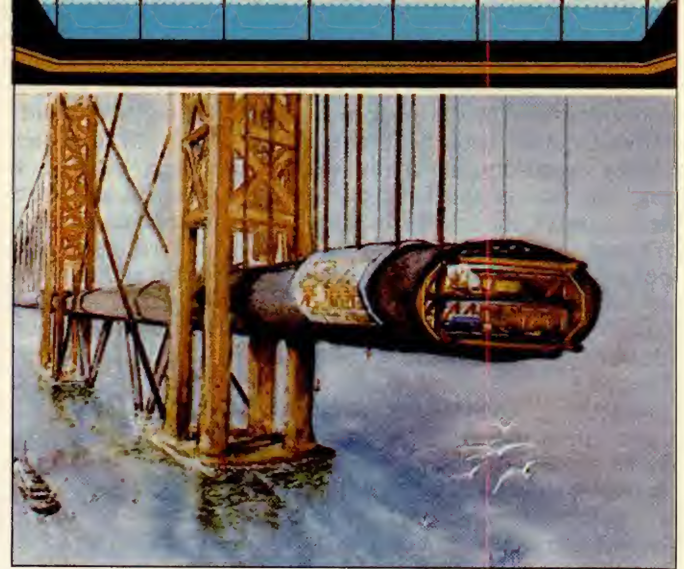
من جهة أولى ، فإن قطر النفقين الخاصين بالطريق أكبر بشكل محسوس من نفق السكك (الذي يزيد قطر كل نفق عن ١١ متراً مقابل ٧,٣٠ أمتار لنفق القطار) ، الأمر الذي يضاعف الأخطار الجيولوجية أثناء الحفر لوصوله إلى مناطق تحتوي على شقوق غير كتيمة قد تتسبب بتسرب غزير للمياه من خلالها .

إضافة إلى الحاجة لتصميم وتصنيع آلات حفر ذات حجم أكبر بكثير من حفارات الأنفاق المتواجدة حالياً في العالم . وسيؤدي هذا إلى زيادة الإنفاق وعدم التمكن من الالتزام بالمدة المحددة للتنفيذ . لكن المشكلة الأهم تكمن في أن تهوية ٥٠ كم من أنفاق الطرق يستوجب إنشاء ثلاث مداخن تهوية على الأقل ، حددت أماكنها على الأطراف الخارجية للممرات الملاحية في القنال .

ونظراً لكل هذه الأمور ، يتضح الخطر الكامن في أن تزيد كلفة هذا التصميم بمقدار يتراوح ما بين مرة ونصف إلى مرتين عما هو الحال في النفق المزدوج للسكك الحديدية . زد على ذلك أن احترام الأنظمة الدولية ، الخاصة بنسبة التركيز الأعظمي المسموح لأول أوكسيد الكربون ، سيؤدي إلى تحديد كبير لاستيعاب المنشأة من المركبات ، وبالتالي سينخفض عددها

★ صورة القنال الإنجليزي التقطها المكوك «تشالنجر» ★

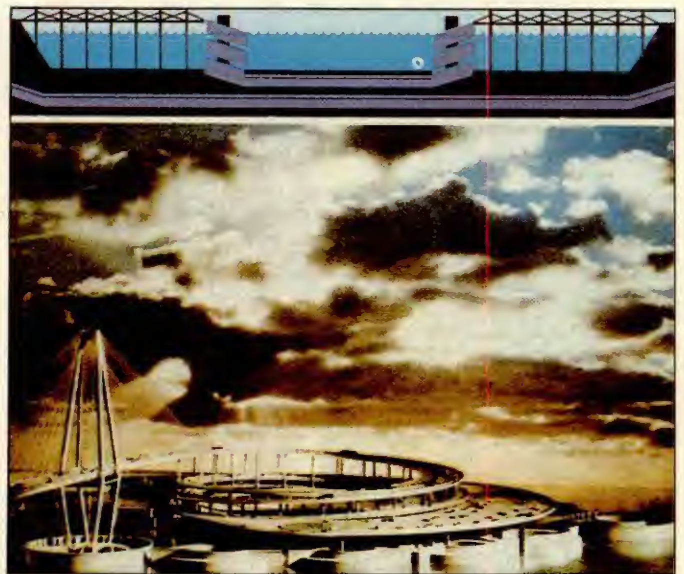




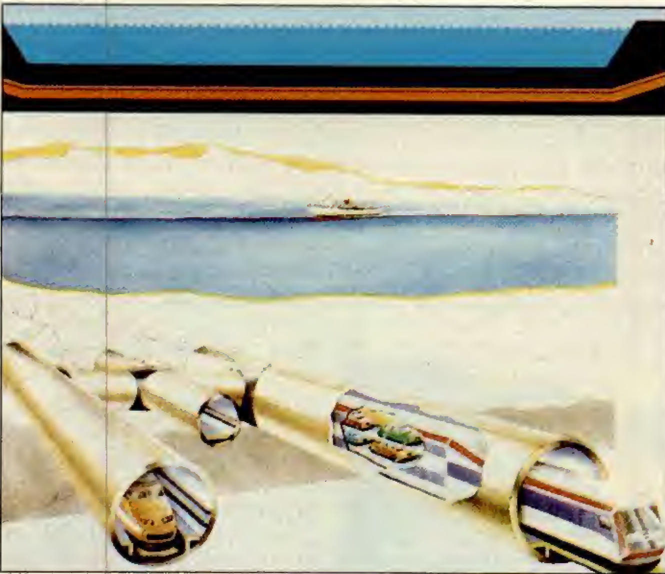
★ مشروع جسر أوروبا ★



★ مشروع طريق القنال السريع ★



★ مشروع طريق أوروبا ★



★ مشروع نفق القنال ★

إلى ٢٠٠٠ مركبة في الساعة فقط لكل اتجاه . وهذا يمثل نصف استيعاب نفق السكة الحديدية المزدوج . ولهذا أبعد هذا المشروع أيضاً .

لم يتبق بعد ذلك إلا مشروع نفق السكة المزدوج «نفق القنال» ، حيث إنه الأقل كلفة ويمكن تنفيذه فنياً بما يتوفر حالياً من تقنيات ومواد . كما إنه يقدم للمسافر الخدمة الممتازة ، إن لم نقل الأفضل . إضافة إلى ناحية هامة جداً في زمننا الحاضر ألا وهي احترام البيئة .

وهكذا اجتمعت مجموعة الـ «فرانس مانش FRANCE MANCHE» الفرنسية ومثيلتها «نفق القنال THE CHANNEL TUNNEL» البريطانية وتقدموا بمشروع مشترك في ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٥ م ، وهو المشروع الذي أعلن فائزاً في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ م .

ومن الميزات الهامة لهذا المشروع إقامة نظام نقل ضخم ومستمر دونما انقطاع ، ومهما كانت الظروف المناخية والبحرية ، وعبور سريع ، وفترات انتظار قصيرة أثناء الصعود والهبوط ، إضافة إلى الأمان والسلامة التي تمتاز بها خطوط السكك الحديدية .

ومنذ الزمن الغابر ، والإنسان يحاول جهده التغلب على بعض عوائق الطبيعة ، وقد سلحه الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالذكاء والقوة ، فأقام المعابر على الأنهار وفوق الوديان ، ومخر عباب المحيطات وتسلق الجبال . وبعد أن حلّق في الفضاء ، ها هو اليوم يعود ليحفر في قاع البحار . ومن يدري فقد يكون هذا فاتحة عهد جديد لاستكشاف أعماق جوف الكرة الأرضية .

المصادر

(١) مجلة التايم العدد ٣ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ م .

(٢) مجلة العلم والحياة ، العدد ٨٢٠ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ م .

(٣) مجلة العلم والحياة ، العدد ٨٢٣ ، نيسان (أبريل) ١٩٨٦ م .

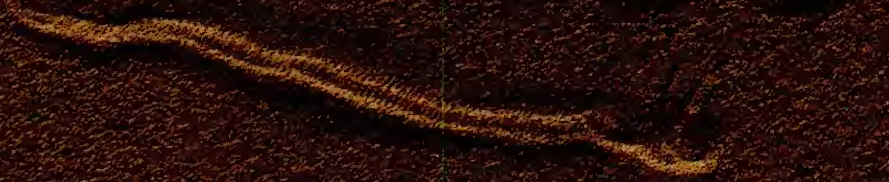
(٤) مجلة العلم والحياة ، (عدد خاص) رقم ١٥٤ ، آذار (مارس) ١٩٨٦ م .











الأفعى على الرمال الحارة

معظم الأفاعي snakes تنزلق على الأرض بالاندفاع جانبياً إذا ما اعترضتها أية عوائق أرضية صغيرة غير منتظمة ، وذلك بالتلوي المتعاقب وتمديد العضلات .

وبعض الأفاعي ذات الجلود المرنة ، مثل الحيات العاصرة التي تلتف بأجسامها حول فرائسها ، تتخذ الحية منها وضعاً تفترش فيه بجزء من جسمها على قطعة من الأرض بطول إنش واحد تقريباً في خط مستقيم ، أو تستخدم حركات تشابه حركات انفتاح أو انغلاق الأكورديون ، لتتحرك .. وحينئذ ، عليها أن تدفع بجسمها بعيداً بالانفتال أو بالالتفاف حول أجسام موجودة من نبات أو غيره .

ولكن بما أن رمال الصحراء تنزلق تحت أي ثقل يتوضع عليها ، فهي لا تُبقي إلا القليل من الرمل ليبقى متراكماً يستطيعُ من سيتحرك من فوقه أن يستعين به كشيء ثابت صلب يعينه على الاندفاع لبعيد ، وهكذا ...

وللتغلب على هذه المشكلة ، ولتستطيع بعض الحيات الموجودة في الصحارى التحرك والتنقل على هذه الرمال المحرقة ، فقد اضطرت مثل الأفعى النافخة القزمة (الصل) adder (الصورة) التي تعيش في صحراء ناميبيا ، والأفعى (الصوندر) sidewinder الأميركية (حية صغيرة من ذوات الجرس) ، والأفعى السامة الخبيثة المكسية بالقشور التي تعيش في آسيا الوسطى .. اضطرت مثل هذه الأفاعي أن تكيف حياتها وحركاتها لضرورات ظروف الأمكنة التي تعيش فيها ، فالحية منهن تتحرك على الرمال الحارة بخطوات جانبية تشبه حركات المتزحلق على الجليد عندما يتسلق المنحدرات .

ونشاهد في الصورة كيف أن أفعى (الصل) تتحرك على الرمال بوضع رأسها ومقدمة جسمها بزاوية (٦٠°) درجة تقريباً وبنفس الاتجاه المطلوب ، حيث يتكوَّم تحت بقية جسمها المزيد من الرمل الذي يمكنها من أن تندفع مستعينة به بقفزة سريعة وثابة ، تستمر فيها الموجات الصغيرة المنقبضة للعضلات على طول الجسم ، وهذا يؤمن التتابع المستمر للحركة ، إضافة إلى أن هذا يمنع جسم الأفعى من التلامس الطويل مع الرمال الحارة ، ويُبقي جسمها بدرجة حرارة أبرد .

اكتشافات علمية •

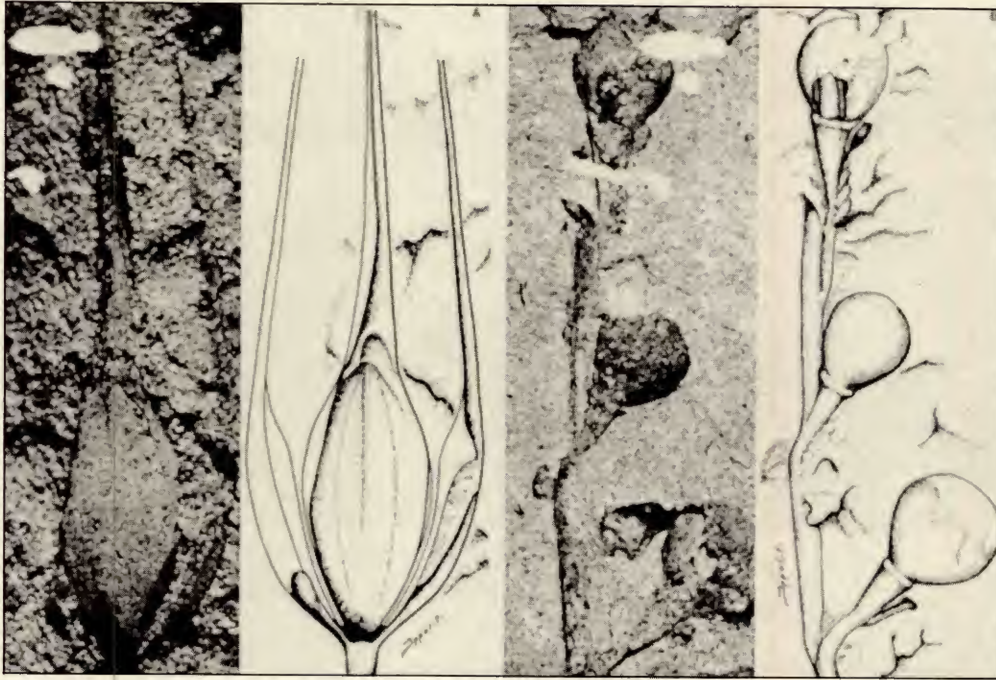
اكتشافات علمية •

اكتشافات علمية •

واحات الجزيرة العربية منذ ٣٠٠٠ سنة ق . م

أكدت الحفريات التي أجرتها مجموعة من البعثات الأثرية الأوروبية (فرنسية CNRS ، المانية ، وإيطالية) في الأراضي الواقعة على **هامش جزيرة العرب** ، بين **جبال عمان وأبو ظبي والربع الخالي في المملكة العربية السعودية**، أكدت على وجود أوابد أثرية عريقة . .

واحات عرفت الزراعة المتقدمة منذ ثلاثة آلاف سنة ق . م ، بدليل الطبعات التي خلفتها النباتات من قمح وشعير وذُرة وشوفان على صفحات الآجر غير المشوي في موقع **بات وميزار ورأس الحمرة** ، ولا سيما في **الحلي قرب العين** ، وهذه الواحات واقعة في منتصف الطريق بين **بلاد ما بين النهرين وبلاد**



فضاء

Space

مركبة فضاء .. تتنقل بحرية !

وكالة الفضاء الأميريكية (**ناسا NASA**) هي الآن في مراحل التخطيط المبدئية لعملية إعداد وصنع عربة المناورات المدارية orbiting maneuvering Vehiele ويرمز لها اختصاراً بـ(O M V) ، وهذه العربة عبارة عن مركبة فضاء تطير طيراناً حراً ، وقد صمّمها مهندسو (ناسا) لتخدم المركبات الفضائية والأقمار الصناعية والتوابع في المدارات الفضائية العالية جداً التي لا تتمكن « مكاكيك » الفضاء من الارتقاء إليها .

ومهمة عربة (O M V) الرئيسية الانطلاق في الفضاء والتنقّل بين المدارات الفضائية بغية خدمة الأقمار الصناعية المعطّلة والشغّالة ، وسترتقي صعوداً إلى ارتفاعات عُليا بعيداً عن الأرض لمسافات قد تصل إلى (١٤٠٠٠) ميل بحريّ (الميل البحري = ١٨٥٢ متراً) ، وسوف تعمل محركاتها بوقود **الهيدرازين** ، وعندما تُبنى محطّة الفضاء الأميريكية في بداية التسعينات ومنعاً للتلوث ، سينتقل أمر تشغيلها إلى نظام دفع جديد يعمل **بالنيتروجين البارد النظيف جداً** .

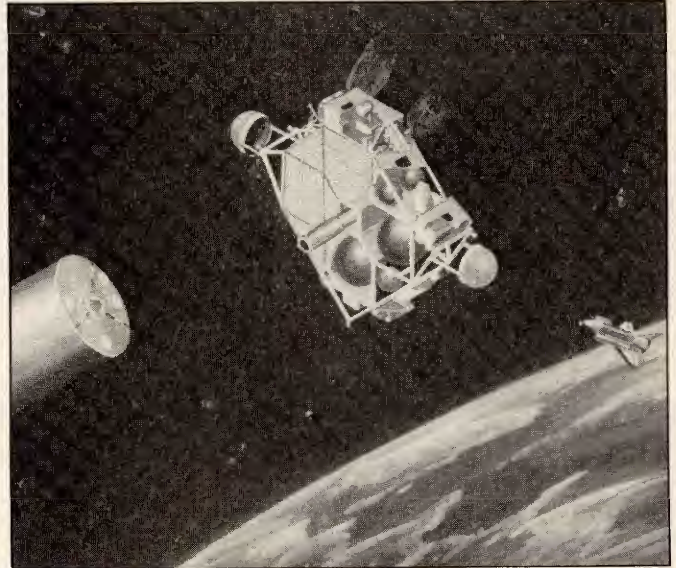
وعلى حد قول مدير مشروع العربة (**ويليام هوبر William**

الهندوس ، وتتميز واحة الحلي ببروجها الكثيرة المبنية بالآجر غير المشوي ، تحيط بها بيوت السكن والمقابر الجماعية ، بيوتُ سكنٍ حالمة بين ظلال أشجار النخيل والعناب المروية بتقنية عالية ، وكل هذه الآثار تقع في دائرة من الأرض تزيد مساحتها على الأربعين هكتاراً (هـ = ١٠,٠٠٠ م٢) وأبرزت الحفريات ، الهوية الثقافية لأهل هذه الواحات الواقعة بين حضارتين عظيمتين في ذياك الزمن ، **الحضارة السومرية ـ الأكادية** في بلاد ما بين النهرين في الغرب ، وحضارة بلاد الهندوس في الشرق ، مروراً ببلاد فارس الجنوبية ، ذلك أن هذه الواحات كانت الممون الوحيد لبلاد ما بين النهرين بمادة **النحاس** ، ودلت التحريات التي قامت بها **البعثة الأثرية الفرنسية** CNRS في موقع برج الحلي ، على وجود الحبوب بأنواعها وقد تفتت نتيجة انحباسها بين صفوف الطوب ، وكذالك هياكل الحيوانات من بقر وماعز وغنم ودلت أيضاً على أنه كان لأولئك السكان باع طولى في أصول تربية الحيوان وتأمين مراعيه ، والذي يستلفت الانتباه هو أن موطن الذرة الأصلي ، أراضي **الحبشة والسودان** وقد استوردتها الواحات وطورت زراعتها ، بجعلها منتوجاً صيفياً مما يدل على دور هذه الواحات العظيم في ترسيخ العلاقة التجارية بين آسيا والقارة السوداء في الألف الرابع والثالث قبل الميلاد .

واليوم تحاول حضارة القرن العشرين تطوير اقتصاد الواحة ، على حين كانت عامرة زاهرة منذ خمسة آلاف سنة .







Hober) فإن نظام إرسال الأقمار الصناعية منها إلى الفضاء ، يمكن في المستقبل أن يطوّر ، فتزوّد بأذرع يدويّة ذات تقنية عالية وبأجهزة ومعدات متطوّرة تعمل على مبدأ الخدمات البعيدة للأقمار الصناعية ، وسيسيطر على تحركاتها ومناوراتها من على الأرض ، وذلك بمساعدة الصور التلفزيونية التي ترسلها آلة تصوير منصوبة على متنها .

وتتنافس الآن ثلاث شركات جوية فضائية aerospace لعقد اتفاقية مع وكالة الفضاء الأميريكية (ناسا) لتصنيع عربة المناورات الفضائيّة هذه ، وقد خصّصت (ناسا) مبلغ (٣٥٠) مليون دولار للطيران الأوّل لهذه العربة الذي سيتم مع بداية عام (١٩٩٠ م) .



لوحة وفنان

★★ اللوحة : شروق ★★

● تنتمي هذه اللوحة إلى مدرسة الواقعية الجديدة، أي رؤية الواقع وفق نهج تشكيلي معاصر، فالفنان يصور في اللوحة مشهداً من الطبيعة وهو مشهد الشروق، وقد أحال الطبيعة إلى كيان جديد يؤدي دوره في بناء اللوحة، بحيث تتكيف وتتفاعل جميع العناصر طبقاً للتشكيل العام في اللوحة .. فالخطوط والألوان ودرجاتها تخرج إلى توافقات عامة جديدة وفقاً لقواعد التكوين طبقاً لما يريده الفنان وليس إلى وجودها في الطبيعة التي يتخذها الفنان كمصدر للموضوع وكمادة للتعبير.

● اتبع الفنان منتاكيس في أسلوبه في تصوير الطبيعة وعملية الشروق، التكوين القائم على السيميترية «التماثل»، فنجد أن سلسلة الجبال تنقسم إلى قسمين وتلتقي في نقطة في منتصف اللوحة، هي كمحور للارتكاز أو كمركز للوحة، فيتساوى الجزء الأيمن مع الجزء الأيسر، والمساحة العلوية والسفلية، وهذا غير موجود في الطبيعة.. ولكنه يخضع لقاعدة تشكيل الفنان بهدف التعبير عن الموضوع .. وفي هذا المركز نجد أن الفنان قد صور أقصى قدر من درجات الضوء يمثل مصدر الشروق، أي إن الفنان أبرز الموضوع من خلال استخدامه السيميترية كقاعدة في التكوين .. إضافة إلى توظيفه جميع عناصر العمل الفني لتحقيق الموضوع .. فمن هذا المركز الذي ينبعث منه الضوء بدأت الدرجات اللونية في الانتشار والتدرج من الفاتح إلى الداكن ليجذب عين المتلقي نحو هذا المركز الذي يمثل الشروق تأكيداً للموضوع.

● من ناحية المضمون، لم يعبر الفنان في اللوحة عن شروق الشمس فقط، أي كما هي في الطبيعة، وإنما ترك للمتلقي التعبير عنه كمعنى أيضاً، أي رؤية معاني ومضامين متعددة من خلاله، كل حسب ثقافته وفكره وإحساسه وشعوره، فقد يكون الشروق، شروقاً للشمس أو للحرية أو للحقيقة، أو لليل قد طال أو لظلام دامس داخل نفس بشرية.

● استخدم الفنان أسلوباً جديداً يقوم على الشرائط اللونية المتناغمة، فقد أحال جميع عناصر اللوحة بمهارة شديدة إلى شرائط لونية متنوعة في الدرجات ومتقاربة في المساحات، وذلك وفق أسلوب بالغ الرقة والعذوبة والشفافية .. وقد استخدم التدرج اللوني من الأبيض

★★ الفنان : ستراتيس منتاكيس ★★

● ولد في مدينة بورسعيد بمصر في ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٤٥م.

● أنهى دراسته الثانوية في بورسعيد، وهناك بدأ يتعلم فنون الرسم والتصميم والألوان في استديوهات الفنانين المصريين، وكان على اتصال مباشر بكافة تيارات الفنون الجميلة الشرقية والغربية من خلال زياراته للمعارض والمتاحف واستديوهات الفنانين.

● في عام ١٩٦٤م، سافر إلى أثينا باليونان موطن أبويه، واتخذها مقراً لإقامته، وقد اضطر إلى ترك فن الرسم والاشتغال بمهن أخرى فترة مؤقتة لأسباب اقتصادية.

● في عام ١٩٦٩م، قام برحلات متعددة إلى أوروبا، وقام بعمل بحوث ودراسات حول موضوعات فنية في المتاحف الأوروبية، ثم عاد إلى اليونان، وفي عام ١٩٧١م، أنشأ استيدوهاً خاصاً به.

● أقام خمسة معارض شخصية، أربعة منها في اليونان بأثينا في قاعات: زيجوس عام ١٩٨٢م، أثينا عام ١٩٨٢م، قصر أستير عام ١٩٨٢م، أثينا عام ١٩٨٤م.. والخامس أقامه

إلى الأزرق، ليصور المسافات أو الفترات الزمنية لعملية الشروق، أي تصوير حركة زمانية من خلال توزيع الأضواء والظلال عبر تنوع درجات الألوان والضوء.. كما أن الفنان منتاكيس قد استخدم خط سلسلة الجبال كمادة للتعبير بإحالته إلى خط فاصل بين الظلام والضوء، إضافة إلى استخدامه التشكيلي.. كما يستخدم هارمونية الألوان المتوافقة والمتباينة بشكل حقق وحدة النسيج العضوي في اللوحة وبشكل أقرب إلى الموجات الصوتية وأسلوب انتشارها من منبع محدد، وهو هنا مركز اللوحة أي الشروق ذاته.

بالرياض عاصمة المملكة العربية السعودية في ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٥ م، بصالة العرض بفندق الرياض انتركونتيننتال.

● أقام معرضاً جماعياً بالاشتراك مع مجموعة من الفنانين اليونانيين الجدد بصالة غرفة الفنون الجميلة بأثينا.

● اشترك في العديد من المسابقات والمعارض الجماعية والدولية منها:

★ المعرض الدولي للتصوير الزيتي بصالة القصر الكبير بالإليزيه في باريس عام ١٩٨٣ م.

★ المعرض الدولي للتصوير بصالة ماندراجور في باريس عام ١٩٨٣ م.

★ معرض الفنانين اليونانيين المعاصرين بصالة ج. دي. كزيرولومو للفنون في اسبوليتو بإيطاليا عام ١٩٨٤ م.

★ المعرض الدولي للتصوير في بيسكارا بإيطاليا عام ١٩٨٤ م.

★ المعرض الدولي تحت عنوان الأبعاد الجديدة للفنون المعاصرة في تونتي بإيطاليا عام ١٩٨٥ م.

● فاز بعدة جوائز منها جائزة خاصة من اتحاد الصحفيين الأوروبيين في تونتي بإيطاليا في خريف عام ١٩٨٥ م.



الإشعاعات.. خطرها وفائدتها

بقلم: د. رجا حسين أبو السمن

مذ خلق الله الأرض والبشرية على سطحها والإشعاعات التي تصلها بقدر وبحدود آمنة، فالأشعة الكونية لو قدر لها ووصلت لقتلت الإنسان والحيوان والنبات، ولكن حكمة الله تعالى اقتضت الميزان والبقاء للأجناس الحيّة، فقيّض الله للأرض طبقة «الأوزون» تمتص وتتفاعل مع الأشعة الكونية التي لو وصلت إلى أي خلية حيّة لتسببت بإصابتها بالسرطان وقتلتها. علماً أن السرطان وبعض أنواعه يعالج أحياناً بالأشعة، فكأن الأشعة شأنها شأن النار أو القوة النووية ذات وجهين: إما أن تكون مفيدة وإما أن تكون ضارة، حسب الاستعمال الذي يقرره الإنسان لها.

الإشعاعات الطبيعية ومصدرها

من المعروف أن الإشعاعات النووية خطرة على الصحة البشرية، ولكن هنالك إشعاعات طبيعية نتعرض لها يومياً بمجرد السكن في البيوت عن طريق استنشاق غاز الرادون الذي هو غاز نبيل (الاسم القديم غاز خامل) وخطره أنه مشع، أو من مشاهدة التليفزيون.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: من أين يأتي غاز الرادون؟

من المعروف أن لليورانيوم نظائر طبيعية مشعة موجودة في الطبيعة وهي يورانيوم ٢٣٨ الذي لا تكاد الصخور أو التربة تخلو منه.

وحيث إن مواد البناء والجدران، سواء كانت صخوراً أم أسمنتاً أم حجارة أم تربة، تحوي اليورانيوم، ولأنه مادة مشعة فله سلسلة من التحولات لن ندخل في تفاصيلها، ومن ضمنها تحوله لغاز الرادون ٢٢٢، وهو كما أسلفنا مشع أيضاً، ولأنه غاز فإنه يتسرب من الحوائط والجدران إلى داخل البيوت، فيستنشقه السكان مع الهواء.

خطر الرادون

لقد ثبت أن استنشاق غاز الرادون بتركيزات عالية لمدة طويلة (وخاصة أيام الشتاء في البلاد الباردة حيث لا تفتح النوافذ لحفظ الحرارة في المنازل، أو في أيام الصيف في البلاد الحارة حيث لا تفتح النوافذ لحفظ المنازل المبردة، مما ساعد على تركيز غاز الرادون) يؤدي في النهاية للإصابة بسرطان الرئة والحنجرة أيضاً.

وقدّرت الوفيات السنوية بسرطان الرئة الناتج عن استنشاق غاز الرادون المذكور في المنازل في بريطانيا بحوالي ثلاثة آلاف نسمة، وقد قام باحث سعودي من جامعة البترول والمعادن، بتحضير رسالة في الدكتوراه عن أفضل وسائل الطلاء لمنع زيادة تركيز غاز الرادون داخل المنازل في بريطانيا، والكشف على الدهانات وأوراق الجدران بعد استخدام كاشفات نووية لأشعة ألفا، ثم بعد معاملة الكاشفات كيميائياً واستخدام الميكروسكوب، وهو **الدكتور فلاح أبو جراد**.

أشعة إكس والأشعة السينية

وهي أشعة صناعية مفيدة وضارة كما ذكرنا في المقدمة. أما فائدتها فهي في تصوير العظام والأطراف والأسنان والأجزاء الداخلية في المستشفيات. وأما خطرها فهو التعرض لجرعات كبيرة ولمدد طويلة نسبياً مما يؤدي إلى أعراض خطيرة.

وبرغم أن أجهزة الأمن في مطارات العالم تفحص الأمتعة والأفراد المسافرين بواسطة الأشعة السينية الخفيفة إلا أنها ليست مأمونة العواقب دائماً. ونعود ثانية، فهي هامة للكشف عن الأسلحة أو المعادن أو المتفجرات، وهذا ضروري لأمن الركاب وفائدتهم وسلامة السفر والطيران برغم مخاطرها الصحية أحياناً تماماً كفائدة الكشف عن الكسور والشروخ أو الحصوات في الكلى أو المرارة أو التسوس في الأسنان مما يسهل العلاج والعمليات الجراحية التي إذا زادت عن حدها ومدتها تسبب أخطاراً جسيمة.




أخطار الأشعة السينية

إن التعرض الزائد بالكم والمدة لأشعة إكس ربما يحدث تغييرات فسيولوجية في الخلايا الحية ، ونتيجتها البثور والحروق الجلدية التي تظهر على سطح الجلد ، أو تؤدي إلى الصلع وتساقط الشعر وإلى مرض السرطان الذي يظهر بعد فترة طويلة .

ومن أخطار التعرض للأشعة السينية أيضاً تلَف الأعضاء التناسلية كالخصيتين والمبيضين في الجنسين ، وعدم الإنجاب عند التعرض لجرعات عالية منها ، ويكمن خطر هذا الداء في أنه وراثي ، ينتقل من جيل لآخر ، مما يؤدي إلى العقم وعدم الإنجاب ، وربما يؤدي أيضاً إلى ضعف مقاومة الجسم عند الأبناء والأحفاد .

الإشعاع الذري

لا شك أن مجرد ذكر اسم القنبلة النووية يثير الهلع في النفوس ، حيث لا زالت الذاكرة تعي ما حدث في « **ناغازاكي وهيروشيما** » **باليابان** عام ١٩٤٥ م . فما بالكم بالسكان والمناطق المأهولة حول أو بجوار المفاعلات النووية ؟؟

إن تسرب الإشعاع أو المواد المشعة في الجو ، أو الغبار الذري يثير الرعب والخوف في نفوس الأهالي المجاورين ، ولذا تم توزيع أقراص وقاية على ٧٠٠٠ منزل في « **شاتانوغا** » بولاية « تينيسي » الأمريكية لتؤخذ من قبل جميع أفراد المنزل في غضون ساعة من وقوع تسرب للمواد المشعة .

أما أهالي مدينة « **وندسكيل** » البريطانية ، فقد عانوا الأمرين من وجود المفاعلات النووية وحوادث الاحتراق وتسرب الإشعاعات منها ومن محطة معالجة المواد النووية هناك ، وقد وصل عدد الوفيات نتيجة الإشعاعات النووية إلى ١٠٠٠ حالة ، والإصابة بسرطان الغدة الدرقية إلى ٢٥٠ حالة .

وأما الطحالب المائية والأسماك فهي مشبعة وملوثة بالمواد المشعة ، وبرك السباحة وربما مصادر مياه الشرب أيضاً فهي ملوثة بالمواد المشعة وكذلك الغبار الذري في الجو الذي تبلغ نسبته عشرة أضعاف النسبة المعتادة .

فوائد الأشعة

لن نتعرض هنا بالتفصيل لفوائد الأشعة التي سبق التنويه عنها ومنها تشخيص المرض والعلاج في الطب ، وما استخدام الليزر إلا فتح علمي حضاري . كذلك يجب الإشارة إلى إمكانية توليد الطاقة الكهربائية من التقنية النووية واستخدامها في الصناعة النظيفة ، أي غير الملوثة قياساً بأنواع الطاقة الأخرى ، وعلاج الأمراض الخبيثة والأورام السرطانية بالأشعة مجال رحب وهام ، وأما استخداماتها في المجالات الزراعية فلا حصر لها من تحصين للبذور والتقاوى إلى مراقبة نمو النباتات ، والمبيدات الحشرية والأسمدة والمخصبات الكيماوية النتروجينية والفوسفورية والكبريتية ، واستخدامات **أشعة « غاما »** خاصة في دراسة الكثافة النوعية للتربة وامتصاص التربة للمياه ، وامتصاص النبات للمركبات الأخرى وحفظ المحاصيل وتعقيم ذكور الحشرات مما أدى إلى تحسين نوعية الحبوب والبذور وتطوير السماد والحد من نمو الآفات الزراعية والتحكم بمياه الري . بالإضافة لاستخدام الأشعة في الصناعة وأبحاث الفضاء والأسلحة وفنون الحرب ، وأبحاث الفلك والطب والعلوم وغيرها .

طرق الوقاية

نذكر منها : طرق الكشف عن الشعاع وأجهزة القياس الشعاعية ، والملابس الواقية ، والحواجز والموانع الرصاصية والأسمنتية ، وبعض الأدوية والحبوب عند الإنذار بتسرب مواد مشعة .

وبعد ، فالأشعة نعمة ونقمة ، علينا أن نسخرها لخدمتنا وفائدتنا ونتجنب استخدامها لدمارنا وهلاكنا .

المراجع

١ ــ فلاح أبو جراد ، رسالة دكتوراه « دراسة تركيز إشعاعات غاز الرادون ومشتقاته داخل البيوت ومن مواد البناء بواسطة استخدام الكاشفات النووية والبلاستيكية » جامعة برمنجهام ــ المملكة المتحدة (بريطانيا) عام ١٩٨٠ م .

٢ ــ جريدة برمنجهام بوست في عددها الصادر في ١٩٨١/٣/٥ م .

٣ ــ د . فلاح أبو جراد « انتبهوا إشعاعات نووية من الجدران » جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر في ١٩٨٤/٥/٦ م .

٤ ــ تقرير المكتب الوطني لحماية المواطنين من خطر الإشعاعات الذرية ، بريطانيا ، شباط (فبراير) ١٩٨٤ م .

لعب الطاعون ولا يزال يلعب دوراً تاريخياً كبيراً في حياة الشعوب قديماً وحديثاً ، فما عرفت البشرية وباءً فتاكاً مثله .. أهلك الملايين قديماً ، ولا تزال ضحاياه تترى بعد اكتساحه العالم في وافدته الأخيرة التي شملت العالم المتحضر في الأميركتين ، واستقر هناك كبؤرة متوطنة طاب له العيش فيها ، ووجد مرتعه في قوارضها المتوحشة والطاعمة مما تصعب مكافحتها ، ولهذا السبب ، لا تزال الإصابات المتفرقة تحدث بين الحين والآخر في الولايات المتحدة الأميركية .



★ الطاعون الدبيلي .. لاحظ الدبيلة وهي في طور النقاهة عند مريض معالج ★

الطاعون .. تاريخ وبركان

بقلم : د . ضياء الدين الجماس

ولقد كان لهذا الداء صدى كبيراً في نفوس المسلمين في صدر الإسلام ، ووردت فيه أحاديث كثيرة تشير كلها إلى حرص الرسول الكريم على بث روح الطمأنينة بين الناس في ذلك الوقت ، وكان فيها تعاليم عظيمة عن هذا الداء ، تدل على عمق علمه الطبي والوقائي ، وصدق رسالته رغم مرور آلاف السنين .

لقد جاءت الأحاديث الشريفة عن الطاعون لتبين حقائق الأمور عن هذا الداء بما ينسجم وروح العقيدة الإسلامية ... فكانت منهلاً علمياً لا بد لكل أفراد الأمة أن يتعلموا منها عجائب هذا الداء .. ففيه رحمة لهم ، وفيه شهادتهم ، وبه فناؤهم ... وأبين ذلك في الفقرات التالية ، والله المستعان .

عذاب ورحمة

من عجائب هذا الوباء أنه يأتي تارة عذاباً ورجزاً على البشرية ، بينما يأتي رحمة ونعمة تارة أخرى . وقد أوضح **رسول الله صلى الله عليه وسلم** هذه الحقيقة في حديثه الشريف عندما سئل عن الطاعون فقال : « إنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء ، فجعله الله رحمة للمؤمنين » .

أوبئة الطاعون

يذهب علم الوبائيات حول هذا الداء إلى أنه لا يمكن القضاء على وافداته لسبب واضح ، هو أن مخازنه هي القوارض المختلفة من فئران وجرذان ، وكلاب المروج (قوارض أميريكية) وهي منتشرة في الأحراج والبراري ، مما يصعب القضاء عليها ، فهي تمثل مخزناً بركانياً لجراثيم هذا الداء ، تنفجر على البشر كلما تجاوز عددُ **البراغيث** الناقلة لهذه العصيات عددَ القوارض المصابة ، ولقد ظهرت هذه الحقيقة العلمية في الحديث الشريف : « .. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الوجع (الطاعون) فقال : رجز أو عذابٌ عُذِّب به بعض الأمم ، ثم بقي منه بقية ، فيذهب المرة ويأتي الأخرى .. » .

إن من فضل الله عز وجل أن يجعل للمصاب من المسلمين بالطاعون أجر الشهداء ، وقد بين **رسول الله صلى الله عليه وسلم** هذه الرحمة بقوله : « **الطاعون شهادة لكل مسلم** » ، وإن لهذه النظرة فائدة كبيرة في الوافدات ، لكي لا يفر الناس من مكان الإصابة إلى المناطق السليمة فينتشر الداء ، ولا بد من عطاءٍ ومنحة لمن يصبر على البلاء ، فما كانت خيراً من أجر الشهادة .

لقد انتقى رسول الأمة طريق الشهادة سبباً لفناء أمته إن كان لا محالة ، فقال : « فناء أمتي بالطعن والطاعون » . وقال أيضاً : « اللهم اجعل فناء أمتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون » .

إن من يراقب ويتابع انتشار الداء في العالم ،



★ الطاعون الانتاني الدموي والمريض في طور النقاهة . لاحظ تموّت الجلد واسوداده (الموت الأسود) ★

يجده قد غزا الكرة الأرضية الآهلة .. إلا **المدينة المنورة** ، ومن يبحث في الحديث الشريف ، يجد حديثاً نبوياً يقول فيه سيد المرسلين : « **لا يدخل المدينة المسيح (يقصد الدجال) ولا الطاعون** » .. أليس في ذلك إعجاز صريح يدل على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام .

من جميع هذه النقاط التي تلفت النظر ، وجدت في بحث الطاعون مجالا فكرياً وعلمياً خصباً ، لا بد من طرحه وبيان ما وصل إليه العلم الحديث عن هذا الداء ، وآليات انتشاره ، وحدوث أوبئته ، ولنبدأ بتاريخ هذا المرض لما فيه من نقاط مهمة تظهر أهمية الأخذ بالكتاب والسنّة كمصادر تاريخية صادقة وأكيدة .

تاريخ الطاعون في الطب

تناولت كتب الطب داء الطاعون تاريخياً ، فعادت به إلى ٦٠٠ سنة قبل الميلاد ، وتذكر هذه المصادر حدوث أربع جائحات كبرى ذهب ضحيتها الملايين من البشر .. أولها في **مصر** سنة ٥٤٢ بعد الميلاد ، وقد انتشرت منها ، خلال (٥٠) عاماً إلى **آسيا وأوروبا** ، وقد قدر عدد الهلكى في تلك الجائحة بـ (١٠٠) مليون إنسان .

وكانت الثانية في القرن الرابع عشر الميلادي ، وعمت أوروبا ، ثم **الشرق الأوسط** ، ومنه تشعبت إلى **إفريقيا** ، وامتدت إلى **الهند فالصين** .. وتميزت هذه الجائحة بالنموذج الرئوي للداء (وهو أخطر أشكال الداء وأسرعها سيراً وقتلاً) ، وعرفت هذه الجائحة باسم « **الموت الأسود** » **Black death** خاصة في الصين . وقدر عدد الوفيات في أوروبا وحدها بـ (٢٥) مليوناً ، ويمثل هذا العدد ربع سكان تلك القارة في ذلك التاريخ . وأما الجائحة الثالثة ، فقد انطلقت من أوروبا وعمت العالم ، وامتد بقاؤها لثلاثة قرون : من القرن الخامس عشر الميلادي ، إلى القرن الثامن عشر الميلادي .

وأما الكرّة المعاصرة للداء ، فقد بدأت عام ١٨٦٠ م ، في الصين ، وامتدت إلى **هونغ كونغ** عام ١٨٩٤ م ، ونقلت مخازن الداء (الفئران والجرذان) ، مع السفن التجارية إلى **الهند** وبعض دول آسيا وإفريقيا ، ثم إلى **البرازيل وكاليفورنيا** .. فوصل إلى **أميريكا** ليستوطن هناك ويرتع في مخازنها الطبيعية السمينة من جرذان وحشية برية ، وكلاب المروج (وهي قواضم تشبه الجرذان وتكثر في الأحراج) ، ولا تزال الإصابات المتفرقة في الولايات المتحدة الأميريكية تحدث بين الحين والآخر ، وقدرت وفيات الهند وحدها بـ (١٠) ملايين وفاة ، وفي **فيتنام** عام ١٩٧٠ م ، قرابة (١٧) ألفاً . ومن الغريب في الأمر أن الوافدة قد تراجعت تلقائياً في العقد الأخير لسبب غير مفسر . وأعدد فيما يلي بعض الدول التي سجلت فيها إصابات كبيرة : **البرازيل ـ بورما ـ كينيا ـ بيرو ـ السودان ـ بوليفيا ـ والولايات المتحدة الأميريكية** ، وقد توطن الداء في هذه الأخيرة ، وخاصة في الولايات الجنوبية الغربية مثل : **نيومكسيكو ـ وأريزونا ـ وكولورادو ـ ونيفادا ـ وكاليفورنيا** . المهم في هذه الوافدة الأخيرة أنه قد تم كشف جرثومة الطاعون عام ١٨٩٤ م ، في هونغ كونغ من قبل العالم « **ألكسندر يرسين** » ، وسميت **بالباستوريلا الطاعونية** Pasteurella Pestis ، ثم عدل هذا الاسم بعد عام ١٩٧٠ م ، وأعطيت اسم مكتشفها ، فأصبحت معروفة باسم : **الطاعونية اليرسينية** Yersinia Pestis .

كما أنه من الجدير ذكره معرفة عدة أنواع من الأدوية التي غيرت من إنذار هذا الداء ، وأصبحت شافية له إذا تمت المعالجة في الساعات الأولى من الإصابة . وسأبين ذلك في فقرة العلاج .

الطاعون تاريخ وبركان

في الكتاب والسنّة

لقد ذكر الطاعون في كتاب الله تعالى ، في سورة الأعراف ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلت فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين . ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل** ﴾ (سورة الأعراف ، الآيتان ١٣٣ ــ ١٣٤) .

وتتفق جميع كتب التفسير حول هذه الآية إلى أن الطاعون هو أحد الابتلاءات الإلهية التي أرسلت على الأقباط لإنقاذ قوم **موسى عليه السلام** ، إلا أن منها ما ذهب إلى أنه المقصود بالطوفان ، ومنها ما ذهب إلى أنه المقصود بالرجز ، وأعتقد أن هذا الأخير هو الأقرب للصواب لانطباقه مع تعبير الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، عن هذا الداء عندما سئل عنه بقوله : « **الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل** . . . » .

وهذا ما نجده في تفسير **القرطبي** لكلمة الرجز الواردة في الآية المذكورة : « أي العذاب ، وقرئ بضم الراء لغتان ، قال **ابن جبير** : كان طاعوناً مات به من القبط في يوم واحد سبعون ألفاً . . » .

المهم في كل ذلك أن نلاحظ أن الطاعون قد حدث وفق القرآن الكريم منذ قرابة ١٤٠٠ سنة قبل الميلاد ، بينما لم ترجع به المصادر الطبية التاريخية إلى أكثر من ٦٠٠ ق . م . **أفلا يجدر بنا أن نرى في كتاب الله عز وجل أصدق مصدر تاريخي حول هذا الداء ؟** .

وينطبق هذا أيضاً على **الحديث الشريف** ، فهو مصدر تاريخي موثوق وأكيد ، ودليل ذلك أنه قد ذكرت وافدة الطاعون في بلاد الشام في زمن خلافة سيدنا **عمر بن الخطاب** ، رضي الله عنه ، وقد عرفت هذه الوافدة باسم « **طاعون عمواس** » ، ويقدر تاريخ حدوث هذه الجائحة سنة ١٧ أو ١٨ للهجرة ، كما ورد في حديث شريف طويل ، أذكر بعضاً منه بما يهمنا في البحث : « . . . أن عمر قد خرج إلى سرغ سنة ١٧ أو ١٨ للهجرة ، متوجهاً إلى بلاد الشام ، فقيل له إن فيها طاعوناً فرجع . . . » .

وهذه حادثة تاريخية مشهورة قد حدثت قرابة ٦٣٣ م ، أي في القرن السابع الميلادي ، ولم تذكر كتب الطب هذا التاريخ من جملة أوبئة هذا المرض ، فلماذا ؟ .

إن كتاب الله والحديث الشريف من أصدق مصادر التاريخ ، ويجب الأخذ بهما ، وهما منار ثابت على مر العصور والدهور .

جرثوم الطاعون

يحدث مرض الطاعون بسبب جرثومة عصوية الشكل تدعى العصية الطاعونية واليرسينية . وتتميز هذه العصية بأنها تمتلك عدداً كبيراً من الذيفانات والمستضدات التي يُعزى لكل منها خاصة تسبب ظهور عرض أو عدة أعراض لهذا المرض الفتاك . وأذكر فيما يلي أهم هذه المستضدات والذيفانات :

(١) الجزء ــ ١ ــ المستضدي Fraction 1 Antigen : وهو الذي يتدخل في تضاد فعالية البلعمة الخلوية ، كما أنه ينشط (يُفَعِّل) متممات الثوي (المضيف) . وأفضل درجة حرارة تناسب إنتاجه هي ٣٧°م .

(٢) المستضد V.W. .

(٣) الذيفان الداخلي Endotoxin : ويتألف من السكاكر العديدة الشحمية ، وإن إفراز هذا الذيفان يسبب ارتفاع الحرارة ، وهو السبب في تخثر الدم ضمن الأوعية المنتشرة (EIC) ، وتخريب العديد من النسج ، وهو العامل المولد لانقسام الخلايا اللمفاوية ب B .

(٤) الذيفانات الخارجية Exotoxins : وأهمها الذيفان البروتيني الفأري Murine ، وقد تبين تجريبياً أنه ذو سمية قلبية شديدة عند الحيوان ، ولم يتبين دوره نهائياً عند البشر .

(٥) الخميرة المخثرة Coagulase : وهي التي تلعب دوراً كبيراً في حدوث الوافدة ، فهي تسبب تخثر الدم الذي يمتصه البرغوث من الحيوان المصاب ، فيسد المجرى الهضمي له فلا يصل هذا الدم إلى معدته ، فعندما يلسع إنساناً بعد ذلك ، فإنه سيقيء بدلا من الامتصاص ، فتدخل عصيات الطاعون تحت جلد الإنسان الملسوع ، وهنا تبدأ الإصابة . ولولا تخثر الدم في الجهاز الهضمي للبرغوث ، لما قاء ، ولما انتشر المرض . ولا تكون هذه الخميرة فعالة إلا في درجات الحرارة ٢٨°م ودونها ، وهذه الخاصة تفسر توقف انتشار الطاعون في المناطق الحارة الجافة التي لا تقل فيها الحرارة اليومية عن الدرجة ٣٠°م ، خلال اليوم .

معلومات وبائية

إن داء الطاعون هو خمج حيواني بشكل خاص ، وإصابته للإنسان هو الحدث الطارئ في دورة حياة هذا الجرثوم . وتحدث مثل هذه الإصابات في المناطق التي يكون فيها الإنسان بتماس مباشر مع هذه الدورة التي يتواسطها البرغوث في نقلها من حيوان لآخر . . **فإذا لسع البرغوث المصاب إنساناً ، فإنه ينقل له هذا الجرثوم ، فيصاب بالطاعون . . وأهم الحيوانات التي تعتبر مخزناً لعصيات الطاعون هي :**

١ ــ **الفئران** وخاصة من نوع Rattus Rattus ، و R. novegicus .

٢ ــ **الجرذان** .

٣ ــ **السناجب الأرضية والصخرية** . (في الولايات المتحدة الأمريكية) .

٤ ــ **كلاب المروج** ، (وهي قوارض تعيش في أحراج الولايات المتحدة الأمريكية) .

ومن هنا نرى أن الإنسان لا يُعد مهماً في بقاء استمرار هذا الوباء ، فهو ليس مخزناً له ، ولا يمكن القضاء على هذا الداء إلا بالقضاء على مخازنه ، وهذا محال حسب معلوماتنا في الوقت الحاضر ، فمخازنه حيوانات وحشية أم طاعمة (أهلية) ، لا يمكن القضاء عليها لشدة تكاثرها ، وسعة انتشارها في العالم . فهي بحق تعتبر بمثابة بركان ينفجر كلما توفرت الشروط المناخية والجرثومية المناسبة ، وبكلمة أخرى كلما أذن لها ربها بذلك .

فمن الصفات الفصلية أن **هذا الوباء لا ينتشر في الفصول الحارة الجافة** ، ويرجع ذلك

ــ كما رأينا ــ إلى خصائص الخميرة المختمرة . كما أن نسبة عدد البراغيث إلى عدد القوارض ، يجب أن تتجاوز الرقم (١) لكي ينفجر هذا البركان الجرثومي على شكل وباء بشري واسع . **ولا ينتشر الوباء من إنسان لإنسان إلا في الأشكال الرئوية من المرض** ، وقد أصبح من المعروف أيضاً أن أوبئة هذا المرض تتميز بالمجال البؤري ، ومعنى ذلك أن **الإصابة قد تبقى محصورة في قرية ، أو حتى محلة من المدينة ، دون مجاوراتها ما لم تنتقل هذه المخازن إلى الجوار ، أو أن يكون الوباء من النوع الرئوي كما قلنا ، وانتقل هؤلاء المصابون إلى الجوار . كما أنه من النادر أن تحدث الإصابة عند تناول لحم الحيوان المصاب .**

الصورة السريرية

للطاعون نماذج سريرية عديدة أشهرها وأكثرها مشاهدة هو **الشكل الدبيلي** Bubonic ، ويحدث هذا النموذج عند دخول العصيات الطاعونية اليرسينية بلسعة برغوث مصاب ، فتصل هذه الجراثيم إلى العقد اللمفاوية الخاصة بمنطقة اللسعة ، (المغبنية للأطراف السفلية ، وهي تتوضع في ثنية الفخذ المتصلة بالجذع ــ والإبطية للأطراف العلوية ــ والعنقية للسعات التي تحدث في الوجه . .) .

وتبقى هذه العصيات كامنة طيلة فترة الحضانة (٢ ــ ٨ أيام) ، ثم تبدأ الأعراض بالظهور فجأة على شكل نوافض (عرواء) ، وارتفاع الحرارة الشديد ، والضعف العام ، والصداع . وقد يلاحظ انتباج العقد اللمفاوية (**الدبلة**) في نفس ذلك اليوم ، وقد يحدث ذلك في اليوم التالي ، وتمثل **الدبيلة** Bubo انتباج عقدة لمفاوية أو أكثر ، ويكون هذا الانتباج مؤلماً لدرجة قد تمنع المريض من تحريك طرفه تحاشياً للألم .

ويختلف حجم الدبيلة ، وقد يصل إلى حجم البرتقالة المتوسطة ، ويكون الجلد فوقها مشدوداً أو محمراً . ويكون قوامها متجانساً إذا كانت عقدة وحيدة ، وتكون مفصصة إذا شملت عقداً متعددة . ويسبب جسّها ألماً شديداً . ويكون الجلد فوقها حاراً .

وقد ورد حديث نبوي حول وصف هذه الدبيلة تعليماً **للسيدة عائشة** عندما سألت **رسول الله صلى الله عليه وسلم** عن الطاعون قال لها : **«غدة كغدة الإبل . . »** .

يعاني المريض خلال سير المرض من نوب تجرثم الدم ، ويسير المريض سيراً سريعاً نحو الوفاة خلال ٣ ــ ٤ أيام من بدء الأعراض ، وكثيراً ما تترافق الحمى بالهذيان ، والصرع عند الأطفال . وتكون الحرارة بين ٣٨,٥ ــ ٤٠°م ، والنبض بمعدل ١١٠ ــ ١٤٠/د ، وينخفض الضغط (١٠/٦) بسبب التوسع الوعائي العام ، وكثيراً ما يكون الكبد والطحال مجسوسين ومؤلمين .

وهناك شكل آخر للطاعون هو حدوث **الفرفريات** عند تعمم الداء ، وقد تصبح متنخرة وتتموت الأطراف المحيطية وتسود ، ولعل هذا اللون ، هو سبب إطلاق تعبير «الموت الأسود» على الوافدة التي غزت الصين .

وأما الشكل الدموي للطاعون فله حالتان :

١ ــ الشكل الإنتاني الدموي الثانوي ، وهو الذي يتلو الإصابة بالطاعون الدبلي .

٢ ــ الشكل الإنتاني الدموي البدئي Septicemic Plague ، وهو الذي يحدث دون حدوث الدبيلة .

كما أن للطاعون شكلين رئويين :

١ ــ الشكل الثانوي ، وهو الذي يتلو الإصابة بالشكل الدبيلي ، حيث تصل الجراثيم إلى الرئة عند حصول التجرثم الدموي ، فتحدث ذات الرئة الطاعونية الشديدة السير والقاتلة ، وتحدث فيها الوفاة خلال ٢٤ ساعة ، وهي الشكل المسؤول عن انتشار الوباء بين البشر أنفسهم دون وساطة البرغوث . ويكون السعال قيحياً مدمى ، ويحتوي على الجراثيم ، فإذا وصل إلى الجهاز التنفسي لإنسان آخر حدثت لديه ذات الرئة الطاعونية البدئية .

٢ ــ الطاعون الرئوي البدئي ، وهو من أخطر أنواع الإصابات الطاعونية ، ويقتل المصاب خلال ٢٤ ساعة ما لم تتم المعالجة خلال الساعات الأولى للإصابة .

ومن الأشكال الأخرى للطاعون ، التهاب السحايا ، والتهاب البلعوم بالطاعون ، وكلاهما شكلان نادران للمرض ، يحدث الأول أثناء سير الطاعون الدبلي المعالج بشكل ناقص ، بينما يحدث الثاني في بعض المجتمعات التي نجد البراغيث عالقة على شعر النساء فيها ، وعند دخول الشعر إلى الفم ، فإن المرأة قد تقضم هذه البراغيث بين أسنانها ، وعلى أية حال ، فإن هذه الأشكال نادرة .

التشخيص

يجب التفكير بالطاعون لدى كل مريض حموي ، قد تعرض للقوارض أو الثدييات الأخرى في منطقة موبوءة من العالم ، ويتأكد التشخيص بكشف العصية مجهرياً في رشافة الدبيلة ، أو من الدم ، أو القشع ، أو السائل الدماغي الشوكي .

وتظهر عصيات الطاعون بلون **ويسون** Wayson زرقاء نيرة ، ذات أقطاب غامقة . ويمكن معايرة الجزء ــ ١ ــ المستضدي في بعض المراكز ، ويجري هذا العيار إذا كانت الزروع سلبية .

ويجب تفريق الطاعون الدبيلي عن التولاريميا ، والإفرنجي الثانوي ، والحبيبوم اللمفاوي الزهري .

علاج الطاعون

لقد تبين أن هناك العديد من الأدوية تؤثر تأثيراً جيداً على عصية الطاعون اليرسينية ، وهي أدوية شائعة الاستعمال ، ولكنها تعطى بجرعات أعلى من المألوف عندما نعالج بها الطاعون ، وأذكر أشهرها : (الستربتومايسين ــ الكلورانفينيكول ــ التتراسكلين) .

والمهم لنجاح المعالجة أن تبدأ باكرة ، خلال اليوم الأول من ظهور الأعراض ، وإذا كان الشكل رئوياً يجب البدء بالمعالجة قبل مرور ١٥ ساعة ، وإلا فإن الوفاة حاصلة لا محالة . كما يحتاج المريض إعطاء السيرومات ، ورافعات الضغط ، والأوكسجين .

الوقاية

وتتم الوقاية باستخدام المبيدات الحشرية لمكافحة البراغيث ، كما تجب مكافحة القوارض



سواء كانت وحشية أم طاعمة من فئران وجرذان وسناجب . . .

وهنا أذكر بالحديث النبوي القائل : « **إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها** » . فمن الواضح أن توجيه هذا الحديث الشريف ، ينسجم مع خصائص هذا الداء الوبائية ، وأهمها المجال البؤري لأوبئته التي تم شرحها سابقاً . كما أن من الواضح إدراك رسولنا الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، لمفهوم حضانة الجرثوم ، إذ لولا هذا الإدراك لسمح بخروج من لم تظهر عليه أعراض المرض ، أليس في هذا دليل على سعة علمه صلى الله عليه وسلم .

هذا ، وقد جهز لقاح لإعطائه للمتعرضين في المناطق الموبوءة ، أو لمن ينوي السفر إليها ، كما يجب إبلاغ منظمة الصحة العالمية عن كل حادثة تقع في العالم لاتخاذ التدابير اللازمة لحصر الإصابات ومنع الانتشار .

ولا شك أن التوعية العالمية حول وبائيات هذا الداء القاتل ، هو أمر ضروري للوقاية من كوارث محتملة الوقوع ، في أي وقت من الأوقات ، ودون سابق إنذار ، تماماً كما ينفجر أي بركان في العالم .

المراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ كتب التفسير : القرطبي ــ القاضي البضاوي ــ ابن كثير .

٣ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر .

٤ ــ مختصر صحيح مسلم : للحافظ المنذري .

٥ ــ الطب النبوي : لشمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي ، ابن قيم الجوزية .

٦ ــ المعجم الطبي العربي الموحد ، الصادر عن اتحاد الأطباء العرب عام ١٩٨٤ م .

٧ ــ Cecil Textbook of Medicine 1985 Wyngaarden . Smith

٨ ــ The New England Journal of Medicine 17 Octo. 1985.

٩ ــ Medicin DIGEST Plague 1984.

لعبة الحياة

شعر : وحيد ميدو

لا تسل عن جنونه ومجونه ... قد طمى شكه ونقص يقينه

حاد عن خطه السوي وخطوا ... ته ضلت عن الهدى وعرينه

فنفاقٌ . وقسوةٌ . ورياءٌ . ... وخداعٌ لخله وقرينه

وغرامٌ لماله وانغماسٌ ... جارفٌ في أهوائه وشجونه

ما لهذا كان ابن آدم في الأر ... ض لقد ماجت في بحور جنونه

لم يع السر من وجوده فيها ... فطغا ناسياً نضوب معينه

واشتراها وباعها يحسب العمـ ... ـر مديداً ، ويل له من ظنونه

* * * * *

ربما جادت الحياة بحظ ... له يوماً من غير كدّ يمينه

فغدا في العلياء زوراً يساوي ... من أتاها بكفه وجبينه

ولئن أوتي السبيل لنحّا ... ه فيحظى بجهده وسنينه

فكأنَّ الحياة حكرٌ عليه ... وكأنَّ الحياة كلُّ شؤونه

وكأنَّ الضعيف ليس بإنسا ... ن ليشقى ، فاسمعْ دوي أنينه

وانظر البؤسَ في ملامحه قد ... أجج النار ثورة في عيونه

زمن المظهر الكذوب وإن طا ... ل له حين قادم في سكونه

هذه لعبة الحياة ترينا ... من صروف لدهرنا وفنونه

لعبة كم وددت لو دامت الدهر وطالت فعشت كل قرونه



مفهوم السببية عند مفكري الإسلام

بقلم : محمد أحمد عواد

تعتبر السببية من المبادئ الأساسية التي عرفها الإنسان منذ وجوده ، لأنها شكلت أساساً جوهرياً في التعامل مع العالم والتعرف عليه ، وبالرغم من هذه المعرفة لم تقدم عنها نظرية متكاملة قبل أرسطو ، فهو الذي أعطاها الأبعاد الحقيقية الفاعلة في المنطق والميتافزيقا والطبيعة ، واكتسبت لديه محوراً جوهرياً في الفلسفة والعلم .

ومبدأ السببية يقضي بأن لكل حادثة سبباً ، وهذا المبدأ عقلي وضروري ، ولولا وجوده لما أمكن قيام نظرية علمية تتمتع بصفة الشمول والعموم ، وعليه فإن هذا البحث يسعى للكشف عن مفهوم السببية عند مفكري الإسلام ، وبالذات في مجال الطبيعة .

السببية عند اليونان

حدد **أرسطو** موضوع الفلسفة « بالوجود المادي » وغاية هذا العلم المعرفة التي تقوم على « تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً عقلياً »[١] ، لذلك كانت المعرفة عنده « تستهدف اكتشاف العلل الأولى للأشياء »[٢] ، فوجدها أربعة : مادية ، صورية ، فاعلة ، غائية ، وعلى عالم الطبيعة أن يُركز على العلة المادية والغائية ، لأنّ الطبيعة تعمل لغاية ، وأي شيء يحدث فيها « بسبب غاية ما »[٣] ، والضرورة إنما تأتي من الغاية ، فهي الهدف النهائي للفعل ، ويتناول أرسطو الحالات المختلفة التي يستخدم فيها العلل ، متناولا في ذلك **الصدفة والاتفاق** مبيناً أنهما « سببان بالعرض يكونان في الأشياء الممكنة على الإطلاق »[٤] ، والفرق بينهما أنّ الصدفة مجالها الكائنات ذات الإرادة ، بينما الاتفاق خاص بغيرها . وبذا فإنّ أرسطو فتح أمام علم الطبيعة مجالات واسعة ، لكنّ **الرواقية**[٥] ، **والأبيقورية**[٦] ، لم تستفيدا من هذا الإنجاز ، بل وقدم الشكاك نقداً عنيفاً لهذا المبدأ[٧] ، أما « **أفلوطين** » فقد أخذ بنظرية العلل الأربع الأرسطية[٨] ، وضمنها نظريته في الصدور الذي هو « تحقيق المعلول عن العلة بالضرورة »[٩] ، ولم يلبث هذا التراث أنْ وصلَ إلى العالم الإسلامي مترجماً[١٠] ، فأخذ مفكرو الإسلام منه مواقف متعددة بين قبول ورفض وابتكار .

السببية عند الجبرية

ترتبط قضية السببية مباشرة باسم الجبرية ، فالجبر « هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى »[١١] ، وهذا المفهوم لا تأخذ به سوى فرقة واحدة من فرق الجبرية ، وهي « **الجهمية** » لذلك أطلق عليها **الشهرستاني** « الجبرية الخالصة »[١١] ، بينما هناك جبرية متوسطة « تُثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً »[١١] ، ويُميز الشهرستاني هنا **الأشاعرة** بأنهم يُثبتون « للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل »[١١] ، لذلك فهو يخرجهم عن دائرة الجبرية[١٢] ، وعموماً فإنّ الجبرية لا ينكرون مبدأ السببية بحد ذاته ، بمعنى أنّ لكل حادثة سبباً ، ولكنهم يقولون إنّ هذا السبب هو الله ، « فلا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده ، وأنه هو الفاعل ، وأنّ الناس إنما تُنسب إليهم أفعالهم على المجاز[١٣] ، ويعتبر **الرازي** إطلاق الجبرية عليهم خطأ « لأننا لا نقول إنّ العبد ليس بقادر ، بل نقول إنه ليس خالقاً »[١٤] ، وهذا الأمر لا ينفي أنهم كانوا يُعللون حوادث الطبيعة بالقدرة الإلهية الفاعلة .

السببية عند المعتزلة

أخذ المعتزلة بمبدأ السببية في الطبيعة والإنسان ، حيث إنهم جعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله ، فالفعل الإنساني ينقسم عندهم إلى فعل مباشر ، لا خلاف فيه ، وفعل متولد[١٥] ، مثل موت الرجل بعد إطلاق السهم ، فذهاب « السهم عند رمي الرامي به لا يعدو خصالا أربع ، إما أن يكون فعلاً لك أو للسهم أو فعلاً لا فاعل له أو فعلاً للرامي »[١٦] ، فالفعل هنا متولد ــ ذهاب السهم ــ وهو « منسوب إلى الرامي به دون غيره إذا كان هو المسبب له »[١٦] ، فإذا كانت الجبرية ترفع كل فعل إنساني إلى الله ، فهو المسبب الوحيد ، أما المعتزلة فقد بينوا « أن وقوع الفعل المباشر بحسب قصده وإرادته ، وانتقائه بحسب كراهته على طريقة واحدة مع السلامة يدل على أنّ ذلك فعل له ، وقد علمنا أنّ ذلك موجود في المتولد الذي يفعل في غير محل قدرته . . . . فيجب أن يكون ذلك دالا على أنه فعله أيضاً »[١٧] ، وهذا يعني أنّ كل الأفعال الإنسانية تصدر عنه فهو المسبب لها ، ونقلوا هذا التصور إلى الطبيعة . فهناك تلازم بين الأسباب والمسببات . « فالنار تحرق ، والاحتراق فعلها . . والسكين التي تجز الرقبة علة ثانية للقتل . . والعلة الأولى هي الإنسان الذي مارس القتل ، إذ إنّ العلل والأسباب قد تتعدد وتتسلسل عندهم »[١٨] ، لذلك كان التلازم بين ظاهرتين يؤخذ على أنّ أحدهما سبب والآخر نتيجة ، فمثلاً « عرفنا أنّ جرة لو كان فيها ماء ثم جمد الماء كله ، لكانت الجرة تتكسر وتنشق ، وإنما تنكسر لأجل أنّ الماء بالجمود منقبض أجزاؤه ، فلو لم تنكسر الجرة لكان هناك خلل ، لأنه قد يحصل عند جمود الماء فيه هواء ، غير أنه لما لم يجز الخلل انكسرت الجرة عند جمود الماء فيه »[١٩] ، فهنا التعليل قائم على تلازم بين

السبب والنتيجة، ونلاحظ أيضاً أنّ الفاعل هنا طبيعي، كما نلاحظ أنهم يتحدثون عن العلة الفاعلة والمادية. ويبدو أنَّ المعتزلة قد استخدموا نظرية العلل الأرسطية. فمثلاً العلة الفاعلة يقولون «إنّ النار تحرق ما لاقاها»[٢٠]، ونستطيع أن نميز بقية العلل في الأمثلة التي يضربوها مثل «نحن نسخن الماء إذا أوقدنا النار تحته ونبرده بالجليد»[٢١]. ويبدو أنّ الاطراد بين ظاهرتين، واستمرار ظهورهما وهو الصورة الأساسية لمبدأ السببية في الطبيعة قد عرفوه بدقة، فمثلاً «قد عرفنا أنّ المغناطيس يجذب الحديد إليه على طريقة واحدة لا تختلف الحال فيه»[٢٢]، فهنا إدراك ثبات التلازم بين الظاهرتين، وهو التلازم بين السبب والمسبب، وميزوا بين أن «يكون إيجاب العلة للمعلول، أو يكون إيجاب السبب للمسبب»[٢٣]، كما بينوا أنّ الاتفاق والصدفة مجهول الأسباب لا غير «فأما ما يقع من أفعال العباد على جهة الاتفاق من غير قصد، نحو ما يلحقه من الفزع عند الأمارات، مما لا تتقدم فيه الدواعي التي لا يقصد على بعض الوجوه فيدل ذلك على أنّ فعله هذا إن جاز أن يقع من غير قصدنا»[٢٤]، وبذا تكمل صورة السببية عند المعتزلة.

السببية عند الأشاعرة

رفض الأشاعرة موقف المعتزلة من الفعل الإنساني، بل وأدانوه، وقرّر **أبو الحسن الأشعري** أنّ الإنسان له «ملكة قادرة ولكن ليست خالقة، أي ليست قادرة على الخلق، بل على الكسب، فهي ملكة قادرة على كسب الأفعال لا على خلقها»[٢٥]، فالإنسان إذن يكتسب ولا يخلق الفعل، لأن الفاعل الوحيد المؤثر هو الله، وقد هوجمت هذه النظرية من المعتزلة بشدة. وأثبتوا أن هذا الأمر يوجب أن يقع الفعل لفاعلين، وهذا مستحيل منطقياً، وبالتالي فإن القائلين بالكسب يتساوون مع «الجبر الخالص كما قال أهل العدل والتوحيد»[٢٦]، وهذا الأمر لا يعني أنهم يرفضون مبدأ السببية، بل يُقرون بأنّ لكل سبب نتيجة. لكنهم يرون أن المسببات في «عالمي الكون والإنسان راجعة إلى سبب واحد هو الله سبحانه»[٢٧]، «**فالباقلاني**» لا يرى بأنّ الله خلق العالم لعلة لأنّ «العلل لا تجوز عليه»[٢٨]، لذلك فإذا كانت «الطبيعة الموجبة لحدوث العالم حادثة لا عن طبيعة أوجدتها جاز أيضاً حدوث العالم لا عن طبيعة أوجبته»[٢٩]، ومن هنا فإن ما يشاهد كتلازم بين السبب والنتيجة، إنما هو «تغير حال الجسم»[٣٠]، وتأتي العادة لترسخ هذا المفهوم[٣١]، وقد طوّر **الغزالي** هذه الصورة فيما بعد، لقد بيّن الغزالي أنّ «الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً، وبين ما يُعتقد مُسبباً، ليس ضرورياً عندنا، بل كل شيئين، ليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا ولا إثبات أحدهما متضمناً لإثبات الآخر ولا نفيه متضمناً لنفي الآخر، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر»[٣٢]، فالاقتران «لما سبق من تقدير الله سبحانه بخلقها على التساوق لا لكونه ضرورياً في نفسه»[٣٣]، وحتى يبرهن الغزالي على صحة دعواه يضرب مثلاً وهو الاحتراق في القطن، وهنا نجده ينكر أنّ فاعل الاحتراق النار، وإنما هو الله، ويؤكد أنّ لا دليل على أنّ النار هي الفاعل سوى «مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار، والمشاهدة تدل على الحصول عندها ولا تدل على الحصول بها، وأنه لا علة له سواها»[٣٤]، فالتلازم بين العلة والمعلول ليس واجباً، بل ممكناً «يجوز أن يقع ويجوز أن لا يقع واستمرار العادة بها مرة بعد أخرى يرسخ في أذهاننا جريانها على وفق العادة الماضية ترسيخاً لا تنفك عنه»[٣٥]، إنّ الغزالي في نقده لمبدأ السببية كان يريد أن يفتح مجالا للمعجزات وأن يعطي القدرة الإلهية صفتها المطلقة، فالله قد يفعل ما يخالف قانون السببية.

السببية عند علماء الأصول

أخذ الأصوليون بالعلة عند تعرضهم لمبحث القياس، وهي عندهم تختلف عن المفهوم المتداول[٣٦]، فهي «مناط الحكم» أي «ما أضاف الشرع الحكم إليه وناطه به ونصبه علامة عليه»[٣٧]، فمجال العلة هنا الأحكام الشرعية، إذ إنها «مناط الحكم، وسُميت علة لأنها غيرت حال المحل أخذاً من علة المريض لأنها اقتضت تغيير حاله»[٣٨]، لذلك كانت هناك فروقاً دقيقة بين السبب والعلة. فقد «يراد بالعلة المؤثر، وبالسبب ما يفضي إلى الشيء في الجملة أو ما يكون باعثاً عليه فيفترقان»[٣٩]، وعموماً، اعتمد الأصوليون على مبدأ السببية الذي يقرر وجود سبب لكل حادثة، وهم لا يجدون تعارضاً بين الأخذ بالفاعل المطلق للأشياء وبين العلة «والشارع جل ذكره قد أثبت الحكم بسبب وقد أثبت ابتداء بلا سبب فيضاف الحكم إلى الله تعالى إيجاباً وإلى العلة نسبياً»[٤٠]، ويكون الاجتهاد في العلة «إما أن يكون في تحقيق مناط الحكم أو في تخريج مناط الحكم واستنباطه، أما الاجتهاد في تحقيق مناط الحكم فلا نعرف خلافاً بين الأمة في جوازه»[٤١]، أما التالي فقد اختلفوا فيه، وقد طبق مبدأ السببية في عالم الإنسان وأفعاله، وفي المجال الطبيعي. وهذا يعني أن ما قرروه في العلة يشمل الإنسان والطبيعة، فقد اشترط الأصوليون عدة شروط للعلة[٤٢]، مثلاً «أن تكون العلة مؤثرة في الحكم لأن الحكم معلول لها، فإن لم يكن لها ثمة تأثير فيه خرجت عن كونها علة»[٤٣]، فالعلة يجب أن تكون مؤثرة كما في حالة الإسكار، وأيضاً اشترطوا «أن تكون العلة مطردة، أي كلما وجدت العلة في صورة من الصور وجد الحكم»[٤٤]، فكلما وجدت العلة وجد المعلول، وأيضاً اشترطوا أن تكون منعكسة، أي كلما انتفت العلة انتفى الحكم[٤٥]، وبالإضافة إلى هذه الشروط وضّحوا مسالك العلة، أي طرق الإثبات والأدلة «وقد اختلفوا في عدد هذه المسالك، فقال الرازي في المحصول هي عشرة . . . . .»[٤٦]، وهي أدلة نقلية مثل الكتاب والسنّة، وأدلة عقلية «مثل السبر والتقسيم والمناسبة والشبه والطرد والدوران وتنقيح المناط ثم طرق أخرى ضعيفة»[٤٧]، أما السبر والتقسيم فيتم عن طريق «حصر الأوصاف التي توجد في الأصل والتي تصلح للعلية في بادئ الرأي، ثم إبطال ما لا يصلح منها فيتعين الباقي للعلة»[٤٨]، والطرد هو «مقارنة الوصف للحكم في الوجود دون العدم، بحيث لا يكون مناسباً ولا شبيهاً على أنّ تكون هذه المقارنة في جميع الصور ما عدا الصور المتنازع فيها، أي صورة الفرع الذي يراد ثبوت الحكم له، لوجود ذلك الوصف فيه»[٤٩]، أما الدوران فهو ما يعرف «بدوران العلة مع المعلول وجوداً وعدماً»[٥٠]، أما تنقيح المناط فيعرفه **السبكي** بقوله «أن يدل نص الظاهر على التعليل بوصف فيحذف خصوصه عن الاعتبار ويناط الحكم بالأعم أو تكون أوصافه في محل الحكم فيحذف بعضها عن الاعتبار بالاجتهاد، ويناط الحكم بالباقي وحاصله الاجتهاد في الحذف اليقين»[٥١]، ولا شك أن هذه المسالك التي اعتمدها الأصوليون في البحث

عن العلة تصدق من جهة أخرى على الطبيعة، فالأصوليون قبلوا مبدأ السببية، وأخذوا بجوانب من النظرية الأرسطية، وكان تركيزهم على العلة الفاعلة وإن لم يهملوا بقية العلل، ووضعوا تحديدات دقيقة لإثبات العلة.

السببية عند الفلاسفة

أكد **الكندي** أن العلل الطبيعية أربع: «ما منه كان الشيء أعني عنصره، وصورة الشيء التي بها هو ما هو، ومبتدأ حركة الشيء التي هي علته، وما من أجله فعل الفاعل مفعوله»[٥٢]، وذهب إلى أن هناك علة نهائية، هي العلة الأولى حدها «مبدعة فاعلة متممة الكل غير متحركة»[٥٣]، لكن ما العلاقة بين العلة الأولى وعلل الطبيعة؟ وهنا يبين الكندي أن هذه العلل مرتبة «بإرادة باريها هذا الترتيب الذي هو سبب الكون والفساد»[٥٤]، وكأن الكندي يؤمن بحرية كونية «في يد الإرادة المبدعة عن علم وحكمة»[٥٥].

أما **ابن سينا** فقد اخذ أيضاً بالعلل الأربع، كما أوردها «أرسطو»، بل وقدم تحليلاً مفصلاً لها[٥٦]، بما في ذلك البخت والاتفاق، وبالرغم من تركيزه على مبدأ السببية في عالم الطبيعة، إلا أنه ربط ذلك أيضاً بالعلة الأولى «وترتقي العلل كلها إليه، إذ هو غاية الموجودات جميعاً من حيث إنه معشوق ومعقول، وبذلك ترجع العلل المادية والفاعلية والصورية إلى العلة الغائية، أي العلة الأولى المطلقة، وهو الباري عز وجل»[٥٧]، وقد قدمنا نقد الغزالي لأصحاب هذا الاتجاه، وكان على **ابن رشد** أن يقدم دفاعاً عن مبدأ السببية يرد فيه على نظرية العادة الأشعرية.

بيّن ابن رشد أنّ كل موجود له طبيعة وفعل يخصه لأنه «لو لم يكن لموجود موجود فعل يخصه، لم يكن له طبيعة تخصه... لم كان له اسم يخصه، ولا حد، وكانت الأشياء كلها شيئاً واحداً ولا شيئاً واحداً.. وإذا ارتفعت طبيعة الواحد ارتفعت طبيعة الموجود.. وإذا ارتفعت طبيعة الموجود، لزم العدم»[٥٨]، كما بيّن أنّ الموجودات المحدثة لها أربعة أسباب «فاعل ومادة وصورة وغاية»[٥٩]، والعقل يتميز بإدراكه «الوجودات بأسبابها وبه يفترق من سائر القوى المدركة، فمن رفع الأسباب رفع العقل»[٦٠]، كما أنّ رفض مبدأ السببية يؤدي إلى إبطال العلم «ومن يضع أنه ولا علم واحد ضروري يلزمه أن لا يكون قوله هذا ضرورياً»[٦١]، ويتناول ابن رشد فكرة العادة ويبين أنها «ملكة يكتسبها الفاعل توجب تكرار الفعل منه على الأكثر... وهذه العادة ليست شيئاً أكثر من فعل العقل الذي يقتضيه طبعه وبه صار العقل عقلاً»[٦٢]، وعندما يتناول موقف الغزالي من مقال النار والطين يبين أنه لم يقل أحد من الفلاسفة إنّ النار هي الفاعل الوحيد المطلق، «بل من قبل مبدأ من خارج هو شرط في وجود النار فضلاً عن إحراقها وإنما يختلفون في هذا المبدأ ما هو؟»[٦٣]، لقد أرجع ابن رشد مبدأ السببية إلى صورته الأرسطية، وقد قدّم شرحاً لهذا المبدأ في كتابه السماع الطبيعي، كما نجد أيضاً تعرضاً له في تلخيص كتاب البرهان[٦٤].

السببية عند الصوفية

تعتبر عقيدة الجبر «عقيدة الصوفية جميعاً على اختلاف مشاربهم ومنازعهم»[٦٥]، ويبدو أنّ المتصوفين الأوائل كانوا أقرب إلى الأشاعرة القائلين بالكسب «لأنهم أجمعوا أنّ لهم أفعالا واكتساباً على الحقيقة هم بها مثابون وعليها معاقبون»[٦٦]، لكن في مراحل متأخرة تحول التصوف إلى ممارسات ونظريات. ويبدو أنهم أخذوا جميعاً بالجبر، وهذا يعني أنهم يقبلون مبدأ السببية من حيث الأساس القائل بأن لكل حادثة سبباً، لكنهم يعتبرون «الله» المسبب الوحيد، وقد قدم بعض فلاسفة الصوفية نظريات متكاملة تظهر فيها هذه النزعة مثل **السهروردي، صاحب الفلسفة الإشراقية**، الذي رفض «الفكرة الأرسطية التي تقرر أنّ الصورة علة صورية للهيولي، وأنّ الهيولي علة مادية للصورة»[٦٧]، واعتبر التغيرات التي تحدث في الطبيعة «تقوم على مبدأ الحركة والتي تفسر باتصالها المباشر أو غير المباشر بالنور الأول»[٦٨]، وهو لا يرفض أن كل معلول لا بدّ له من علة. لكن العلة هنا خارجية «لأن كل واحد من الكون والفساد والتركيب من البسائط لا بدّ له من علة حادثة، والحوادث إنما تكون من حركات الأفلاك»[٦٩]، فالعلة في الأفلاك «والإشراق هو سبب الحركة»[٧٠]، لأن العلة في حركات الأفلاك النور المجرد مع النور السائح..»[٧١]، بل ويقرر السهروردي أنه «لا يلزم من دوام الشيء مع الشيء مساواتها وعدم أولوية أحدهما بالعلة والآخر بالمعلولية»[٧٢]، وأخذ المتصوفة، بالكرامات يؤكد حقيقة أكيدة وهي أن التلازم بين العلة والمعلول ليس ضرورياً، فالكرامة تقع بخلاف المعروف، وهناك أسباب طبيعية «تحدث انفعالات وأحوالا للنفس، تثير العجب لغرابتها بدرجات متفاوتة، وفي جميع هذه الأمور تشاهد كيف أن بعض القوى أو الطاقات النفسية تحدث داخل وخارج الشخص آثاراً فيزيائية خارقة للطبيعة. والله خالق كل شيء وسببه الفاعل الوحيد، يستخدم مثل هذه الملكات أو المواهب النفسية المشتركة بين النبي والولي والرجل العادي وسائل ومناسبات لتحقيق المعجزة والكرامة»[٧٣]، وقد أجمع المتصوفة على «إثبات كرامات الأولياء»[٧٤].

السببية عند العلماء

يرى **جابر بن حيان** «أنّ التعلق المأخوذ من جري العادة فإنه ليس فيه علم يقين واجب اضطراري برهاني أصلاً بل علم إقناعي يبلغ إلى أن يكون أحرى وأولى وأجدر لا غير»[٧٥]، وهذا يعني أولا أنّ التلازم بين العلة والمعلول ليس علاقة ضرورية في طبيعة الأشياء، وإنما هذا التلازم يقوم على العادة، وثانياً أن العلم القائم على هذه العادة ليس برهانياً، وإنما هو علم إقناعي احتمالي، وبذا يميز بين القياس والاستقراء، ثم نجده يبين أن العلم القائم على العادة يتفاوت بين القوة والضعف «بحسب كثرة النظائر وقلتها وليس في هذا الباب علم يقين وواجب، وإنما وقع فيه تعلق واستشهاد بالشاهد على الغائب، لما في النفس من الظن والحسبان، فإن الأمور ينبغي أن تجري على نظام ومشابهة ومماثلة»[٧٦]، ويعم هذا الحكم «فليس لأحد أن يدّعي بحق أنه ليس في الغائب إلا مثل ما شاهد أو في الماضي والمستقبل إلا مثل ما في الآن»[٧٧]. فهل الاعتماد على العادة يؤدي «إلى إنكار العلية الأرسطاليسية»؟[٧٨]. إنّ هذه القضية تعتمد على بنائه الفلسفي الكامل،



★ الرازي ★ ★ ابن سينا ★ ★ ابن خلدون ★

فهو يقيم فلسفته على عدد من القواعد مثل « إنّ الأشياء لا تخلو من أن تكون قديمة أو محدثة »[٧٩] ، ثم نجده يبين بعض المقدمات التي ينبغي أن يعرفها الإنسان مثل « وينبغي أن تعلم بالضرورة أنّ العلة قبل المعلول بالذات ، وأنه لا يمكن أن يكون ذات « ما لا يكون لا علة ولا معلول . . . »[٨٠] ، وبذا فإن جابر على المستوى الفلسفي يأخذ بالسببية « التي يكشف عنها التحليل العقلي ، فالسببية عنده هي سببية الكون ، أو هي سببية المحايثة ، هي السببية التي لا تجعل تلاصق السبب والمسبب أمراً عارضاً قد يكون ، بل تجعله أمراً ضرورياً محتوماً »[٨١] ، فهناك إذن مجالان للسببية عند جابر ، على المستوى الفلسفي يأخذ بالسببية ، والعلم القائم هنا برهاني عقلاني ، ولكن العلم القائم على التجربة يعتمد على العادة فهو احتمالي ، والحقيقة تتأسس قيمتها على المطابقة بين هذين العلمين « وهذا لا يكون إلا بالعيان البتة وبإقامة البرهان الذي ينحل للكل وإقامة البرهان لا يكون إلا بالعيان »[٨٢] ، ويبدو أنّ هذا الاتجاه قد سار عليه معظم علماء المسلمين . **فابن الهيثم** أيضاً يأخذ بالاستقراء « ويبتدئ في البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار ، وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس . . . »[٨٣] ، وهو لا يقنع بالعادة ولم يبرهن عليها « وهذه المعاني مشهورة عند أصحاب التعاليم مقرون بها بنية مستخرجة بالبراهين مصححة بالاستقراء »[٨٤] ، وهو يأخذ بنظام العلل « وإن كان انكساف صور وسطه لعلة من العلل . . . »[٨٥] ، ونجد لديه أيضاً الجمع بين المنهجين الاستنباطي والاستقرائي ، كما عند جابر بن حيان »[٨٦] .

وعلى هذا الحس أيضاً يُنشئ « **ابن خلدون** » علم التاريخ والعمران ، ويذهب إلى أنّ « الفكر يدرك الترتيب بين الحوادث بالطبع أو بالوضع ، فإذا قصد إيجاد شيء من الأشياء فلأجل الترتيب بين الحوادث لا بدّ من التفطن بسببه أو علته أو شرطه ، وهي على الجملة مبادئه »[٨٧] ، بل وعلى قدر حصول الأسباب والمسببات في الفكر مرتبة تكون إنسانيته »[٨٨] ، لمعرفة « الأسباب والمسببات بالطبع »[٨٩] . وهذا يعني أن ابن خلدون يرى مبدأ السببية وكأنه من مبادئ الفكر والعقل .

الخاتمة

تتبعنا في هذا البحث مفهوم السببية عند مفكري الإسلام وذلك في مجال الطبيعة ، وقد لاحظنا أنّ هناك قبولا عاماً للمبدأ من حيث أنّ لكل حادثة سبباً ، لكنهم يختلفون في الأسباب القريبة . فقد ذهبت طائفة إلى اعتبار أنّ الله هو المسؤول المباشر عن الأسباب القريبة والبعيدة ، وأنكرت العلاقة السببية بين الأشياء ، ولم تر فيها وجهاً ضرورياً ، بينما هناك طائفة أخرى اعترفت بالأسباب القريبة ومسبباتها في الوقت الذي اعترفت بأهمية الأثر الإلهي . وقد توصلت الفرق المختلفة إلى قضايا هامة ترتبط بالسببية ، وفي ذلك تتجلى أصالة البحوث الأصولية .

فالأصوليون تمكنوا من رصد العديد من المسائل التي سبقوا بها « جون ستيوارت مل » وخصوصاً القواعد المنطقية الأربعة . وعموماً إن الاختلافات الناجمة هي بصورة أو بأخرى نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك . ويمكن اعتبار هذا المحور مؤشراً في دراسة العقلانية في الفكر الإسلامي . وتبقى هذه الدراسة موجزة لم تتعد مفهوم السببية ، لذا نأمل التماس العذر لنا إذا أخطأنا فكلنا خطاؤون .

الهوامش

(١ ، ٢) محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي ، أرسطو والمدارس المتأخرة ، بيروت : دار النهضة العربية ، ط٤ ، ١٩٧٦م ، ص٥٧ .

(٣) م ، س ، ص٨٥ .

(٤) أرسطو ، الطبيعة ، ترجمة إسحق بن حنين ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص١٢٦ .

(٥) لأن الرواقية أعطت مجالا كبيراً للقدر ، انظر في ذلك : شارلز فرلز ، الفلسفة اليونانية ، ترجمة تيسير شيخ الأرض ، بيروت : دار الأنوار ، ط١ ، ١٩٦٨م ، ص٢١٨ ـ ٢٢٠ .

(٦) يسلم أبيقور « بالحدوث الاتفاقي في أي بإمكان وجود معلول بدون علة » [محمد علي أبوريان ، م ، س ، ٦٤ .

(٧) أكد « انا سيداموس » أن علاقة العلية لا يمكن تصور وجودها بين الأجسام أو بين العقول والأجسام معاً » [أبوريان ، م ، س ، ٣٠٧] ، ويرى أبوريان أنّ هيوم في نقده للعلية اعتمد عليه ، فهل اعتمد الغزالي عليه أيضاً ؟

(٨) يقول أفلوطين « وإذا ثبت من اتفاق أفاضل الفلاسفة أن علل العالم القديمة البادية أربعة وهي الهيولي والصورة والعلّة الفاعلة والتمام ، فقد وجب النظر فيها وفي الأعراض » . [الميمر الأول من كتاب القاسوعات ، نشره الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه أفلوطين عند العرب ، الكويت : وكالة المطبوعات ، ط٣ ، ١٩٧٧م ، ص ٤ .

(٩) محمد علي أبوريان ، م ، س ، ص٣٢٩ .

(١٠) انظر في ذلك :

عبد الرحمن بدوي ، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، بيروت : دار القلم ، ط٤ ، ١٩٨٠م .

علي سامي النشار ، نشوء الفكر الفلسفي في الإسلام ، الجزء الأول ، القاهرة : دار المعارف ، ط٨ ، ١٩٧٨م .

(١١) الشهرستاني ، الملل والنحل ، بيروت : دار المعرفة ، ط٢ ، ١٩٧٥م ، جـ١ ، ص ٨٥ .

(١٢) سنرجئ الحديث عنهم إلى مكان لاحق .

(١٣) أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط٣ ، ب ، ت ، ص٢٧٩ .

(١٤) فخر الدين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ط١ ، ١٩٧٨م ، ص١٠٣ .

(١٥) أورد الأشعري في مقالاته أربعة معاني للتولد : « فقال لبعضهم هو الفعل الذي يكون بسبب مني ويحل في غيري ، وقال بعضهم هو الفعل الذي أوجبت سببه فخرج من أن يمكنني تركه وقد أفعله في نفسي وأفعله في غيري ، وقال بعضهم : هو الفعل الثالث الذي يلي مرادي مثل الألم الذي يلي الغربة ومثل الذهاب الذي يلي الدفعة ، وقال الإسكافي : كل فعل يتهيأ وقوعه على

الخطأ دون القصد إليه والإرادة له»[٤٠٨] .

(١٦) الخياط، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، بيروت : المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٧م، ص ٦١ .

(١٧) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف، جـ٩، ب، ت، ص ٣٧ .

(١٨) محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٧٢م، ص ١٥٥ .

(١٩) أبو رشيد النيسابوري، المسائل في الخلاف، بيروت : معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٧٩م، ص ٥٥

(٢٠) م، س، ص ٥٦ .

(٢١) م، س، ص ١٢٩ .

(٢٢) م، س، ص ١٤١ .

(٢٣) م، س، ص ٦٩ .

(٢٤) القاضي عبد الجبار، المغني، جـ٨، ص ٤٦، نقلاً عن : محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ص ١٥٨ .

(٢٥) هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، بيروت : منشورات عويدات، ط٢، ١٩٧٧م، جـ١، ص ١٨٦ .

(٢٦) محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة حرية الإنسان، ص ٣٩، وانظر أيضاً دفاع النشار عن هذه القضية :

علي سامي النشار، نشوء الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ١، ط٩، ص ٣٦٦ .

(٢٧) م، س، ١٥١ .

(٢٨) الباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٤٧م، ص ٥٠ .

(٢٩) م، س، ٥٤ .

(٣٠) م، س، ٥٨ .

(٣١) انظر مناقشته الكاملة لفعل الطباع في الصفحات ٥٢ ــ ٦١ .

(٣٢) الغزالي، تهافت الفلسفة، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة : دار المعارف، ط٥، ١٩٧٢م، ص ٢٣٩ .

(٣٣) م، س، ٢٣٩ .

(٣٤) م، س، ٢٤٠ .

(٣٥) م، س، ٢٤٥ .

(٣٦) يقول الغزالي «إنما نعني بالعلة في الشرعيات .... » [المستصفى، جـ٢، ٢٣٠] . وفسرها صاحب مسلم الثبوت «في العلة وهي ههنا ما .... » [المستصفى، جـ٢، ٢٦٠] . وأورد تفصيلها بدقة صاحب فواتح الرحموت «إنما قيد به إشارة إلى أنها تطلق في غير هذا الفن على معنى آخر» [المستصفى، جـ٢، ٢٦٠ .

(٣٧) الغزالي، المستصفى، جـ٢، ٢٣٠، وقد شرحها صاحب مسلم الثبوت بقوله «ما شرع الحكم عنده تحصيلاً للمصلحة وذلك مبني على أنّ الأحكام معللة بمصالح العباد» [٢٦٠] .

(٣٨) ابن قدامة، روضة الناظر وجنة المناظر، ص ١٤٦، وهو من الفقهاء الحنابلة .

(٣٩) أبو البقاء، الكليات، جـ٣، ٢٢١، ويضيف أبو البقاء «السبب مايتوصل به إلى الحكم من غير أن يثبت به والعلة مايثبت الحكم بها .... وكل فعل يثبت به الحكم بعد وجوده بأزمنة مقصورة غير مستند فهو سبب قد صار علّة كالتدبير والاستيلاء» ٢٢٢ .

(٤٠) أبو البقاء، الكليات، جـ٣، ص ٢٢٠ .

(٤١) الغزالي، المستصفى، جـ٢، ص ٢٣٠ .

(٤٢) انظر : محمد الخضري، أصول الفقه، ص ٣١٨ ــ ٣٢٤، فقد أحصى ثمانية شروط .

(٤٣) علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص ٩٤، وهذا النص مأخوذ من : الزركشي : البحر المحيط، جـ١، ص ١٥٥ .

(٤٤) م، س، ص ٩٥ .

(٤٥) م، س، ص ٩٥ .

(٤٦) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى علم الأصول، ص ٢١٠ .

(٤٧) علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص ٩٦ .

(٤٨) م، س، ص ٩٧ .

(٤٩) م، س، ص ٩٩ .

(٥٠) م، س، ص ١٠١ .

(٥١) م، س، ص ١٠٤ .

(٥٢) الكندي، رسالة الكندي في حدود الأشياء ورسومها، ضمن رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبوريدة، القاهرة : دار الفكر العربي، ١٥٠، ص ١٦٩ .

(٥٣) م، س، ص ١٦٥ .

(٥٤) الكندي، رسالة الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد، ضمن رسائل الكندي الفلسفية، ص ٢٣٦ .

(٥٥) م، س، ص ٢١٣ .

(٥٦) ابن سينا، الشفاء، السماع الطبيعي (جـ١)، تحقيق سعيد زايد، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للنشر، ١٩٨٣م، ص ٤٨ ــ ٧٧ .

(٥٧) ابن سينا، الإشارات، جـ٣، ص ٣٠، نقلاً عن : محمد علي أبوريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، بيروت : دار النهضة العربية، ١٩٧٦م، ص ٢٣٥ .

(٥٨) ابن رشد، تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة : دار المعارف، جـ٢، ط٢، ١٩٧١م، ص ٧٨٣ .

(٥٩) م، س، ص ٧٨٤ .

(٦٠) م، س، ص ٧٨٥ .

(٦١) م، س، ص ٧٨٥ .

(٦٢) م، س، ص ٧٨٦ .

(٦٣) م، س، ص ٧٩٣ .

(٦٤) ابن رشد، تلخيص كتاب البرهان، تحقيق محمود قاسم، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م، ص ١٥٧ ــ ١٦٣ .

(٦٥) علي سامي النشار، نشوء الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ٣، ص ٢٨٦ .

(٦٦) الكلاباذيي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص ٦٤ .

(٦٧) محمد علي أبوريان، أصول الفلسفة الإشراقية، ص ٢٤٩ .

(٦٨) م، س، ص ٢٥٧ .

(٦٩) م، س، ص ٢٧١ .

(٧٠) م، س، ص ٢٧٢ .

(٧١) م، س، ص ٢٧٣ .

(٧٢) م، س، ص ٢٥٧ .

(٧٣) أسيفد بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص ١٩٦ .

(٧٤) الكلاباذيي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص ٨٧ .

(٧٥) جابر بن حيان، كتاب التصريف، ص ٤١٨، ضمن كتاب : مختار رسائل جابر بن حيان، تحقيق بول كراوس، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٥٤هـ .

(٧٦) م، س، ص ٤١٩ .

(٧٧) م، س، ص ٤٢٠ .

(٧٨) علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص ٢٦٧ .

(٧٩) جابر بن حيان، المقالة الأولى من كتاب الخواص الكبير، ص ٢٣٤ ضمن الرسائل .

(٨٠) م، س، ص ٢٣٦ .

(٨١) زكي نجيب محمود، جابر بن حيان، ص ٧٩ .

(٨٢) م، س، ص ٣٢ .

(٨٣) مصطفى نظيف، محاضرات ابن الهيثم التذكارية، المحاضرة الأولى، ص ٢٢، القاهرة، مطبعة فتح الله إلياس نوري وأولاده بمصر، ص ١٩٣٩م .

(٨٤) الحسن بن الهيثم، مجموع الرسائل، رسالة ضوء القمر، ص ١٢، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ببلدة حيدر آباد الدكن، ١٣٥٧هـ، الطبعة الأولى .

(٨٥) م، س، ص ٤٦ .

(٨٦) لاحظ تطبيق هذا المنهج في رسالته في الضوء وكذلك المرايا المحرقة بالقطوع .

(٨٧) ابن خلدون، المقدمة، القاهرة، طبعة دار الشعب، بدون تاريخ، ص ٣٩١ .

(٨٨) م، س، ص ٣٩٢ .

(٨٩) م، س، ص ٣٩٢ .

التفسير النفسي للإبداع الفني والفلسفي والاجتماعي

بقلم: حسن حسن سليمان

يكتنف شخصية الفنان كثير من الغموض ، وأمام هذا الغموض ذهب الباحثون يفسرون هذه الشخصية بما هو أغمض عندما افترضوا وجود قوى روحية سموها الجن أو الشياطين تتصل بشخصية الفنان وتساندها . وذاع بين العرب منذ الجاهلية أن لكل شاعر شيطاناً يلهمه الشعر . ومن هنا جاء وصف الشاعر بالجنون ، لا على أنه مريض عقلياً ، ولكن على أنه يتمتع بقدرة فذة ليست لبشر .

وقريب من هذا القول ما ذهب إليه الباحثون منذ **أفلاطون** وعبر العصور إلى الباحثين المحدثين شرقيين وغربيين فقد فسروا الإبداع بالإلهام . والإلهام كما يصفه « **لاكروا** » صدمة كالانفعال ينتقل فيها الفنان إلى حالة وجدانية ينساب في الذهن معها سيل فجائي من الأفكار والصور . ويصفه « **فيلكس كلاي F. Clay** » بأنه لحظات تنتاب الفنان مصحوبة بأزمات انفعالية بعيدة عن العمليات العادية للعقل والشعور وحكم الإرادة ، وسيطرتها تأتي غير متوقعة كالنوم ، والأحلام . وقال « **بلدوين Baldwin** » : « الإلهام إشراق الذهن أو تنبهه الذي يُنظر إليه كأنه آت مما وراء الطبيعة » . وعلى هذا الأساس تكون عملية الإبداع كالحلم ، ويكون الفنان فيها متلقياً مسلوب الإرادة .

والقول بالإلهام لا يكفي لتفسير عملية الإبداع ، إذ تبقى هناك أيضاً دوافع الفنان وأهدافه وارتباطها بالواقع الاجتماعي والحواجز والعقبات التي يتحتم عليه اجتيازها ليصل إلى الهدف ، ثم يأتي بعد ذلك الإطار الذي يثبت فيه أقرب اللحظات .

ويرى « **برجسون** » أن جوهر الإبداع هو الانفعال الذي هو هزة عاطفية في النفس . وقد فرّق بين نوعين من الانفعال : **سطحي :** وهو العاطفة التي تلي صورة أو فكرة متخيلة فتكون الحالة الانفعالية ناتجة عن حالة عقلية . **وعميق :** وهو لا ينجم عن تصوّر ، بل هو نفسه ينبوعاً لعدة تصورات وهو وحده جوهر الإبداع ، وهو ينشأ عن اتحاد مباشر بين العبقري والموضوع الذي يشغله ، ويتبلور هذا الاتحاد في حدس .

وعيب هذا الرأي أنه لا يقيم وزناً لتاريخ الفن مع أن صلة الفنان بالتراث الفني ضرورية لتحديد عبقريته . كما أنه يلغي الصلة بين الفنان وواقعه الاجتماعي مع أن ظهور العبقري متوقف على ظهور علاقة بينه وبين مجتمعه ، ومع ذلك فقد يتعرض الشخص للانفعال العميق ، ولكن ظروف البيئة لا تتيح له أن يبتكر ، بل على العكس من ذلك تتيح له أن يدمر ويرتكب الجرائم ، فذوو الاستعدادات الخاصة بحاجة إلى تنظيم معيّن للبيئة الاجتماعية كيما ينتجوا ، وتساهم البيئة في تشكيل هذا الإنتاج .

وعادت فكرة جنون الشاعر من جديد في **القرن التاسع عشر الميلادي** ، ولكن على أنه جنون حقيقي ، أي حالة مَرَضيّة . فاستعمال الخيال عند أصحاب هذا الرأي ضَرْب من الجنون ، وقد ذهب هؤلاء إلى أن أول ما تتصف به حياة الفنان أنه **عُصابي** ولذلك كان محتوى عمله الفني عُصابياً ، أي أنه لا يرتبط بالواقع ارتباطاً صحيحاً .

البحوث النفسية

وهذا الرأي يوصلنا إلى **البحوث النفسية في تفسير عملية الإبداع الفني** . والباحثون في هذا المجال يرون أن علم النفس ، وهو دراسة للعمليات النفسية ، بإمكانه أن يدرس الأدب من حيث إن النفس البشرية هي الرحم الذي تتكون فيه شتى مبدعات العلم والفن . ولهذا فإن باستطاعة الدراسات السيكولوجية أن تفسر طريقة تكوّن العمل الفني وأن تكشف عن العوامل التي تجعل من شخص ما فناناً مبدعاً .

وأول من يلقانا من هؤلاء « **سيجمند فرويد** » زعيم مدرسة التحليل النفسي ، فقد فسر الإبداع بقوله بالتسامي أو التعويض التصعيدي على أساس من **نظرية الكبت** التي ابتدعها وحاول على ضوئها تعيين الأسباب اللاشعورية للسلوك . والكبت منع النزعات النفسية من السير في مسارها الطبيعي ، وهذا المنع لا يقضي عليها بل تبقى في اللاشعور متحفزة للظهور . أما **التصعيد** فهو تصريف الطاقة الغريزية نحو غايات قد تبدو غير ذات علاقة بالغريزة المصعّدة ولكنها في الواقع تنبع منها رأساً في ارتواء تعويضي . ومثله

التسامي : وهو استبدال الأهداف القريبة بأهداف أخرى أرفع منها شأناً من الناحية الاجتماعية .

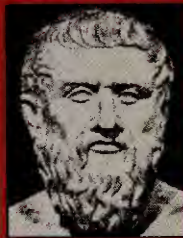
والفن عند فرويد تعويض تصعيدي عن غريزة مكبوتة ظلت بلا ارتواء بسبب عقبات في العالم الخارجي أو العالم الداخلي (أي بسبب ظروف خارجية أو أسباب نفسية) ، ولذلك فإن الحرمان والألم ينشطان الموهبة الفنية ، فبالإبداع الفني يعوّض الفنان نفسه عما حرمته الحياة ، فالحرمان يذكي الخيال والارتواء يضعفه ، والخيال الذي لا بد منه للإبداع الفني لا يمكن أن يتغذى إلا من الحرمان في الواقع . إن فقدان التلاؤم مع العالم الخارجي يولد الانطوائية التي تجعل صاحبها يبني لنفسه عالماً خاصاً أغنى كثيراً من الحياة الداخلية لكل إنسان ، والغنى الداخلي هو نقطة البداية في الفن وهو نتيجة الفقر الخارجي ، والملكات الفنية قد تأفل متى أصبح صاحبها في يسر ورخاء ، أو متى شفي من اضطراباته النفسية وتلاءم مع العالم الخارجي . ولذلك كان الشبه كبيراً بين الفن والحلم : فبينما يتصل الإنسان العادي باللاشعور في أثناء النوم بالأحلام ، فإن الشاعر مثلاً ، يستطيع بالإضافة إلى ذلك أن يتصل باللاشعور في أثناء اليقظة بما يسمى **« أحلام اليقظة »** . ويعتبر فرويد الحياة العاطفية بمنزلة الصدارة من كل نشاط فني ، وما **الشعر والموسيقى والتصوير والنحت** كما يراها إلا أشكال مثالية للحب الذي هو المخصب الفذ للإبداع الفني . والحب المخصب للإبداع الفني هو الحب الذي لا يرتوي . وهو يرى أن نفس الأديب أو الفنان تموج بالعُقد ، وعلى رأسها **عقدة أوديب ، وعقدة إلكترا** ، وما أعماله الفنية إلا تعبير عن هذه العُقد .

وقد أثبتت البحوث النفسية التجريبية أن التسامي لا يؤدي إلى خفض التوتر النفسي الذي يعانيه الفنان إلا إذا أدى به إلى الهدف نفسه الذي كان يطلبه منذ البداية ، وهذا يُفقد التسامي معناه لأنه يشترط استبدال الهدف . ولذا لا يمكن الأخذ به لتفسير عملية الإبداع . والفنان حينما يستعمل خياله لا يهرب من واقعه ولا من الحقيقة ، ولكنه يلتمس الحقيقة في الخيال ، فالواقع والخيال وسيلتان لنقل الصراع الداخلي الذي يعاني منه . والحرمان لا يأتي بالإبداع ، فالمحرومون كثيرون ولا يُعوّضون عن حرمانهم بالإبداع الفني لأن الموهبة الفنية تنقصهم .

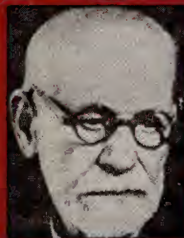
و « **يونج** » أحد أقطاب **مدرسة التحليل النفسي** ، إلا أنه شق لنفسه طريقاً يختلف بعض الشيء عن اتجاهات فرويد ، وقد قال **بالإسقاط في تفسير الإبداع الفني** ، أي إن الفنان يُسقط حيويته وأحاسيسه على مشاهد الطبيعة ويُسقط مضامين اللاشعور الجمعي في رموز تعبر عنه . والإسقاط عنده يعتمد على الحدس ، ولذا كانت صورة الفنان عنده شبيهة بصورته عند القائلين بالإلهام ، فالفنان شخص يُشرق عليه كل شيء في ومضة .

ويختلف يونج عن فرويد في إدراكه للاشعور ، فبينما يرى فرويد أن الحالات اللاشعورية تشمل النزعات والرغبات التي يكبتها الإنسان لا يعترف يونج بعملية الكبت ، بل يرى أن سلوك الإنسان في حياته إنما يخضع لأسلوب الحياة العادي الذي يضطر الإنسان إلى أن يهمل جانباً من أفكاره وذكرياته ليهتم بالجانب الآخر وما يهمل من الأفكار والذكريات هو ما يسمى **باللاشعور** . وهو يرى أن اللاشعور أيضاً يشتمل على نزعات وخبرات موروثة من الأجيال السابقة ، وقد أطلق عليهما اسم : **اللاشعور الجمعي** ، وهو وحده مصدر الإبداع في روائع الفن ، وعلق مثل هذا الإبداع على الأزمات الاجتماعية الحادة وتحرُّك اللاشعور الجمعي لإعادة الاتزان . واللاشعور الجمعي متحد لدى الناس جميعاً مهما اختلفت جنسياتهم ، ولذا كانت الروائع الفنية لا وطن لها لأنها تنبع من معين واحد هو اللاشعور الجمعي ، فإذا غاص الفنان في هذه الأعماق فقد بلغ قلب الإنسانية . **ويشمل اللاشعور الجمعي كل القيم والعادات والتقاليد الموروثة .**

وليس للعصاب ، عند يونج أثر في الإبداع الفني ، فالفنان حين يبدع يكون في حالة اليقظة والصحة النفسية الواعية بكل ما في الواقع من حقيقة . هو يرى أن عدم التلاؤم مع الحياة هو نتيجة للإبداع الفني وليس سبباً له ، إذ إن حياة الفنان مليئة بضروب الصراع النفسي ، ففي نفسه قوتان متحاربتان : نزوعه البشري إلى السعادة والرضا والطمأنينة في الحياة ، ونزوعه العارم إلى الإبداع الفني الذي قد يبلغ من استبداده به أن يقهر كل رغباته الشخصية ، فإذا كانت حياة بعض الفنانين حافلة بشتى مظاهر الخيبة والفشل وعدم الرضا ، فإن ذلك يرجع إلى نقص الجانب الشخصي في حياتهم العادية ؛ وهذا هو الثمن الذي يدفعه الفنان لموهبته الفنية التي



★ أفلاطون ★



★ فرويد ★

تسيطر على جهازه النفسي كله ، وتحتكره لنفسها ولا تدع لغيرها إلا النزر اليسير . والإبداع الفني يمتص شتى الحوافز البشرية مما يجعل الفنان مضطرباً قلقاً عصابياً ، فجهدُ الإبداع الفني هو علة الإرهاق العصبي لدى الفنان وليس العكس صحيحاً .

وتدفع إلى العمل الفني عند يونج الأسباب ذاتها التي تدفع إلى الحلم ، وهو يحقق من الرغبات المكبوتة في اللاشعور ما يحققه الحلم ، ويتخذ من الرموز والصور ما ينفس عن هذه الرغبات ، وهذا التنفيس هو الذي يُحدث المتعة في نفس الأديب والقارئ معاً . والفن عنده نوع من الدفع الداخلي الذي يستولي على الفنان ويجعل منه أداة له ، وليس الفنان شخصاً ذا إرادة حرة يسعى إلى رغباته الخاصة ، وإنما هو شخص يسمح للفن أن يحقق أهدافه من خلاله ، وهذا يتفق مع مذهبه في الإسقاط الذي يعتمد عنده على الحدس ويقترب به من القائلين بالإلهام .

و « **آدلر** » أحد الذين عملوا مع فرويد في أول الأمر ثم انشق عنه مكوّناً مدرسة « **علم النفس الفردي** » وهو يرى أن أهم ما في الحياة الشعورية هو **الشعور بالنقص** ، والعمل الدائم على تعويضه ، وأن الفرد يقوم بذلك بأسلوب معيّن تتحدد تبعاً له شخصيته ، وهو **يسلك إحدى طرق ثلاث لمواجهة شعوره بالنقص** : فإما أن يحاول تقوية النواحي التي يشعر بالنقص بالنسبة إليها ، أو يتجه إلى نواح أخرى فيقويها ويتفوق فيها ، فالتلميذ الذي يشعر بنقص جسمي لا يؤهله للتفوق في مجالات النشاط الرياضي قد يعوّض هذا النقص في مجال آخر ، فيتفوق في دراسته مثلاً وهكذا . وقد يفشل الفرد بالقيام بتعويض ناجح فيلجأ إلى **عملية تعويض** تخرج عن الحدود المألوفة والمقبولة في مجتمعه ، فيلجأ التلميذ الفاشل هنا إلى القحة والخروج على النظام ونحو ذلك من الانحرافات ومظاهر السلوك غير المرغوبة . وقد يتكوّن في حالة الفشل مرض عصبي يخلص الفرد من عملية الكفاح ويعفيه من لوم نفسه ولوم الناس له ، فقد يصاب التلميذ الفاشل في هذه الحالة بصداع يلزمه في الرأس يجعله غير قادر على الاستذكار فيجد لنفسه عذراً أمام نفسه وأمام الناس ؛ وتكون أعراض هذا المرض نفسية أكثر منها عضوية .

والإبداع الفني والنبوغ عند آدلر مدفوعان بالشعور بالنقص وما يولده من صراع نفسي لا سبيل إلى القضاء عليه إلا بالتعويض .

وقد ربط « **كرتشمر Kretschmer** » بين **العبقرية والمرض النفسي** على أساس التشابه بين الظواهر السلوكية لدى العبقري والعصابي . . ولكن هذا لا يفسر العبقرية وإنما يُبيّن أن ضروب المرض النفسي ولا سيما تلك التي لا تزال على الحدود بين الصحة والمرض منتشرة بين العباقرة . ولو كان المرض النفسي سبب العبقرية للزم القول إن مرض القلب سبب النبوغ في الرياضة لأن معظم الرياضيين مصابون بمرض القلب .

فالإلهام والتسامي والإسقاط والحدس والشعور بالنقص جميعها لا تقيم للتجربة العلمية وزناً وكلها مصبوغة بصبغة تأملية باعدت بينها وبين العملية الفنية ، ومن ثم فهي كلها ناقصة في تفسير عملية الإبداع الفني .

البحوث الاجتماعية

أما الباحثون الاجتماعيون فيرون أن الصراع الذي تتعرض له الشخصية بين أهدافها الخاصة والهدف المشترك للجماعة يمكن أن يكون منشأ العبقرية ، كما يمكن أن يكون منشأ الجنون أو منشأ أية ظاهرة تدل على سوء التكيف الاجتماعي . فحياة الفنان زاخرة بضروب من الصراعات لا يحسن التغلب عليها إلا في ميدان التعبير الفني .

ويرى « **ثاولس Thouless** » أن الخطوة الأولى في تعليل الإبداع الفني هي الكشف عما شهده الفنان من نقص في بيئته ، وكيف دفعه شعوره بهذا النقص إلى تفقُّد الحل الذي يرضيه . فالإبداع نشاط اجتماعي يوقظ به الفنان بعض استجابات معيَّنة فيمن يشهد فنه .

أما « **كودول Caufwell** » فقد ذهب إلى أن حجر الزاوية في فهم الإبداع ، هو تتبع عملية التغيير التي يمارسها الفنان أو العالِم بالنسبة لأبناء المجتمع . والفرق بينهما أن العالِم يقصد إلى التغيير في العالَم المحسوس ، بينما يقصد الفنان إلى التغيير في وجدان أبناء المجتمع . . والذي يُيسر لهذا التغيير أن يأخذ مجراه ، وجود تشابه بين الأحاسيس لدى أفراد المجتمع الواحد .

ونتيجة لدراسة أجريت لفئتين من الشبان

التفسير النفسي للإبداع الفني والفلسفي والاجتماعي

المبتكرين وغير المبتكرين تَبيَّن أن المبتكرين قضوا طفولتهم في شيء من التباعد عن الأبوين بخاصة وعن الراشدين بعامة ، وأنهم كانوا مهتمين بضروب النشاط الانفرادي ، في حين أن الآخرين كانوا مشاركين في النشاط الاجتماعي .

فالبحث عن التوافق الاجتماعي هو الذي يدفع العبقري إلى الإبداع لشدة حاجته إلى مجتمعه ، ومن هنا كان حرص الفنان ، أديباً كان أم شاعراً أم رساماً ، على جمهوره .

وقديماً أكد « **أفلاطون** » في جمهوريته على **وظيفة الشعر الاجتماعية** ، لذلك نفى منها الشعراء الغنائيين وأبقى الحماسيين منهم ، وحرّم التعامل بأشعار **هوميروس** لأن فيها من الحرية ما قد يؤدي إلى إصابة المجتمع بالانهيار .

وقد ذهب « **أرسطو** » أيضاً إلى أن الشعر وظيفة قائمة فعلاً في المجال الاجتماعي مهمتها صمّام الأمان فيما يتعلق بالانفعالات مما يؤدي إلى التكامل الاجتماعي .

ومن المحدثين تحدث « **تين Tain** » عن مدى اعتماد الفنان على مجتمعه ، ويكون العون الذي يتلقاه هائلاً بقدر ما يكون معبِّراً عن روح عصره ، وبهذا القدر نفسه يتحدد حظه من العبقرية . فالعمل الفني فردي واجتماعي معاً ، فهو تنظيم لتجارب لم تقع إلا لهذا الفنان في نطاق الإطار ذي الأصول الاجتماعية .

وصفوة القول إن **دعوة الفن للفن** أو لأي غرض آخر دعوة خاطئة لدى الباحثين الاجتماعيين ، **والفن عندهم للحياة الاجتماعية فقط.**

ما الإبداع ؟

يختلف الناس في **الذكاء** تبعاً لاختلاف التكوين العضوي والوراثة والعوامل الاجتماعية والثقافية ، ويقع العباقرة المبدعون خارج حدود التوزع الطبيعي وليسوا من يملكون نسبة ذكائية عالية جداً ، فما تقيسه اختبارات الذكاء هو القابليات اللازمة للإبداع الفني ، والقابلية ، وإن كانت شرطاً ضرورياً للإبداع إلا أنها ليست الشرط الكافي .

فالذكاء وحده لا يفسر العبقرية ، ولا بد للعبقري ــ إلى جانب الذكاء ــ من أن يتمتع بقدرات تتمثل في نشاط الوظائف النفسية المتمثلة في مجموعة الوظائف الخاصة بالإدراك والمعرفة ، ومجموعة الوظائف الإنتاجية وهي تتألف من ثلاثة عناصر هي : **الأصالة** وتعني الميل إلى التجديد ، **والطلاقة** وتعني سرعة استدعاء أي عدد من الألفاظ والأفكار والتخيلات ، **والمرونة** وتعني القدرة على تغيير النظرة إلى الأمور والمشكلات . يضاف إلى ذلك **وظيفة التقويم** ، وهي القدرة على الحكم على قيمة الشيء من حيث ملاءمته لأن يوضع مع شيء آخر أو يُسلك في سياق معيّن .

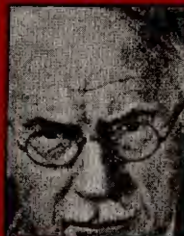
فالعبقرية ذكاء ونشاط نفسي ، أي انفعال حاد وذكاء متفوق . يضاف إلى ذلك أن للعبقري منطقاً خاصاً في تناول الأمور وفهمها وعرضها يغاير منطق الناس العادي .

وللأحداث الواقعية والمشاهدات صلة بما يبدعه الفنان وإن كان لا يستطيع أن يقرر أي أجزاء الواقع سوف يطفو في لحظات الإبداع وهي تشبه الصلة بين الحياة اليومية والأحلام . ولا بد من جو خاص يساعد على الاستغراق في الموضوع ، كالمكان الخالي والسكون الشامل والعزلة التي لا يُشترط فيها الانقطاع عن رؤية الناس ، ولكنها تعني الانقطاع عن مشاركتهم حياتهم . والفنان لا يقصد إلى الإبداع على أساس مخطط ثابت موضوع من قبل ، فسلوكه الفني يكون موجهاً بفعل قوى أخرى موجودة في المجال .

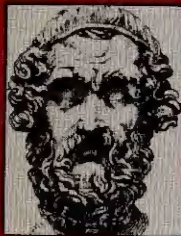
وهناك نوعان من التجارب الإبداعية : نوع هو ابن ساعته أو ليلته ويتمثل في الآثار الفنية التي يفيض فيها الخاطر على إثر حادث يهز النفس وهو قريب من الإلهام ، ونوع آخر تعيش فكرته في نفس الفنان فترة طويلة قد تبلغ سنوات قبل أن يتمكن من أدائها أداءً فنياً بعد محاولات جاهدة تلتقي بالعقبات التي يحاول التغلب عليها .

ويكتب الأديب رغبته في كسب معاشه أو حباً في الشهرة ، وقد يكتب حتى يستمتع بثمار عقله ، عندما يراها تشغل أذهان الآخرين ، أو ليستمتع بعملية الإبداع ذاتها التي يتخلص بها من وطأة الظروف على نفسه ، وقد تُحرك الفنان للإبداع الدوافع التي تُحركه في شتى نواحي الحياة ، كالخوف والحب والكراهية .





● يونج ●



● هوميروس ●

حروف الشوق

شعر: محمود مفلح

قرأتُ حروفاً خطّها الشوقُ عاتيا ... ففجّرْتَ في صحراءِ عمري السواقيا

أتتْني بها في غُرةِ الشهر «فيصلي» ... فما كانَ أغلاها وأغلى المُواتِيا

فأزهر شوقي بعد طولِ جفافِه ... وغرّد طيري بعد ما كان عاصيا

تُذكرني بالأهل من بعد غربةٍ؟ ... ومن قال إني قد نسيت الغواليا!؟

ومن قال إني قد تغرّبتُ جفوةً ... وأسلستُ للهجران عنكم قياديا

* * * *

إذا لاح برق الشام قبّلتُ ثغرها ... وضمّختُ في عطر الشآم القوافيا

وأسرجتُ من نار الفؤاد قصيدةً ... تُعانق أشجاريْ وأهلي وداريا

وأزهرَ في الأحداق فلٌّ ونرجس ... وهبَّ نسيم يلمسُ الجرح شافيا

فلستُ ورب «الغوطتيْن» وأهلِها ... بجافٍ ولكنّي أرى الدهرَ جافيا

إذا ضمّني ليلُ «الجنوبِ» أتيتكم ... ورفرف مني شوقٍ إليكم جناحيا

* * * *

فيا وجه أُمي هل إلى الدار عودةً ... وفي القلب إعصارٌ يهزّ الرواسيا!؟

وهل أبصر الفجر الحبيبَ مشعشَعاً ... وأسمعُ في الفجر الحبيب المثانيا

فكلُّ عطاش القفر قد لاح برقها ... ولكنني ما زلتُ في القفر صاديا

وكلُّ طيور الأرض ضمّتْ فراخَها ... وآبتْ إليها بعد هجر حوانيا

وعُشّي يا أماه ما زال نائياً ... وجرحي يا أماه ما زال كاويا

لئن كنتُ في «نجرانَ» أقتاتُ غربتي ... وأنسجُ بالصبر الجميل ردائيا

وأضحك والأحزان تترع ضحكتي ... ويعثر بعد السبق فيها جواديا

ويحسبني الناس الذين أُحبُهم ... خليًّا ولم يدروا الليالي الخواليا

فإن شعاع الفجر يغمر مقلتي ... وإنَّ بنات الفجر شدّت ركابيا



طائر أسطوري
العنقاء
في الأساطير والأدب والأمثال



★ عنقاء من البرونز ★

بقلم: إحسان جعفر

في اللغة والشعر

العنقاء أصلاً مؤنث الأعنق، فالكلمة عربية صميمة، يقول الأصمعي: «رجل أعنق: طويل العنق، ومعنق أيضاً، والأنثى عنقاء، ومعنقة طويلة العنق. قال الشاعر أبو كبير الهذلي:

عنقاء معنقة يكون أنيسها ... وُرق الحمام جميعها لم يؤكل»[1]

والعنقاءُ المغربُ، وعنقاءُ مغربٌ ومغربةٌ، وعنقاءُ مغربٍ: طائر خرافي موهوم، قال **ابن دريد**: «وعنقاءُ مغربٌ كلمة لا أصل لها، يقال: إنها طائر عظيم لا ترى إلا في الدهور، ثم كثر ذلك حتى سمّوا الداهية عنقاء مغرب! فتجعل صفة وعنقاء مغربٍ بالإضافة؛ قال الشاعر:

ولولا سُليمان الخليفة حلّقت ... به من يد الحجاج عنقاءُ مغربِ»[2]

وقال صاحب المحيط: «العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم»[3]، وقال **البستاني** في محيط المحيط: «طائر عظيم يبعد في طيرانه، قيل سميت العنقاء عنقاء لأنه كان في عنقها بياض كالطوق، وقيل لطول عنقها»[4]، وقال **الدميري** في حياة الحيوان: «هو طير غريب، يكون عند مغرب الشمس، يبيض بيضاً كالجبال...»[5]، وقال الجاحظ: الأمم كلها تضرب المثل بعنقاء في الشيء يُسمع ولا يُرى! كما قال **أبو نواس**:

وما خبره إلا كعنقاء مغرب ... تصوَّر في بسط الملوك وفي المثلْ

يحدّث عنها الناس من غير رؤية ... ترى صورة ما أن تمرّ وما تُحَلْ

والعرب إذا أخبرت عن هلاك شيء وبطلانه قالت: حلّقت به في الجو عنقاء مغرب؛ كما قال الكُمَيْت:

محاسنُ مِنْ دينٍ ودُنيا كأنّها ... بها حلّقتْ بالأمس عنقاءُ مغرب

طائر أسطوري
العنقاء

وصف القزويني للعنقاء

وتذخر كتب الأدب والأخبار والحيوان بحديث العنقاء ، فقد ذكرها **القزويني في « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات »** فقال :[٦] « أعظم الطيور جثة ، وأكبرها خلقة ، تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر ، كانت في قديم الزمان تخطف الناس من بيوتهم ، فتأذّوا منها ، إلى أنْ سلبت يوماً عروساً مجلوةً ، فدعا عليها حنظلة بن صفوان ، فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط تحت خط الاستواء » .

وذكر أن العنقاء تعمّر ألفاً وسبعمائة سنة ، وتبدأ بالتزاوج إذا أتى عليها خمسمائة سنة . . وعند طيرانها يسمع لأجنحتها دويّ كدويّ الرعد القاصف .

وصف الثعلبي

وذكر الثعلبي في **كتاب « العرائس »** : « انّ العنقاء كانتْ في كبر الجمل عظماً ، ووجهها وجه إنسان ، ويداها يدا إنسان ، وثدياها ثديا امرأة ، وأصابعها كذلك » ، وأضاف : « إنها كانت تسكن جبلاً مصعداً في السماء ميلاً ، تبيت فيه ، وهي كأعظم ما يكون الطير ، وفيها من كلّ لون ، وحدث أن انقضت على فتاة ، فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين ، فشكوا ذلك إلى **حنظلة بن صفوان** ، فدعا عليها قائلاً : اللهمّ خذها ، واقطع نسلها ، وسلط عليها آية تذهب بها ، فأصابتها صاعقة ، فاحترقت ، فلم يعد يرى لها أثر بعد ذلك ، فضربت بها العرب مثلاً في أشعارها وحكمها وأمثالها »[٧] .

في كتاب حياة الحيوان

وقد أطال الدميري في **كتابه « حياة الحيوان الكبرى »** في الكلام عن العنقاء فذكر ما تردده العرب من أساطير حولها ، ومما قاله : « إن العنقاء قد انقطع نسلها فلا توجد اليوم في الدنيا » ، ونقل : « إنّ الله تعالى خلق العنقاء في زمن موسى ، وكان لها أربعة أجنحة من كلّ جانب ، ووجه كوجه الإنسان وأعطاها من كلّ شيء قسطاً ، وخلق لها ذكراً مثلها . . . »[٨] ، وأضاف : « إن لها بطن كبطن الثور ، وعظام كعظام السبع » .

إلامَ ترمز العنقاء ؟!

والصوفية يكنون بالعنقاء عن الهيولى[٩] ، ويرمز بها إلى الرجل الرفيع المبتدع الذي لا يصحب أحداً ، وفي الأمثال يقولون حلّقت به عنقاء مغرب ؛ لمن يُئِس منه ، وكان الفاضل ينشد كثيراً :

وإذا السعادةُ لاحظتك عيونُها ... نَمْ فالمخاوفُ كُلُّهُنَّ أمان
واصطدْ بها العنقاء فهيَ حبالُهُ ... واقتدْ بها الجوزاء فهيَ عنان

أما قول **أبي العلاء المعري** :

أرى العنقاءَ تكبرُ أنْ تصادا ... فعاندْ مَنْ تطيقُ له عنادا
وظُنَّ بسائر الإخوانِ شرًّا ... ولا تأمَنْ على سرّ فؤادا
فلو خبّرتَهُمُ الجوزاء خُبْري ... لما طَلَعَتْ مخافةَ أنْ تُصادا
وكم عينٍ تؤمّل أنْ تراني ... وَتَفْقِدَ عند رؤيتي السُّوادا

فقد فسر هنا على أن مراد أبي العلاء بالعنقاء العُقاب ، لأنّ العُقاب قد تُسمى عنقاء مغرب لأنها تأتي من مكان بعيد .

عند الشعوب الأخرى

والعنقاء معروفة عند كثير من الأمم والشعوب في أساطير الأولين ، ولعلّ أقدم تصوير مزعوم لها هو ما وجد مرسوماً على **مقابر الفراعنة في مصر** ، وقد ألمع **أحمد كمال** في كتابه « بغية الطالبين » أنّ العنقاء ربما كانت تسمى في اللغة المصرية القديمة « ساج » ؛ وقال نقلاً عن ماسبر في كتابه « القراءات التاريخية » ما ترجمته : « زعم المصريون القدماء أن الصحراء هي مرعى لجميع الحيوانات الخرافية الضارية التي تصادفها القبائل كالصنف الخرافي المعروف بالعنقاء التي جسمها جسم ابن آوى ، ورأسها رأس نسر ، ولها سبعة أبزاز »[١٠] . وتحدث عن العنقاء **أرسطوطاليس** ، فقد جاء على ذكرها في **كتاب « النعوت »** ، ونُقل عنه قوله : إنها قد تصاد ، ويُصنع من مخالبها أقداح عظام للشرب ، وأورد حيلة خيالية لصيدها هي على الأرجح من بنات أفكاره .



ويلوح أنّ أسطورة العنقاء انتقلت من العرب إلى الفرس ، وتنص معاجم اللغة الفارسية على أنّ العنقاء هي الكائن الخرافي الموهوم المسمى باللغة الفارسية « السيمرغ »[11] ، غير أننا نجد في رسالة « تداعي الحيوانات على الإنسان » لإخوان الصفا تفريقاً بين العنقاء والسيمرغ ، فالسيمرغ في هذه الرسالة يمثل ملك الطيور بينما العنقاء تمثل ملكة الجوارح من الطيور ، حيث يجلس مع السيمرغ الطاووس والديك والحمام ، بينما يجلس مع العنقاء النسور والعقبان والصقور . .[12]

وفي **شاهنامة الفردوسي** نرى أن العنقاء تؤدي دوراً بطولياً هاماً ، فتمثل دور الصديق لزال ، ودور العدو لإسفنديار ؛ إذْ تغذي « زال » وليداً ، وتربيه بين أفراخها ، وترده إلى أبيه سام حين يبلغ أشدّه بعد أنْ تزوده بريشة من جناحها لتكون وسيلة اتصاله بها إذا أحرقها . . .

أما عنقاء إسفنديار ، فكانت إحدى العقبات التي واجهته ، وقد قتلها ، كما قتل غيرها من الجوارح والوحوش[13] .

وفي ملحمة « منطق الطير » **للعطار النيسابوري** المتوفى سنة (٦٢٧ هـ) ، نرى أنّ الطيور بزعامة **الهدهد** تكافح في سبيل اجتياز الوديان السبعة للوصول إلى السيمرغ (= العنقاء ؟) بجبل قاف لتفنى فيه . . .[14]

العنقاء والكائنات الأسطورية

والعنقاء من الطيور الأسطورية البائدة ، التي يشك بوجودها الآن ، مثلها كمثل طائر الفينيق[15] وطائر الرُّخ[16] البائد الذي نجد كلاماً عليه في رحلة **ابن بطوطة** ، وفي عجائب الهند ، وفي كتاب **ألف ليلة وليلة** ، وفي نخبة الدهر ، وفي حياة الحيوان للدميري وغيرها . . . وإذا كان صاحب معجم الحيوان الذي اعتمد النهج العلمي في تحريه عن الحقيقة المجردة يقول : « وأخبار الرُّخ كثيرة في المؤلفات العربية ، وهي متواترة ، فلا شبهة أنّ هذا الطائر كان موجوداً ، ويظن أنّه بقي حتى سنة ١٠٠٥ هـ ، تقريباً »[17] . فإنه يلوح لنا أن العنقاء ربما كانت موجودة بإحدى الصور المعقولة التي لا مبالغة فيها ولا تهويل ، ولاقت مصير الرُّخ ، وهو الانقراض قبل يوم الناس هذا بزمن سحيق جداً ، أو أنّ أخبار الرُّخ اختلطت بأخبار العنقاء ــ وهذا ما نرجحه ــ ؟! ، خاصة وأنّ المرويات عنها متشابهة إلى حد بعيد ، ويتضح لنا هذا التشابه في الوصف الذي أعطاه **داود الأنطاكي** للرُّخ إذْ يقول : « رُخّ طائر كبير ، منه ما يقارب حجم الجمل ، وأرفع منه ، وعنقه طويل شديد البياض ، مطوق بصفرة ، وفي بطنه ورجليه خطوط غبر ، وليس في الطيور أعظم منه جثة . وهو هندي يأوي جبال سرنديب وبرّ ملعقة ، ويقال : إنه يقصد المراكب فيغرق أهلها ، ويبيض في البر فتوجد بيضته كالقبة »[18] . ومهما يكن من أمر لا يسعنا إلا أن نردد مع الشاعر العربي :

الغولُ والخلّ والعنقاءُ ثالثةٌ ... أسماء لم توجدْ ولم تكن

وما أجدرنا اليوم أن نُحْيي هذه الكلمة « العنقاء » بأن نطلقها على إحدى المسميات الحضارية الحديثة ، كطائرة ، مثلاً ، ضخمة ذات مواصفات معينة .

الهوامش

(١) ابن دريد ، جمهرة اللغة ، مادة عنقاء ، (طبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، سنة ١٣٤٥ هـ) .

(٢) المصدر السابق ؛ وسليمان هو سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي ، والحجاج هو الحجاج بن يوسف الثقفي .

(٣) الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، مادة عنق .

(٤) البستاني ، محيط المحيط ، مادة عنق .

(٥) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى : ٢/ ١٦٤ ، (طبعة المكتبة الإسلامية ، بيروت) .

(٦) القزويني ، عجائب المخلوقات : ٢٧٨ ، (طبعة المكتبة الإسلامية ، بيروت) .

(٧) الثعلبي ، كتاب العرائس : ٢٦٤ ، (طبعة المكتبة الإسلامية ، بيروت) .

(٨) الدميري : ٢/ ١٦٤ .

(٩) محيط المحيط .

(١٠) أحمد كمال ، بغية الطالبين في علوم وعوائد وصنائع وأحوال قدماء المصريين : ١/ ١٩٩ ، (طبع بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع الخديوية ببولاق سنة ١٣٠٩ هـ) .

(١١) فرهنگ خيام ، عربي فارسي ، ناشر : كتابفروشي خيام ، چاب اول ، تهران .

(١٢) إخوان الصفا ، رسالة تداعي الحيوانات .

(١٣) أمين بدوي ، القصة في الأدب الفارسي .

(١٤) المصدر السابق .

(١٥) طائر أسطوري بائد ذكره صاحب القاموس ، وابن سينا في كتاب الشفاء ، وأحمد كمال في بغية الطالبين ، وفي ترويح النفس ، وقد خلط أحمد كمال بينه وبين الفينيق .

(١٦) الرُّخ : طائر عظيم كان في جزائر الهند ، وانقرض في القرن السابع عشر للميلاد ، وقد عثر على بيضه في مدغشقر ، وقيل تبلغ البيضة منه ٣٠ سنتيمتراً في الطول . وذكر الدمشقي في نخبة الدهر أنه كان يؤتى بريشه إلى عدن ، صفحة ١٦١ ، والرُّخ كلمة فارسية لها أكثر من معنى .

(١٧) أمين المعلوف ، معجم الحيوان ، مادة رُخ (طبعة مصر ١٩٣٢ م) .

(١٨) داود الأنطاكي ، التذكرة ١ : ١٥١ (طبعة مصر) .

○○ إيليا سيموبولوس الشاعر

بقلم : د . نعيم عطية

إيليا سيموبولوس شاعر يوناني معاصر، ولد عام ١٩١٤م، لأسرة قروية في إقليم أركاريا بأرض البليبونيز اليونانية. وبعد أن درس القانون بجامعة أثينا عمل بالمحاماة والصحافة، ثم تفرغ للأدب، وشغل منصب رئيس اتحاد الكتّاب اليونانيين.

نشر سيموبولوس أولى قصائده في الرابعة عشرة من عمره. ومنذ ذلك الحين وهو يكتب في العديد من الصحف والمجلات الأدبية. وفي عام ١٩٤٦م، نشر أول دواوينه الشعرية بعنوان «تحية إلى الشمس الأولى». وفي عام ١٩٥٨م، نشر ديوانه «الرابسودية الأركادية» الذي اعتبره النقّاد واحداً من أهم الأعمال في مجال الشعر اليوناني المعاصر. وفي عام ١٩٥٩م، نشر ديوانه «الوصية السادسة»، وقد تُرجم إلى الفرنسية بقلم جاستون ــ هنري أوفرير، ونشر بباريس عام ١٩٦٠م، حيث استقبله النقّاد بالتقدير. وفي عام ١٩٦١م، نشر سيموبولوس ديوانيه «البيت حيث عش السنونو» و «النهر الكبير». وفي عام ١٩٦٨م، نشر ديوانه «البشائر». وفي عام ١٩٧١م، نشر «دفتر الأرض». وفي عام ١٩٧٢م، «الدلائل الصغيرة».

وبالإضافة إلى عطاء سيموبولوس الشعري هذا، فقد اشتغل بالنقد الأدبي، وألقى محاضرات كثيرة من الشعر اليوناني والشعر العالمي، ونشر عديداً من الدراسات الأدبية. وقد ترجمت قصائده إلى عديد من اللغات منها الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والبولندية والهولندية والبرتغالية.

المسيرة الإنسانية

والمضمون الذي يشغل الشاعر **سيموبولوس** في المقام الأول هو «المسيرة الإنسانية»، هو أن تعطي إلى أقصى الحدود، بلا تردد، بلا توقف، بلا ندم، فهذا ما يعنيه تاريخ الإنسان بأنه حر. فنحن في طريق الحياة عابرون، والذي يبقى منا هو ما نعطيه. ولهذا بدا **سيموبولوس** مثل سلفه **نيقوس كازندزاكي** شاعراً ملتزماً. وهو ملتزم بالإنسان. وليس بأي مذهب أو حركة سياسية، بل إنه يرى أن الارتباط بمثل هذه الأمور يعطل الشاعر ويكبل قدرته على العطاء. وفي قصيدته «الواجب» يقول إن :

«واجب الشاعر
أن يكتب الشعر».

وينتمي **سيموبولوس** إلى جيل من الأدباء راحت خبراته تنمو ومداركه بالحياة تنضج لا في عصر سلام ودعة، بل في خضم حرب ضروس واحتلال نازي لبلاده وتحديات شرسة. ولهذا فإن اقتناعه بالإنسان والتزامه بقضيته تشوبها مسحة من المرارة والأسى.

وارتباط الشاعر بالإنسان ضرورة أخلاقية، يقتضيها بالأخص تلاشي ذلك المخلوق إزاء زمن عاصف، فلا يبقى للإنسان إلا قليل من الدموع يذرفها، يروي بها شجرة الحياة. ولنستمع إلى **سيموبولوس** يخاطب الإنسان :

كما تأتي مثل زهر الطبيعة
ترحل
هذه حقيقتك.
تصل غير ملحوظ.
تصارع الكلمات
والليل والصمت.
تغوص في الدم والطين،
وتتبدد في صحراء الزمن
لا تأتي برسالة، ولا تترك
سوى بضع دموع
تروي شجرة الحياة.
أين تذهب ؟
أتحدث عنك، يا من لم تفكر
في الموت، في الإنسان، يا من لم تعش
ــ أتحدث عن نفسي !.

النــداء

ويعني **سيموبولوس** بأن يكون عطاؤه الشعري نداء إلى الأجيال المقبلة بأن يتعظوا بمآسي الذين سبقوهم، وأن يجنبوا بدورهم من سيأتون بعدهم تعاسات الأجداد الأقدمين، **وإلا فما جدوى الشعر، وما رسالته إن لم يكن دعوة إلى السعادة؟** ويدرك **سيموبولوس** أن هذه الدعوة مع ذلك لا تلقى استجابة على الدوام. ولا تثريب على الشعر في ذلك. وتكسو هذه الحقيقة قصائد **سيموبولوس** كشاعر مخلص للإنسان متألم لآلامه، بكثير من الحسرة المشوبة مع ذلك بلهفة الأمل. وفي قصيدة له بعنوان «**الشعر**» يقول :

عندما يقدم الناس على اغتيال النور
يهجم الليل عليهم
تسبح النجوم في خواء
ويموت الشعراء
ــ لكن الشعر يبقى.
العشر لا يعرف
حدوداً عرضية.

اليوناني المعاصر ○○

الشعــراء
فتيان رائعون
يجوبون أنجماً وأنهاراً وغابات
تعزف أناملهم على الأوتار .
يتكلمون
فينشق الليل
وينبعث صوتهم خفيضاً حانياً ،
مثل موسيق عزفت على أوتار الشمس .
ولكن
القتلة ساهرون
ومن وراء ظهورنا
يغتالون نجماً
كل لحظة ،
فتتخضب السماء بالدماء
ويضيق الوجود
وتكبر العزلة
ويموت الشعراء
ـ أما الشعر فيبق
الشعر
لا يدّعي حدوداً زائلة
إنه في الظلمة المخيفة يسهر
كي يعلق في عروة قلوبنا
الأمل وردة نضرة .

وشعر **سيموبولوس** خلاصة تجربة مريرة ، وهو بهذا يعبِّر عن حقيقة تتجاوز الحدود الجغرافية لتصدق على البشر جميعاً ، وهذا ما يكسب عطاء الشاعر شمولا إنسانياً رغم انبثاقه في الأصل من تجربة زمان ومكان محدودين .

وينحدر **سيموبولوس** عن أسلاف من الرعاة وأهل الجبل الأشداء الذين قاوموا كل محتل لأرضهم وراحوا ينقضون عليهم من قمم جبالهم ، وينهبون قوافلهم ويجلبون إليهم الدمار ، ويشعلون الحرائق ، ويستترون بظلمة الليل للاختفاء في مغاراتهم المدفونة بين الحسك والحجارة الخشنة . وقد تركت هذه الطبيعة بصماتها على صور **سيموبولوس** ، وروت شعره بإحساس بالتزام إنساني لا يفتر . وفي شبابه انضم **سيموبولوس** إلى المقاومة أثناء **الحرب العالمية الثانية** ، ورأى جثث الوطنيين معلقة على المشانق تتأرجح في ضوء الحرائق التي كان النازيون يشعلونها في القرى انتقاماً لأعمال المقاومة . وعاين الشاعر انحدار القيم الأخلاقية والروحية التي ظل مع ذلك لا يتخلى عن الإيمان بها . وانتظر بصبر ساعة الخلاص ، ساعة انتصار الإنسان على الوحش . وقد راح ينتظر تلك الساعة طويلاً . راح ينتظر فجراً طال تأخره ، حتى أضحت الحياة في الظلمة كابوساً ثقيلاً .

ويقول **سيموبولوس** في قصيدة له بعنوان **« اعتراف »** :

إنني شاعر متوحش
في صراحة أبياتي الملتهبة
أنات شعب
لن أتحدث عن مصيره
وما الجدوى أن أحدثكم
اليوم عن أناس
عصور قديمة ،
بل موغلة في القدم .
كان معنى الحرية فيها
الموت
وكان العذاب للجميع
وكانت القناعة أن يبحث الموتى في هدوء
عن السكينة في القبور .

وفي قصيدته **« شروق الشمس »** يقول :

كانوا يسألون : لماذا مات آباؤنا ؟
كانوا يسألون : لماذا مات إخوتنا ؟
كانوا يسألون : لماذا أحرقوا أكواخنا ؟
وكانت الإجابة : **كي تشرق الشمس** .

قد يتصارع البشر ، وتدب في قلوبهم شتى العداوات ، ويؤجج نارها كبرياء زائفة تنشر الخراب على الأرض ، وتتنكر الحضارات . **ولكن هل بالإمكان أن يُنْسَى الإنسان ؟** . وعلى هذا التساؤل يجيب **سيموبولوس** : كلا ، فلا يمكن خارج الإنسان أن تقدم لأي التزام قائمة . ما من رسالة جديرة بتقدير الشعر غير رسالة حب وسلام وأخوة . إن الإنسان لم يولد حقاً ليغرق في بحور الكراهية السوداء ، إنه ولد من أجل أن يحب . فالحب هو الحق الأثير للإنسان . إن الإنسان إنما يكبر ويعظم مقامه بالغفران والمحبة . ويقول **سيموبولوس** :

فلتحب
وليكن قلبك
مثل بحر ساج ،
رحيب ، لا نهاية له .
تكلم
وليكن فمك
ميناء
عامراً بسفن
على أهبة الاستعداد لأسفار بعيدة .

ما من تضحية تذهب هباء ما دامت قد منحت من أجل قضية الإنسان . كل ألم يتفتح عن زهرة فرح ، وكل غضب عن مجرَّة نجوم . وعواء الذئب الشرس يتضاءل إزاء حفيف أوراق شجرة في الربيع أزهرت ، وصيحة الأمل تؤرق الموت في ضجعته .

لا شك أن الإنسان إنما ولد ليشق . لكنه أيضاً قد ولد ليحب . وربما أنه بتساميه بآلامه يستطيع أن يصل في النهاية إلى التحرر الكامل . وعندئذ يصبح كما يقول الشاعر :

إيليا سيموبولوس
الشاعر اليوناني المعاصر

كل زهرة شمسا
كل إنسان حلما
كل ثغر أغنية
وكل طفل عالماً بأسره .

إن السعادة فينا . فنحن بأنفسنا نصنعها . إنها بناء صعب ، لكنه يكون بناء غير مكتمل إذا اقتصرت نوافذه على أن تفتح على أفنية داخلية ، حتى لو كانت عامرة بالنافورات . إن هذا البناء لن يكتمل صرحه إلا بأن تفتح نوافذه على العالم الخارجي فتسمح بأن تدخل إليه أصوات الآخرين ، ونبضات قلوبهم ولن يكون ثمة جدوى من وجوده إلا إذا كان ذا نفع عام . إن ذلك المبنى الذي يرمز للسعادة يجب أن يكون قلعة صداقة وأخوة تتعديان كل خيلاء البشر المتخمين بشتى الانتصارات الأخرى غير السعادة . ذلك البناء يجب أن يكون فناراً يضيء طريق الإنسان . وكل شعاع يصدره يجب أن يهدي خطاه إلى غد أكثر إنسانية . . ولا يبنى مستقبل الإنسان من خلال الخلافات والتناحر ، بل عبر يدين تمتدان للتصافح . وفي هذا الصدد يقول **سيموبولوس** في إحدى قصائده :

كان لي صديق ، فكانت
غرفتي عامرة به
وفرحتي مزدوجة .
ثم تكاثر الأصدقاء
وكبرت فرحتي
.اتسع العالم من حولي ،
وصارت الأرض كلها
غرفتي .

ومن منطلق التواضع والسيطرة على زمام الصنعة ، استطاع **سيموبولوس** في كثير من قصائده أن يتحدث عن تجارب شخصية دون أن نُسمع في قصائده نغمة ذاتية مفرطة ، فهو على الدوام قادر أن ينقلنا من مستوى الخاص إلى مستوى العام ، وربما كان الجسر الذي اجتازه **سيموبولوس** إلى هذا هو إحساس عميق بالتزام الفرد قبل البشرية .

يقول سيموبولوس في قصيدته « عندما يصفر الريح » :

لا تقل :
انقضى الصيف . فات الأوان
ـ هنا ، لا أحد يدوم .
في حركة الفصول مداً وجزراً
كل شيء يمضي وكل شيء يعود .
عندما يدق الريح بابك
فهو لا يهددك بل يؤذنك
فحسب بالتغيير .
افتح النافذة ،
لتستقبله كصديق .

وإذا كان **سيموبولوس** يصف أحلاماً وخيالات ، فهي أحلامنا التي نتشبث بها في خضم معركة الحياة ، كي نلق منها بعض العزاء ، ونعقد عليها بعض الأمل . **ولوحات سيموبولوس الشعرية عامرة بالرموز ، مما يضمه إلى المدرسة الرمزية . وقد كان مما درسه في شبابه إلى جانب القانون الأدب الفرنسي ، وتأثر بالشعراء الرمزيين الذين لا يقتفي خطاهم بقدر ما يفيد من تجربتهم كي يبني عالماً شعرياً خاصاً به** . وهو يؤمن بأن الشعر هو العزاء الكبير للإنسان ، وفي قصيدته « **الأوتار** » يقول :

« بقي في قلبي المشروخ وتر
يكفيني
يمكنني به أن أظل واقفاً أمام عينيك
وأغني » .

تأليف: موريس پون
ترجمة: محمد زفزاف

تحت شجيرة الماغنوليا



كانت تتقدم بخطوات متئدة على ضفة النهر. وكانت تنزل منحنيات الحديقة المعشوشبة لتجلس أو تقرفص في نفس المكان دائماً قرب أحد المقاعد غير بعيد عن شجيرة ماغنوليا، تبدأ في فقد تويجات أزهارها عندما يحل هذا الفصل. ويبدو العشب كما لو كان مغطى بأجفان بيضاء.

كان المكان جميلاً، وشبه خال تقريباً، إلا أنه غير هادئ تماماً، لأن الشاحنات والسيارات كانت تمر بدون انقطاع في الطريق التي تجتاز الحديقة في مواجهة النهر.

كانت ترتدي دائماً نفس الثوب المصنوع من القطن الخفيف ذي اللون الوردي الشاحب الذي يلتصق بجسدها كما لو أنه مغموس في الماء. كما كانت ترتدي صدرية من الصوف ذات كمين قصيرين شبه زرقاء، شبه بيضاء، متسخة، تبدو في الظاهر أنها خيطت في البيت. وكانت تضع في قدميها خفين منزليين من الساتان، أحدهما مزين بكرة صوف حمراء ـ بنفسجية، في حين لم يبق على الخف الآخر سوى خيوط من نفس الصوف، التي لا شك أنها كانت تشد كرة أخرى اختفت.

موريس پون .. في سطور

★ كاتب فرنسي من مواليد نيفاش (جبال الألب العليا) ١٩٢٨م.
★ روائي ومقتبس للمسرح والسينما. له عدة مؤلفات منها: «عذريات» (الجائزة الكبرى للقصة القصيرة سنة ١٩٥٥م.) و«أرسطو الأسكافي» ١٩٥٨م، و«مسافر الليل» ١٩٦٠م، و«الفصول» ١٩٦٥م.

كانت فتاة شابة، نحيفة، وهزيلة تقريباً لكنها لم تكن جميلة، إلا أنها غريبة بما فيه الكفاية حسب ما يبدو لي، مؤثرة جداً. لها شعر غزير إلى حد ما، ناصع، ولو أنها اعتنت به أكثر لأصبح جميلاً وأشقر، وكانت مقدمة ذراعيها مزينة بزغب باهت اللون. وباختصار، فقد كانت تشبه تماماً الصورة التي تكونها على العموم، عن أوفيليا من الطبقة الرثة، تتردد على طرف سهل شاسع ممتد قبل أن تعلن عن ظهورها.

كنت في ذلك الوقت عجوزاً مقبولا، قبل أن أصاب بهذا الفالج الذي جعلني بعد سنوات إلى حد ما شبه عنين وشبه معتوه في هذا الملجأ الذي أقضي فيه أيامي الأخيرة في فراغ قاتل.

لقد ورثت عن خالي الأميرال بذلة بريطانية تتكون من بلازير وسراويل من الفلانيل تعطيني هيئة محترمة، الشيء الذي لم يستطع راتب التقاعد كملازم في البحرية أن يوفره لي. وهكذا فقد احتفظت ببعض الشارات والأقراص في عروات الأزرار، كان قد حصل عليها خالي الراحل، أثناء معاركه البحرية. وكنت دائماً أحمل معي إحدى عصيه ذات المقبض الفضي المصقول. وعلى المقبض رسمٌ لمرجل قاطرة، لا أدري لماذا؟

كنت أجد سروراً عارماً وأنا أحيي بأدب، تلك الفتاة المجهولة، الوحيدة، المنعزلة في الحديقة. وكنت أجلس خلفها في صمت على المقعد العمومي. إلا أن أناقتي المبالغ فيها وعصاي النادرة، دفعتاني إلى أن أتجرأ وأجد الحجة الكافية للتحدث إليها تحت شجيرة الماغنوليا على ضفة النهر..

قلت لها وأنا أريها العصا وقبعتي في يدي:

ـ إن مرجل القاطرة يا آنسة، هل تفهمين.. هذا المرجل يشبه نبع البخار الذي أخترعه الماركيز فورسيستر عام ١٦٦٣م. كان يتكون من صندوق للنار محكم داخل صندوق للماء موضوع على قياسه.

وعندما قلت هذا الكلام وقلبي يخفق من جراء عاطفة جياشة، التقطت الفتاة من فوق الأعشاب ورقتين عريضتين من شجيرة الماغنوليا، وضعتها أمام عينيها وهي تنظر إلى صفحة الماء الزرقاء. ثم ألقت عليّ فجأة نظرة بيضاء، نظرة عمياء كشفت عن مظهرها الأوفيلي، وعندما التفتت إليّ تحرك شعرها مثلما تتحرك النباتات المائية في التيار، كان أشقر وسخاً وبدا لي أن إبتسامة عريضة ارتسمت تحت نظراتها كانت تدعوني لأن نستمر في الحديث.



ـ عليك أن تعرفي أن المبدأ سهل: يكفي حصر النار داخل الماء لكي ينتج عن ذلك بخار يتجمع في شبه قبة. ألا نرى أحياناً في بعض البلدان براكين تتفجر داخل البحيرات؟

لم يكن يبدو على الآنسة ـ أو السيدة ـ، أنها تستمع إلى كلامي. ربما لأنني أطلت في عرضي، الذي لم يكن مقنعاً بما فيه الكفاية. ثم صرخت فجأة صراخاً ضعيفاً غريباً، وهي تترك الورقتين تنزلقان على وجهها، وبدا عليها أنها أعجبت بعصاي ذات المقبض. لم تفعل ما كنت أتمناه كأن تتأمل الرسم على المقبض، ولكنها أستحوذت على العصا وتقدمت بها على ضفة النهر.

رأيتها تجثو على ركبتيها، وأنا في حالة من الذهول، انحنت إلى الأمام وأخذت تغمس عصا خالي في الماء مراراً وتكراراً، كما لو كانت تبحث في النباتات المائية عن شيء ضائع.

لم أكن أرى من المكان الذي أنا فيه، على بعد خطوات خلفها سوى شكل



ثوبها الأزرق الملتصق بجسدها المنحني، وآثار قدميها الملطختين بالطين، وقد سمحت لي الوضعية التي كانت عليها أن أرى فتحة الخفّين عند العقب. تجرأت أن أقول لها بعد لحظات:

ـ لا شك أنك فقدت شيئاً.

لم تجبني، ثم وقفت وصعدت إليَّ. ردت لي عصاي وهي تبتسم ابتسامة حمقاء. ثم قالت أخيراً:

ـ إن النهر عميق. وهناك الأعشاب، كثير من الأعشاب. شكراً جزيلاً يا سيدي.

كان صوتها غليظاً شبه مخمور، يمحو الصورة التي يوحي بها الزغب الأشقر في مقدمة ذراعيها مثل باقة من النعناع البري.

ابتعدت بخطوات سريعة وهي تتابع التيار على ضفة النهر. اختفى جسمها النحيف بين أغصان شجيرة الماغنوليا المزهرة، وبين أغصان أشجار أخرى جميلة يحركها الماء تحت ريح المساء. لم أرها في اليوم التالي ولكن بعد الغد، عندما وصلت إلى الحديقة في الساعة المعتادة وأنا أرتدي البلازير وعصاي والجريدة في يدي. فوجئت بالهرج والمرج حول شجيرة الماغنوليا، وفي المكان الذي كانت الفتاة تحرك فيه الماء بعصا خالي الأميرال.

نزلت سيارة ـ رافعة ضخمة ذات لون قرمزي ـ بسرعة من الطريق إلى العشب، وربضت على حافة النهر بمساعدة عكاكيزها الهوائية، كان رجال المطافئ بقبعاتهم حول السيارة أو تحتها يعطون الأوامر، وكان آخرون منهم بقبعاتهم الذهبية ينفذون تلك الأوامر. كان هناك أيضاً رجال الشرطة والدرك والممرضون ببذلاتهم البيضاء، وجمهور من المتسكعين، الذين جلبهم المشهد بألوانه المختلفة، يهشمون الأعشاب بأقدامهم حول شجيرة الماغنوليا.

كانت ذراع الرافعة الملتوية تتدلى فوق سطح الماء وفوق الرجال الضفادع، الذين يضعون كسوة الغطس ويسبحون في النهر وعلى ظهورهم قنينات الغاز. كانوا يجذبون بكل قواهم كلاليب الأخطبوط المعدني التي تتدلى ببطء فوق رؤوسهم من الرافعة لتختفي الكلاب تلو الآخر.

ثم دخلت وسط هؤلاء المتسكعين العابرين الذين كانوا يتبادلون معلومات خاطئة :

ـ لقد اختفوا منذ ما يقرب من ثمانية أسابيع ...

ـ يبدو أن الأمر يتعلق بسيارة مسروقة .

ـ لقد عثروا على جثة في هويس القناة ، مما أدى إلى البحث في النهر .

تخلص الغواصون ذوو الكاووتشوك الرمادي من أقنعتهم وجلسوا ينتظرون على حافة النهر .

ظهر سقف السيارة أولا .. كانت ترفعه الحبال المشدودة بصعوبة تحت ضجيج الآلة الرافعة الكهربائية ، ثم ظهر هيكلها كله بعجلاته الأربع ، مائلاً إلى الأمام ، وقد امتلأت بالوحل وعلقت بها الأعشاب .

وما إن ارتفعت ، حتى انفجرت شلالات المياه من كل مكان وهي تتساقط على صفحة النهر ، محدثة صوتاً خافتاً . وعندما وصل ارتفاعها إلى مستوى مناسب أدار رجال المطافئ رأس وذراع الرافعة ، ثم وضعوا السيارة بعناية على عشب الضفة مثل سلة أسماك سوداء تتقطر .

بدت كما لو أنها منهكة . ولما كان يسود الصمت مثلما هو الشأن في قاعة السينما ، فقد سمعت حولي تعليقاً هامساً :

ـ إنها من نوع ٦٨ . لا شك أنها سيارة مسروقة ..

ـ يبدو أنهم انصرفوا في عز الليل ...

اقترب أحد رجال المطافئ ذو البذلة الجلدية من السيارة ، ثم نجح في فتح أحد الأبواب وهو يجذبه بكل قواه ـ كان الباب الخلفي على اليمين ـ . تدفقت كمية من الماء الموحل وهي تفرقع ، منتشرة فوق العشب ، حاملة معها بعض أوراق شجيرة الماغنوليا ، ثم سقطت من مؤخرة السيارة كتلة عائمة من الخرق واللحم المبلل ، التي ألصقها ضغط الماء بالسقف . جسما صبيتين في حوالي الثالثة أو الرابعة من العمر ، عليهما ثياب النوم لا تزال عالقة بها آثار البطانية والمخدات . كانت إحداهما ترتدي بيجامة وردية ، بينما الأخرى قيصاً مزيناً برسوم أزهار تكمش مثل خرقة .



انتفخت بطناهما بشكل فظيع وتخططتا بالأزرق . وجهاهما أخضران مكمشان من أثر الاختناق . عيناهما مفتوحتان وجاحظتان تغطيهما خصلات منسدلة بشكل فوضوي وأعشاب النهر وطميه . إنه لمشهد محير ، يمزج بين الجمال والرعب المطلق ، مشهد لم يتحفظ شكسبير في وصفه .

وفي مقدمة السيارة تعرفت على فتاة الأيام الماضية وهي مكومة فوق المقود ، ثابتة في مكانها بمساعدة حزام الأمان . عندما انحسر الماء العكر ، وهي في صدريتها الصوفية ، وثوبها الرقيق الوردي المنحسر حتى البطن ، الذي جعل منه الموت كفناً مبتلاً . تجعد جلدها وازرق . لم أستطع رؤية وجهها المتسخ المتعب ، ولا منظرها المتوحش ، الشبيه بمنظر فتاة بروليتارية فاشلة .

وتحت نظرات رجال الدرك المنزعجة والمتذمرة التي كانت تشمل الجمهور ، قام الممرضون بمساعدة رجال المطافئ بإخراج الجثث من السيارة وتغطيتها ونقلها فوق الحفة حتى الطريق المرصفة ، حيث كانت سيارة الإسعاف تنتظر . الاتجاه : مستودع الأموات البلدي . ثم شرع في نزع السيارة المعلقة في الرافعة الجامدة .

ومن جملة الأشياء المبعثرة فوق العشب ، رأيت رجل إطفاء شاب ذا وجه نرويجي ، يلتقط خفين منزليين من الساتان المبطن وهو يدسهما في كيس بحري . كان الخفان مزينين بكرتين من الصوف الأحمر البنفسجي .

للكاتب التشيكي : كارل كابك
ترجمها عن الإنجليزية : صبري أحمد نصرة

السارقة



الآن ـ وللمرة الأولى بعد كل هذه السنوات ـ اكتشف أن خادمته تسرقه ، وقد تم هذا الاكتشاف كالآتي :

في هذا الصباح ، تسلم بطاقة دعوة من إحدى الجمعيات لحضور حفل .

تحير من أمر هذه الدعوة غير المنتظرة ، فمنذ سنوات والدائرة المحدودة لأصدقائه أضيق ما تكون .. على أنه لبى الدعوة مجبوراً ، وكان أول ما فعله أن بدأ البحث عن قميص متأنق ، فأخرج كل الأقمصة خارج خزانة الثياب .. غير أن أحداً منها لم يكن إلا وقد أمسى في حال يرثى لها . نادى خادمته جوهانكا .. سألها أن تحضر قميصاً يصلح للمناسبة . ازدردت جوهانكا ريقها .. ظلت لبرهة صامتة .. أعلنت بحدة أنه يجب على سيدها شراء أقمصة جديدة ، لأن القديم منها لم يعد يحتمل الإصلاح . أنبأه شعور غامض بأنه اشترى عدداً من الأقمصة منذ زمن غير بعيد ، بيد أن عدم تيقنه من ذلك جعله صامتاً . بدأ على الفور في ارتداء معطفه كيما يذهب لشراء أقمصة جديدة . فجأة أخرج من جيبه بعض الأوراق ، ليتبين منها ما سيلقيه وما سيبقيه . من بين هذه الأوراق وجد آخر قائمة حساب دفعها في شراء أقمصة جديدة .. منذ سبعة أسابيع .. منذ سبعة أسابيع فقط اشترى نصف دستة من الأقمصة .

كان هذا هو كل اكتشافه .

عجب من ذاكرته .. عاد بها إلى الوراء .. إلى سنين وسنين الوحدة ، فمنذ أن ماتت زوجته ، وجوهانكا دائبة على خدمته ، دون أن يراوده ـ للحظة ـ أدنى شك فيها .. لكن الآن إحساساً مبهماً يسيطر عليه .. إحساساً بأنها كانت تسرقه طيلة هذه السنوات . حاول أن يتذكر أنه أساء إليها ، فما ذكر إلا معاملته الودودة لها ، وفجأة أدرك أن المكان الذي يأويه فارغ وموحش .

وفي حزن .. قصد الصندوق الذي يضم تذكارات زوجته ، كانت داخله أشياء بالية قديمة .. لكن لا أثر فيها لحياة الماضي .. (يا للسماء ! .. أهذه كل الأشياء التي خلفتها زوجتي ؟ .. أهذه

السارقة

هي الحال التي آلت إليها ؟) .

أغلق الصندوق ، وحاول أن يصرف ذهنه إلى أفكار أخرى : حفل المساء مثلاً .. لكن كل سنوات الماضي لا تلبث أن تقتحم - بإلحاح - ذهنه ، وإنها لتبدو له أكثر عزلة .. أكثر مرارة .. أكثر تعاسة .. أكثر مما كان يحسها وهو يحياها . كان - يقيناً - في غفوة كما السبات العميق .. لكنه الآن أفاق منها ، وأدرك أن غفوة الرجل المسن قد مكنت أيدي غريبة من أن تسرق .. تسرق حتى الوسادة من تحت رأسه . انتابه حزن حاد .. أكثر من هذا الحزن الذي انتابه في ذلك اليوم .. اليوم الذي عاد فيه من جنازة زوجته . وجد نفسه شيخاً مسناً يحيا حياة قاسية .

سؤال واحد كان يلح عليه : (لماذا تسرقني ، وماذا كانت تفعل بالمسروقات ؟) . وعلى حين غرة ، تذكر - محاولا أن يدري لذلك مبرراً - أن لجوهانكا شقيق له ابن ، وأنها تحب هذا الابن إلى حد الحماقة ، وأنها كانت دائمة الثرثرة بحديثها عنه .. عن هذه الزهرة من الشباب التي أوتيت وجهاً بشعاً : شعر متلبد ، أنف أفطس ، فم معوج .. ومن أجل هذا كانت تذرف دموع الألم .. ومن أجل هذا أيضاً كانت تسرق . أسرع إلى المطبخ ، وأراد أن ينادي جوهانكا بالعجوز الحيزبون .. لكنه تراجع .

وطيلة النهار ، لم يكن يتحدث إليها .. لكن إحساساً بالإهانة كان يعتري جوهانكا إذا ما ناولته شيئاً ، إذ كان يلتقطه منها بعنف ، غير مدركة أدنى إدراك سبباً لهذا كله .

وبعد الظهيرة ، اعتزم أن يتفقد كل محتويات دواليبه وأدراجه . في البدء كان يتذكر - بعد عناء - شيئاً واحداً ، ثم بعد ذلك يتذكر بقية الأشياء التي تضمها هذه الدواليب من متعلقات عائلته ، التي تبدو له أكثر من ثمينة .. غير أن شيئاً منها لم يترك .. لا أثر لواحد منها . صعد الدم إلى رأسه بغزارة .. (ترى منذ كم من السنين وهي تسرقني كي لا يتبقى شيء على الإطلاق ؟) . انتابه غضب شديد ، ولو أن جوهانكا أتت إليه في هذه اللحظة ، لصفعها على وجهها . وفي انفعال حدث نفسه : (ماذا عساي أن أفعل ؟ .. أأطردها ؟ .. أأسلمها إلى الشرطة ؟ .. لكن .. من سيطهو لي طعامي في الغد ؟ .. لسوف أذهب إلى المطعم .. لكن .. من سيغلي الماء ويوقد المدفأة ؟ .. يحسن أن أنتظر للغد كي أقرر .. المشكلة أن اعتيادي كله كان عليها) . بدت له المسألة أعسر كثيراً مما توهم .

سمع لباب المنزل صريراً قوياً ، وإذ ذاك أدرك أنه بمفرده في المنزل . وبقلب واجف ، تسلل إلى المطبخ . وعند الباب تردد أن يدفعه ، إذ لم يكن قد أعد نفسه للحظة التي سوف يفتح فيها دولابها . بدا له هذا كعمل اللصوص .. لكنه - مع ذلك - تشجع ودفع الباب .

كل شيء في المطبخ نظيف ولامع ، وهناك كان دولاب جوهانكا ينتصب .. لكنه كان مغلقاً ، ولم يكن هناك أثر لمفتاح . استحثه اكتشافه أن يحقق بغيته : حاول أن يفتح دولابها بسكين ، فلم يتمكن .. فتح كل الأدراج محاولا البحث عن المفتاح .. اختبر كل ما لديه من مفاتيح ، فلم ينفع واحد منها .. أخيراً نجح في فتحه بواسطة شص جذبه من قصبة صيد .

بترتيب فائق : افترشت الأرفف بأغطية بيضاء ، وفوق الرف العلوي كانت : أقصته الستة ما تزال مربوطة .. علبة من الورق المقوى بداخلها دبوس صدر خاص بزوجته .. لفيفة معقودة بكم قميص بها لآلئ خاصة بجدته .. صورة لأمه داخل إطار .. (يا إلهي ! .. أوجدت لهذه استخداماً ؟) . انتزع كل الأشياء خارج الدولاب ، وجد : جوارب .. ياقات .. صندوق من الصابون .. فرش أسنان .. معطف حريري قديم .. كيس وسادة .. مسدس قديم .. غليون عديم الاستعمال .. (كيف حدث هذا ؟ .. جوهانكا .. أهذا ما أستحقه منك ؟) .

واحداً تلو الآخر ، أخذ ينقل الأشياء إلى غرفته ويسويهم على المنضدة ، ثم ترك دولاب جوهانكا مفتوحاً . بدأ يتخذ الحيطة مخافة أن تعود جوهانكا ، فشرع في إبدال ملابسه في عجالة . حدث نفسه : (غداً سيكون العقاب ، أما اليوم فيكفيها معرفة أنني تبينت الأمر) .

ارتدى قميصاً قديماً ، وتغاضى النظر عن كونه بالياً ، ثم ذهب إلى الحفل . وهناك ألفى نفسه وحيداً ، فحاول أن يجاذب أحد

معارفه الحديث ، بيد أنه لم يدر كيف ؟ . فالسنوات التي باعدت بينه وبين الآخرين ، جعلته يخال أن كلاً من الطرفين لن يفهم الآخر ، على أنه لم يكن يشعر بحقد نحو أي منهم . وقف متزوياً ، وقد خطف بصره الضوء المتألق والضجيج والحركة ، حتى قبض عليه رعب ينذر بالخطر ، إذ لمح خيوطاً تتدلى من قيصه ، وبقعة على معطفه ، ومثلها على حذائه .. (تباً لهذا !) .

تمنى لو أن الأرض هبطت به إلى مثوى يواريه . في جميع الأنحاء ، كانت واجهات الأقفصة تتألق وتشرق . كيف يستطيع أن يفر دون أن يلحظه أحد ؟ . كان خائفاً من أن يقطع الخطوات في اتجاه الباب ، حتى لا يكشفه انعكاس الضوء الذي يمكن أن يرتمي فجأة ناحيته . اشتمله ارتباك كبير . وفي كل لحظة ، كان يحاول أن يقترب تدريجياً من الباب ، دون أن يكون ذلك في اتجاه مستقيم . ولسوء الحظ ، استوقفه أحد معارفه : زميل كان يدرس معه في المدرسة العليا ، وأضاف إليه مزيداً من الارتباك . تنفس الصعداء عندما أصبح منعزلا مرة أخرى ، فقدر مسافته إلى الباب ، واستطاع في النهاية أن يفلت ويهرب إلى الخارج . ولم يكن الليل قد انتصف بعد .

وفي الطريق .. اقتحمت - مرة ثانية - جوهانكا تفكيره . أصبح يقظ الذهن بفعل المشي السريع ، وخطط في ذهنه عما يجب أن يقوله لها : ليونة غير متوقعة .. شدة .. عبارات منظومة تنسجم مع بعضها البعض .. حديث مطول عن عقاب شديد .. أخيراً العفو . أجل العفو ، لأنه في النهاية سوف يغفر لها ، إنه لا يستطيع أن يلفظها إلى الشارع ، لأنها سوف تبكي وتتوسل ، ثم تعد بأن تحسن حالها . وسوف ينصت هو في هدوء وصمت ، وفي النهاية سوف يقول وهو بادي الوقار : (جوهانكا .. سوف أمنحك الفرصة كي تعوضي نكران الجميل .. كوني مخلصة



وأمينة ، ولن أطلب منك أكثر من ذلك .. أنا رجل مسن ولست أريد أن أكون قاسياً) .

وجد نفسه داخل البيت . كان هناك ضوء ينبعث من غرفة جوهانكا . اختلس النظر من خلف الستار إلى المطبخ ، فإذا بجوهانكا تبكي ووجهها متورم وبادي الخجل . كانت تسرع وتلقي أمتعتها في الحقيبة . تسلل - على أطراف أصابع قدميه - إلى غرفته ، وقد ألم به ارتباك وحيرة .. (لماذا الحقيبة ؟ .. هل سترحل جوهانكا ؟) .

هناك في مواجهته فوق المنضدة ، كانت ترقد حوائجه التي سرقتها جوهانكا منه . داعبها بإصبعه .. لكنه لم يشعر بأدنى ارتياح لاكتشافه لها . حدث نفسه : (لا بد أن جوهانكا تفطنت إلى الأمر ، وتوقعت أن أطردها .. لذلك فهي تعد كل أمتعتها .. حسناً .. سوف أدعها تعتقد ذلك حتى الغد .. وسوف يكون هذا عقاباً كافياً لها .. أجل سوف أتحدث إليها في الصباح .. ستنساب الدموع من مقلتيها غزيرة .. ستخر على ركبتيها ، أو تفعل شيئاً يشبه ذلك .. هذا ما سوف يحدث .. ولسوف أقول : لست أرغب في أن أكون قاسياً .. يمكنك البقاء) .

جلس بثياب المساء يرتقب التطورات . كان هناك سكون .. سكون شامل يطبق على المنزل ، حتى أنه سمع وقع كل خطوة لجوهانكا في المطبخ .. سمع رفيف جفنيها .. (ماذا يكون ذلك) . نهض في غضب وأنصت : نحيب مرعب طويل كأنه يصدر عن كائن ليس بإنسان ، يتذيله سلسلة من التشنجات الهستيرية ، أعقب ذلك صوت عنيف لارتطام ركبتين بالأرض ، ثم أنين مكتوم . قال لنفسه : (في الحال سوف تؤوب جوهانكا إلى رشدها وتأتي سائلة العفو) .

خطا في الغرفة في محاولة لاستعادة ثباته .. لكن جوهانكا لم تأت حتى الآن . كان في بعض اللحظات يتوقف ليصغي ، فيتبادر إلى سمعه صوت أنات متقطعة لا نهاية لها . كان هذا اليأس الهائل يضايقه .. (لسوف أذهب وأقول : جوهانكا .. ليكن هذا درساً لك .. كفي عن البكاء .. سوف أنسى ما حدث ، وكوني أمينة في المستقبل) .

السارقة

فجأة انفتح الباب بدفعة قوية، وهناك عند المدخل كانت جوهانكا تقف باكية. راعه أن يرى وجهها باكياً متورماً، غير أنه صاح فيها:

ـ جوهانكا .. أهذا ما أستحقه منك؟

وقبل أن يتم كلامه قاطعته قائلة:

ـ أشكرك على ما فعلت .. كما لو كنت لصاً .. يا للعار!.

صاح بغضب:

ـ جوهانكا .. لكنك أخذت حاجياتي ... هذه كلها التي ترينها أمامك .. هل أخذتها أم لا؟

لكن جوهانكا لم تصغ، واستمرت:

ـ هل يجب أن أتحمل كل هذه الإهانة؟ .. البحث في دولابي كما .. كما لو كنت لصاً مختلساً .. أن تهينني هكذا .. فهذا شيء كان يجب ألا تفعله يا سيدي .. ليس من الصواب أن .. أن تهينني .. أبداً .. لم أكن أتوقع ذلك منك .. أنا سارقة حقاً .. حقاً أنا سارقة.

ثم صرخت بحدة في أسى:

ـ أنا حقاً سارقة .. أما ذلك فلم أكن أتوقعه أبداً .. أبداً لا أستحق مثل ذلك.



قال وقد أخذته بها شفقة شديدة:

ـ فقط بعض التروي .. كيف جاءت هذه الأشياء إلى دولابك؟ .. هل هي حوائجي أم حوائجك .. قولي أيتها الخادمة الطيبة؟.

قالت جوهانكا بتشنج:

ـ لا أريد سماع أي شيء .. أكل هذه الإهانة؟ .. كما لو كنت لصاً؟ .. تبحث في دولابي .. أبهذه الطريقة؟ .. سوف لا أبقى حتى ولو للصباح.

ـ لا أريدك أن تخرجي .. يمكنك البقاء .. أنا لم أقل لك كلمة واحدة حول ذلك .. لذلك كفي عن البكاء.

قالت وهي تمسح دموعها:

ـ وهل هناك شيء آخر تريد أن تفعله .. سوف لا أبقى حتى ولو للصباح .. حتى لو كان المرء كلباً .. لا يستطيع أن يتحمل ذلك .. لن أبقى .. أنا أفضل أن أقضي الليل على الرصيف.

قال وقد أعيته الحيلة:

ـ جوهانكا .. لماذا؟

هل آذيت مشاعرك؟ .. إنك حتى الآن لست بقادرة على الإنكار.

ـ لا .. لم تؤذ مشاعري .. ليس في هذا إيذاء لمشاعري .. تفتش في دولابي كما لو كنت لصاً .. هذا ليس شيئاً على الإطلاق .. أهذا شيء يجب أن أتحمله؟ .. لم يلحق بي إنسان مثل ذلك أبداً .. مثل هذه الإهانة .. مثل هذا الإذلال .. أنا لست شيئاً تطأه.

ثم صرخت وانفجرت دموعها بتشنج، وانطلقت إلى الخارج، وقد أغلقت الباب بعنف.

انتابته حيرة شديدة، فبدلا من طلب العفو، كان كل هذا الشجار .. (ماذا يعني ذلك؟ .. إنها تسرق مثل الغراب، ليس هناك شك في ذلك، ثم تشعر بالإهانة لأن أمرها قد تبين لي .. إنها لا تخجل من كونها سارقة، لكنها إذا ما عوقبت كالسارقة، فإنها تجرح بقسوة في مشاعرها .. هل جنت المرأة؟).

وشيئاً فشيئاً، أخذ يشعر نحوها بالأسف، خاطب نفسه: (لكل إنسان إثمه الخفي .. وأكثر ما يسيئه هو أن تشير له إليه .. هه .. يا للأحاسيس الفطرية اللامحدودة التي يحويها الإنسان حتى وهو في آثامه! .. يا لقسوة الإحساس الذي يستشعره حتى وهو مذنب! .. فقط ضع يدك على إثمه الخفي، وسوف لا تسمع شيئاً إلا صرخات ألم وسخط في الإجابة .. ألست ترى أنك لا تحكم على المذنب إلا بما يسيء إليه؟).

ومن المطبخ تناهى إليه صوت أنين مكتوم. أراد أن يذهب إليها .. لكن الباب كان قد أغلق. وقف عنده محاولا أن يناقشها .. أن يهدئها، ولكن .. عبثاً، فقد كان رد الفعل في كل مرة مزيداً من التشنج الشديد الصاخب.

عاد إلى غرفته، وقد آلمه عدم جدوى شفقته.

وهنالك فوق المنضدة، كانت تصطف المسروقات: أقصته الجديدة، تذكارات، وأشياء أخرى. لامسها بإصبعه .. لكن شيئاً ما في لمسته كان حزيناً وبائساً!.



طاشكبري زاده .. وكتابه مفتاح السعادة

عرض: صالح محمد الجاسر

بعد أن بعث الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى العالمين مبشراً وهادياً وداعياً إلى توحيد العبادة لله وحده، أخذ المسلمون يطبقون ما يأمر به هذا الدين القويم ويجتنبون ما ينهى عنه وقد اتضح ذلك من التحول الكبير في حياة الناس وأسلوب معيشتهم وطريقة تعاملهم، منذ بداية ظهور الدين الإسلامي الحنيف.

وكان من ضمن ما حمله هذا الدين العظيم من تعاليم سامية وكبيرة حثه على العلم وطلبه وبيان فضل العلماء على غيرهم وذلك انطلاقاً من كون هذا الدين ديناً كاملاً صالحاً للإنسان في كل زمان ومكان. وقد نزلت آيات كثيرة تدعو إلى العلم والمعرفة وتحث على طلبها إضافة إلى الأحاديث الكثيرة التي تدعو لذلك. قال تعالى ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[1] الآية.

وتطبيقاً لهذه التعاليم السماوية أخذ المسلمون ينهلون من معين العلوم المختلفة دراسة وتدويناً وبحثاً، فبدأ صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تدوين الوحي ثم بعده تدوين الحديث وجمعه وبعد ذلك دونت العلوم الأخرى من فقه ونحو ولغة وغيرها. كما نشطت حركة الترجمة من اللغات المختلفة إلى العربية واتسعت العلوم وأنشئت المكتبات ودور العلم والمعرفة وكثر العلماء في شتى العلوم حتى أصبحت عواصم الإسلام مدناً علمية يفد إليها طالبو العلم من كل مكان.

وبسبب كثرة المؤلفات والمترجمات وتعدد موضوعاتها وصعوبة حصرها الذي بلغ مداه في القرن الرابع الهجري قام **ابن النديم**[2] بوضع كتابه **(الفهرست)** عام ٣٧٧هـ، الذي يعد أول ببليوغرافيا[3] سجل فيه المؤلفات والمترجمات في كل علم من العلوم وتحدث عن مؤلفيها ومصنفيها وترجم لهم وذلك منذ بدء العلوم وحتى تاريخ الكتاب.

وقد تبع ابن النديم بعد ذلك في هذا المجال علماء كثيرون اهتموا بحصد العلوم وتصنيفها وذكر ما ألف فيها من كتب وفهرستها حسب الموضوعات شارحين كل موضوع والكتب التي وضعت فيه[4].

ويعد كتاب «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» الذي ألفه **أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبري زاده** من أبرز الكتب التي عنيت بتاريخ العلوم الإسلامية وتصنيفها حيث احتوى الكتاب على معلومات ببليوغرافية قيمة وذكر أهم المؤلفات والمؤلفين وجانباً من أخبارهم ومصنفاتهم. وقد احتوى الكتاب على أسماء عدد كبير من المؤلفين والمؤلفات ولعل ذلك راجع لوجود المؤلف في زمن متأخر نسبياً حيث عاش في القرن العاشر الهجري.

المؤلف

وقد ولد مؤلف هذا الكتاب وهو عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل الشهير بطاشكبري زاده (نسبة إلى قرية **طاشكبري** في الأناضول بتركيا) في مدينة **بروسه في تركيا** في الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٩٠١هـ، الموافق الثالث من شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٤٩٥م.

وعندما بلغ المؤلف سن التمييز رحل مع أبيه إلى **أنقرة** حيث حفظ القرآن الكريم ثم عاد إلى بروسه وتلقى علومه العربية ثم رحل إلى **استانبول** التي كانت آنذاك عاصمة الدولة العثمانية. وقد أتاح لمؤلفنا كثرة تنقله مع أبيه الذي كان كثير الترحال فرصة تلقي العلم على يدي عدد من الشيوخ الذين ترجم لهم في أحد كتبه[*]، كما أتاح له الترحال تنوع معاهد العلم التي التحق بها حيث نجده تلقى علوماً في اللغة والدين والمنطق والفلك والجدل والعلوم العقلية المختلفة.

حياته العلمية والعملية

بعد أن اجتاز أحمد بن مصطفى مرحلة

التعليم بدأ حياته العملية والعلمية وتقلد عدداً من المناصب العلمية بدأها مدرساً في عدد من المدن التركية خلال الفترة من عام ٩٣١هـ، إلى ٩٥١هـ. ثم عمل قاضياً في مدينة بروسه عام ٩٥٢هـ، عاد بعدها إلى التدريس عام ٩٥٤هـ، ثم إلى القضاء في استانبول عام ٩٥٨هـ.

وقد قام المؤلف خلال عمله بالتدريس بتعليم أمهات الكتب في الفقه والحديث والتفسير والفرائض والنحو واللغة والمنطق والبلاغة. وفي عام ٩٦١هـ، أصيب بالرمد ثم كف بصره ولزم منزله عاكفاً على إملاء بعض كتبه حتى مات في نهاية شهر رجب عام ٩٦٨هـ، الموافق منتصف شهر أبريل (نيسان) عام ١٥٦١م، في استانبول ودفن فيها.

مؤلفاته

ألّف أحمد بن مصطفى عدداً كبيراً من الكتب والرسائل[6] في شتى المجالات من أهمها كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، والشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ونوادر الأخبار في مناقب الأخيار، والشفاء لأدواء الوباء، والرسالة الجامعة لوصف العلوم النافعة، والمعالم في علم الكلام، وشرح العوامل من المختصرات، ومختصر في علم النحو، ومسالك الخلاص في مهالك الخواص، وصورة الخلاص في سورة الإخلاص، وأدب طاشكبري زاده، والاستقصاء في مباحث الاستثناء.

كتاب مفتاح السعادة

يعد كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم إضافة إلى كتاب الشقائق النعمانية أهم كتابين لمؤلفنا وأكثر كتبه انتشاراً.

وكتاب مفتاح السعادة يعد مرجعاً رئيسياً ومهماً لدراسة تاريخ العلوم الإسلامية ومن ألف فيها كما أنه يحمل معلومات قيمة عن الفترة التي

طاشكبري زاده
..وكتابه مفتاح السعادة

عاش فيها وعن حركة التأليف في قطره.

وقد أوضح المؤلف سبب قيامه بتأليف هذا الكتاب بقوله:

(واعلم: أن تحصيل العلوم لما لم يمكن إلا بتصورها اسماً ورسماً وموضوعاً ونفعاً. أحببنا أن نبين في هذه الرسالة الأمور المذكورة في كل علم أصلاً وفرعاً، ونبين أسماء الكتب المؤلفة فيها وأسماء مؤلفيها ليكون عوناً في تحصيل العلوم وترغيباً في طلبها وإرشاداً إلى طريق تحصيلها. أما ذكر المصنفات: فللتنبيه على مراتبها وجلالة قدرها، والتفاوت بين تلك الكتب. وفي ذلك إرشاد للطالب إلى تحصيلها وتعريف له بما يعتمده منها وتحذيره مما يخاف من الاغترار)[7].

ثم يشير إلى أن ذكر المؤلفين لغرض معرفة مناقبهم وأحوالهم ليستفاد منها في تأديب النفس بآدابهم، ولمعرفة مراتبهم وعصورهم لإنزالهم منازلهم وإعطائهم حقوقهم، والأخذ برأي أورعهم إذا تعارضت الأقوال، إضافة إلى أن ذكرهم نوع من الوفاء بحقوقهم لأنهم السلف والأئمة.

وقد قدم المؤلف لكتابه[8] بأربع مقدمات الأولى في بيان فضيلة العلم والتعلم والتعليم والثانية في شرائط المعلم ووظائفه والثالثة في وظائف المعلم والرابعة في بيان النسبة بين طريق النظر وطريق التصفية.

وبعد هذه المقدمات الأربع قسم المؤلف كتابه ـ ويسميه الرسالة ـ إلى طرفين قدم لكل منها بمقدمة.

أ ـ الطرف الأول: في الإرشاد إلى كيفية تحصيل طريق النظر. وقد قسم المؤلف مباحث هذا الطرف إلى ست دوحات قدم لكل دوحة منها بمقدمة توضح مجال العلوم التي تشتمل عليها الدوحة وكيفية تقسيمها وتعليل ذلك. وهذه الدوحات هي:

١ ـ الدوحة الاولى: في بيان العلوم الخطية.

٢ ـ الدوحة الثانية: في علوم تتعلق بالألفاظ.

٣ ـ الدوحة الثالثة: في علوم باحثة عما في الأذهان من المعقولات الثانية.

٤ ـ الدوحة الرابعة: في العلم المتعلق بالأعيان.

٥ ـ الدوحة الخامسة: في الحكمة العملية.

٦ ـ الدوحة السادسة: في العلوم الشرعية.

ب ـ الطرف الثاني: في العلوم المتعلقة بالتصفية التي هي ثمرة العلم بالعمل. وتضمن هذا الطرف الدوحة السابعة: في علوم الباطن. وقد قسم المؤلف كل دوحة من الدوحات السبع إلى عدد من الشعب، وكل شعبة إلى عدد من العلوم، إضافة إلى تقسيم بعض العلوم إلى فروع وفروع الفروع.. وقد نتج عن هذا التقسيم أكثر من ثلاثمائة علم.

طبعات الكتاب

يرجع ظهور الكتاب إلى عام ١٣٢٨هـ[9] حين قامت **دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد** بطبع الجزءين الأول والثاني من الكتاب اللذين احتويا على الطرف الأول من الرسالة أي إلى نهاية الدوحة السادسة. ثم طُبعت بقية الكتاب وهو الطرف الثاني الذي يحتوي على الدوحة السابعة عام ١٣٥٦هـ، بعد العثور على مخطوطها. وبقيت هذه الطبعة فترة طويلة تتداول على الرغم من صعوبة الرجوع إليها لسوء طباعتها ولعدم احتوائها على كشافات تسهيل الرجوع إليها.

وطُبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات ، وفي عام ١٩٦٨م ، قام كل من **كامل بكري وعبدالوهاب أبو النور** بتحقيق الكتاب وطبعه في ثلاثة مجلدات بعد إضافة أربعة كشافات له هي : كشاف العلوم ، وكشاف العناوين الذي احتوى على ٢٥٠٠ عنوان تقريباً ، وكشاف المؤلفين والأعلام ، وكشاف الأماكن والبلدان .

وقد ألحقت هذه الكشافات التي جاءت في ١٢٠ صفحة بالمجلد الأول من الكتاب .

كما قدم المحققان للكتاب بمقدمة طويلة ، زاد عدد صفحاتها عن المائة ، درسا فيها المؤلف وعصره وأسلوبه وأهميته وتصنيف العلوم عند المسلمين خاصة ، وتعرضا لذكر مزايا تلك التصانيف وللنقل والتدوين في الإسلام .(١٠) .

الهوامش

(١) سورة الزمر ، الآية ٩ .

(٢) وقد اختلف في اسمه حيث قيل إن اسمه محمد بن إسحق وقيل محمد بن النديم . وتكاد سيرته أن تكون مجهولة حيث لا يعرف تاريخ ميلاده ولا نشأته . وإنما يعرف عنه أنه وراق ، ينسخ الكتب ويبيعها في بغداد .

(٣) البيليوغرافيا هي إعداد المراجع أو عمل القوائم الكاملة البيانات التي تتضمن الكتب المتعلقة بواحد من المؤلفين أو الناشرين أو تكون عن بلد ما أو موضوع بذاته (الموسوعة العربية الميسرة) .

(٤) من هؤلاء العلماء الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم ، وفخر الدين الرازي في كتابه حدائق الأنوار في حدائق الأسرار ، وقطب الدين الشيرازي في كتابه درة التاج لعزة ديباج ، ومؤلفنا في كتابه مفتاح السعادة ، وحاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .

(٥) كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية الذي ترجم فيه لـ٥٢٢ عالماً وأتم تأليفه عام ٩٦٥هـ .

(٦) ذكر منها محققا كتابه كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور في ترجمتها للمؤلف ٣٧ كتاباً ورسالة .

(٧) كتاب مفتاح السعادة ، ص ٧٣ .

(٨) ذكر المحققان في مقدمتها أنه ألف كتابه مفتاح السعادة عام ٩٤٨هـ .

(٩) كتاب المصادر العربية والمعربة لمحمد ماهر حماده . وذكر الزركلي في مصادر كتابه الأعلام أن هذه الطبعة ظهرت عام ١٣٢٩ هـ ، وكذلك ذكر هذا التاريخ أحمد عطية الله في كتابه القاموس الإسلامي عند ترجمة المؤلف . في حين ذكر محققا الكتاب التاريخين معاً أي ١٣٢٨/١٣٢٩هـ .

(١٠) كتاب المصادر العربية والمعربة ، ص ٤١ .

(١١) ترجمة ابنه كمال بعنوان موضوعات العلوم .

سؤال

شعر: عزت الطيري

لماذا أنتِ تحتكرين إحساسي ؟
وتختبئين في قلبي
وفي الرئتين .. وفي الجنب
وبين الجفن والهدبِ
وفي أوراقي الخضراء ..
في الأقلام والكتُبِ
وفي فرحي .. وفي تعبي
وفي حزني .. وفي طربي
وتبتعدين .. أغترِبُ
ويغدو قلبي الثرثارُ
فرخاً ما له زغبُ
وطفلاً أعرج الساقين
لا يحبو .. ولا يثبُ
فلا قرش يهدهده
ولا حلوى .. ولا لُعب
وتقتربين .. أقتربُ
ويرقص قلبي المحزونُ
يعلو في دمي الصخبُ
والتهبُ
وأنسكبُ
قواريراً من الأشعار
فوق هوامش الدفترْ
فتثمر في شراييني
حقول الفل والزعترْ
ويزهو التين والعنبُ
ويرحل ليلنا القاسي
لماذا أنتِ يا سمراء
دون الناس
تحتكرين إحساسي



www.ahlaltareekh.com



مؤرخو الغرب



انجلز ، فردريك :

(١٨٢٠ ـ ١٨٩٥ م) فيلسوف روسي . أسهم في وضع أسس النظرية المادية في تفسير التاريخ ، وذهب إلى أن المادة هي أساس الكون ، والحتمية هي التي تحكم حركة التاريخ ، اضطر إلى الإقامة في **إنجلترا** على إثر فشل ثورة ١٨٤٨ م ، وكان من رجال الأعمال الناجحين ، أصدر عدة كتب يشرح فيها نظريته المادية وتفسيره المادي للتاريخ ، من أهمها : « الدولة والملكية الخاصة » ١٨٨٠ م ، و « أصل الأسرة » ١٨٨٤ م ، و « معالم الاشتراكية العلمية » ١٨٧٨ م .



بيرين ، هنري :

(١٨٦٣ ـ ١٩٣٥ م) مؤرخ بلجيكي ، اهتم بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، كان أستاذاً لتاريخ العصر الوسيط والتاريخ البلجيكي ، وكان نصيراً لقضية الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، ووقع أسيراً في أيدي الألمان . أهم مؤلفاته « تاريخ البلجيك » ، ٧ مجلدات (١٨٩٩ ـ ١٩٣٢ م) ، و « مدن العصر الوسيط » ، أثار كتابه « محمد وشارلمان » جدلا كبيراً ، حيث ذهب إلى بيان فضل العرب على الحضارة الأوروبية ، وكيف أن فتوح العرب في البحر المتوسط كانت العامل الرئيسي في الانتقال من العالم الروماني إلى العصور الوسطى الأوروبية .



توينبي ، أرنولد :

(١٨٨٩ م ـ ٠٠٠٠) مؤرخ إنجليزي ، دَرس بجامعة أكسفورد ودَرس بها وعُين أستاذاً للتاريخ الإغريقي بجامعة لندن (١٩١٩ ـ ١٩٢٤ م) ، عُين عام (١٩٢٥ م) أستاذاً وباحثاً ومديراً للدراسات بالمعهد الملكي للشؤون الدولية ، كتب سلسلة من الكتب السنوية للتاريخ الدولي المعاصر ، بعنوان « عرض للشؤون الدولية » ١٩٢٠ ـ ١٩٣٨ م ، ولكنه وصل إلى قمة الشهرة بكتابه الضخم **« دراسة في التاريخ »** الذي أخرجه في عدة مجلدات ، وهو بحث في نمو الحضارات وتطورها وانحلالها ، يعالج مشكلات التاريخ على أسس من تاريخ الطوائف الثقافية والخلقية أكثر من بحثه في تاريخ الأمم ، وهو يفسر قيام الحضارات على أساس ما سماه « التحدي والاستجابة » ومن كتبه اللامعة « الحضارة في الميزان » ١٩٤٨ م .



ثيوكيديدس :

أكبر مؤرخي اليونان ، وقد عاش في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد ، وهو مشهور بالتاريخ الذي كتبه للحروب البلوبونيزية ، التي شبّت بين الدويلات الإغريقية في عصره ، وقد بدأت سنة ٤٣١ ق م . وترجع أهمية كتابه إلى أنه يصف الحرب التي شنتها أثينا وحلفاؤها ضد أسبرطة التي كانت تبغض أثينا وديمقراطيتها ، وتعادي رجالا من أمثال **بيريكليس وديموستين ،** ولذلك فهو يعد تالياً **هيرودوت** في إنشاء عِلم التاريخ عند الغربيين .



جيبون ، إدوار :

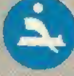
(١٧٣٧ ـ ١٧٩٤ م) مؤرخ إنجليزي ، قضى طفولة سقيمة ولم يدْرس دراسة منظمة ولكنه كان نهماً في قراءاته ، تعلم **بأكسفورد ولوزان ،** وقام بزيارة **لروما** أمدته بفكرة تأليف كتابه الضخم « تدهور الإمبراطورية الرومانية وسقوطها » الذي ظهر في ستة مجلدات (١٧٧٦ ـ

١٧٨٣ م) ، وكان حدثاً كبيراً في علم التاريخ ، ومهما تقادم بـه العهـد فسيظل من عيون كتب التاريخ ، وهو لا يتميز بفلسفة خاصة للتاريخ ، ولكنه كان أول كتاب غربي في العصر الحديث يحوي دراسة تاريخية لدولة كبرى ، يقص فيها تاريخها كاملاً ، لم يرحب بالثورة الأمريكية وأظهر رضاءه عن الثورة الفرنسية وكَتَب سيرة ذاتية .



حتي ، فيليب :

(١٨٨٦ م ــ ٠٠٠٠) **مؤرخ عربي الأصل** ، أميريكي الجنسية والنشأة والإقامة ، سافر إلى **أمـيريكا** للدراسة ، وهناك عمل أستاذاً بجامعات كولومبيا وهارفارد وبرنستون ، اشتهر بمنهجه المتميز في كتابة التاريخ ، كما عُرف بدقة البحث وسعة الاطلاع ، ألف بالإنجليزية « تاريخ العرب » و « تاريخ سورية » و « تاريخ لبنان » .



خيمنيث ، خوان رامون :

(١٨٨١ ــ ١٩٥٨ م) **شاعر غنائي إسباني ، ومؤرخ حوليات** ، دَرَسَ في جامعة إشبيلية ، وتأثر في شبابه بالنزعة الرمزية ، ثم كتب بأسلوبه الخاص الذي يتميز بالعمق والبساطة ، ترك **إسبانيا** ، عام ١٩٣٦ م ، وعاش في **بورتوريكو وكوبا** ، أرخ للحرب الأهلية الإسبانية بأسلوبه الخاص في كتابة التاريخ ، اشتهر بكتابه « مذكرات شاعر » ١٩١٧ م ، وكتابه « حماري وأنا » ، حصل على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٥٦ م .



ديدرو ، دنيس :

(١٧١٣ ــ ١٧٨٤ م) **مؤرخ موسوعي فرنسي** ، وفيلسوف مادي ، أصبح في عام ١٧٤٧ م ، رئيساً لتحرير **الإنسيكلوبيدية** التي اشترك في تصنيفها أهم كتّاب العصر . تعد مراسلاته صورة واضحة لعصره ، يقرن اسمه بالحركة الموسوعية ، وكان له أثره الكبير في خلفائه المباشرين مثل **هولباخ وهلفتيوس** من كتّاب فرنسا .



ذالوكوس :

مشرّع إغريقي من **لوكري** الإيطالية ، يقال إن قوانينه كانت أقدم مجموعة قوانين إغريقية ، ولذلك يرجح أنه كان يعيش حوالي ٦٥٠ ق . م . طبقت قوانينه في بلاد كثيرة **بإيطاليا وصقلية** ، وتدل الإشارات إلى أنه كَتَب تاريخاً لعصره ، يتميز بالتركيز الشديد والإحاطة الشاملة .



رانكه ، ليوبولد ڤون :

(١٧٩٥ ــ ١٨٨٦ م) **مؤرخ ألماني** ، يعرف بأبي المدرسة التاريخية الحديثة ، أثرت محاضراته بجامعة برلين وكتاباته النفسية في جيل بأسره من المؤرخين ، جعل هدفه إعادة عرض وترتيب الأحداث والنظم ، كما حدثت فعلاً ، متجنباً الوصول إلى النتائج قبل دراسة الأحداث دراسة علمية نزيهة ، كان أستاذاً للتاريخ بجامعة برلين ، تناولت كتاباته تاريخ الأمم الأوروبية وملأت ٥٤ مجلداً ، آخر مؤلفاته (تاريخ العالم) ١٨٨١ ــ ١٨٨٨ م ، في تسعة مجلدات .



زيته ، كورت :

(١٨٦٩ ــ ١٩٣٤ م) **مؤرخ ألماني** ، تخصص في تاريخ مصر القديمة ، إلى جانب اهتمامه بتاريخ الحضارات ، شغل منصب الأستاذية في جامعتي جوتنجن وبرلين ، كما كان عضواً في المجمع العلمي البروسي ، خلف ثروة ضخمة من المؤلفات التاريخية ، في التاريخ العام وتاريخ الحضارة .



سميث ، بريزيرند :

(١٨٨٠ ــ ١٩٤١ م) **مؤرخ أميريكي** ، كان محرراً لمجلة التاريخ الحديث ١٩٢٩ ــ ١٩٣٢ م ، وللمجلة التاريخية الأميريكية ، ١٩٣٦ ــ ١٩٤١ م ، من أشهر مؤلفاته « حياة مارتن لوثر ومؤلفاته » ١٩١١ م ، و « عهد الإصلاح الديني » ١٩٢٠ م ، و « تاريخ الثقافة الحديثة » جزءان ١٩٣٠ ــ ١٩٣٤ م ، وهو مرجع تاريخي ثقة .



شبنجلر ، أوزڤالد :

(١٨٨٠ ــ ١٩٢٣) **فيلسوف ألماني** ، وصاحب نظرية في فلسفة

التاريخ ، ومؤلفه الرئيسي «**تدهور الغرب**» ١٩١٨م ، يذهب فيه إلى أن كل ثقافة تجتاز مرحلة الشباب فالنضوج فالشيخوخة المؤدية إلى الموت ، والثقافة الغربية في العصر الحديث هي في مرحلة التدهور ، وقد درس سبع حضارات ، وحاول أن يستكشف أسباب صعودها وهبوطها ، وكل واحدة من الحضارات التي اختارها تتميز بسيادة طراز معين من الناس ، ما بين رجال دين أو عسكريين أو سياسيين أو فلاسفة .

ص

صلوستيوس ، جايوس :

(**٨٦ـ حوالي ٣٤ ق . م**) **مؤرخ روماني** ، تولى منصبي التريبونية الشعبية (٥٢ق . م) ، والبرايتورية (٤٦ق . م) ، وكان عضواً في السناتو إلى أن طرد منه (٥٠ق . م) ، بسبب مناصرته لقيصر ، أهم مؤلفاته كتاباً عن مؤامرة كتلينا ، أما كتابه عن تاريخ روما ، وكان في خمسة أجزاء ، فلم يبق منه إلا قطع متفرقة ، وكان يتناول الفترة من ٧٨ـ ٦٦ق . م . وقد أثنى المؤرخون القدماء عليه ثناء كبيراً .

ط

طومسون ، دورثي :

(**١٨٩٤ ـ ١٩٦١م**) **مؤرخة وكاتبة أميركية** ، عرفت بنضالها لمنح المرأة حق الانتخاب ، تزوجت من الأديب الأميركي المعروف **سنكلير لويس** ، عملت بالصحافة في أوروبا ، وكانت محررة يومية في الهيرالد تريبون الأميركية ، رأست جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأميركية ، وزارت بعض البلاد العربية ووضعت كتاباً في تاريخ الشرق الأوسط . عرفت بدفاعها عن وجهة نظر العرب ، توفيت في **البرتغال** ، ولها عدد من المؤلفات الصحفية والتاريخية .

ع

العم سام :

اسم تاريخي ، يستخدم للدلالة على حكومة الولايات المتحدة الأميركية ينسب إلى «**صمويل ولسون**» ، من **تروي بنيويورك** ، وهو المعروف بالعم سام ، الذي أصبح رمزاً تاريخياً لأميركا ، وذلك لأنه كان يقوم بتفتيش إمدادات الجيش في حرب ١٨١٢م ، ويضع حرفي U . S . إشارة إلى «الولايات المتحدة» ، فأطلق عليه لقب العم سام ، وهما كلمتان تبدآن بالحرفين نفسيهما .

غ

غورس ، جان :

(**١٨٥٩ ـ ١٩١٤م**) **مؤرخ فرنسي** ، كان طالباً ومدرساً لامعاً ، وكان يعتنق مبدأ السلام العالمي ، وينادي بالمساواة الاقتصادية بين الأفراد والشعوب ، دافع عن **دايفوس** في قضيته الشهيرة ، وعمل على فصل الكنسية عن الدولة ، اشتهر بكتابه «تاريخ الثورة الفرنسية» ، ٨ مجلدات ، الذي يعد أهم تفسير اقتصادي للثورة الفرنسية .

ف

فيكو ، جيوفاني باتيستا :

(**١٦٦٨ ـ ١٧٤٤م**) **فيلسوف إيطالي** ، وصاحب نظرية في فلسفة التاريخ ، حاول تطبيق المنهج العلمي على دراسة التاريخ ، وكان له أثر كبير في بعض المؤرخين مثل **ميشيليه** وبعض الكتّاب مثل **جيمس جويس** ، وعند فيكو أن قيام الدول وسقوطها يرجع إلى عوامل بيولوجية ، وأن الدولة تمر بثلاث مراحل منذ الميلاد حتى الموت مروراً بالازدهار ، لأن كل دولة لها عمر لا بد أن تمر به .

ق

قسطنطين الإفريقي :

(**١٠٢٠ ـ ١٠٨٧م**) ، يظن أنه ولد **بقرطاجة** ، اعتزل في الدير البنديكتي **بمونت كاسينو** ، وترجم إلى اللاتينية بعض مؤلفات العرب وبخاصة في الطب والتاريخ ، مثل «كامل الصناعة» **لعلي بن العباس** و«زاد المسافر» **لابن الجزار** ، ومقدمة **ابن خلدون** وتاريخ **الطبري** ، وكان لترجماته أثر كبير في عصر النهضة الأوروبية .

ك

كروتشه ، بنديتو :

(**١٨٦٦ ـ ١٩٥٢م**) **فيلسوف ومؤرخ إيطالي** ، نزع إلى مثالية **هيجل** ، عارض الفاشية واعتزل المجتمع حتى عام ١٩٤٣م ، حين تزعم حزب الأحرار بإيطاليا ، أصبح عضواً في الجمعية التشريعية سنتي ١٩٤٦ـ ١٩٤٧م ، وفي نفس العام أسس **المعهد الإيطالي للدراسات التاريخية** ، وقد كتب كُتُباً تاريخية كثيرة من الطراز العلمي التقليدي ، استمد فيها آراءه من الواقع التاريخي الذي لمسه في أثناء معاناته لكتابة التاريخ ومحاولاته تفسير الأحداث .

ل

لامبرخت ، كارل :

مؤرخ ألماني ، صاحب نظرية في فلسفة التاريخ تقوم على أساس من تحليل نفسية الشعوب ، وقد طبقها في تأريخه للحضارات على أساس نفساني ، وكان من أوائل من فكروا في البحث عن سر التاريخ عن طريق تحليل عدد من الحضارات ، والبحث عن العوامل التي أدت إلى قيامها وهبوطها ، واستخراج المعاني من ذلك التحليل ، أو مايسمى بالدلالات التاريخية للتحليل الحضاري .

م

مومسن ، تيودور :

(١٨١٧ ــ ١٩٠٣ م) مؤرخ ألماني ، من أشهر المؤرخين الذين حفل بهم القرن التاسع عشر الميلادي في أوروبا ، وأفادوا من صراع سابقيهم في وضع التاريخ في مكانه بين العلوم الأخرى ، وضع أساساً متيناً للدراسات الرومانية بفضل معرفته الوثيقة باللغات القديمة ، وتمكنه من منهج العمل التاريخي ، وتضلعه في قراءة النصوص القديمة ، واستخذام أدوات التاريخ جميعاً ، **وهو من المؤرخين القلائل الذين حصلوا على جائزة نوبل .**

ن

نامير ، سير لويس :

(١٨٨٨ ــ ١٩٦٠ م) مؤرخ إنجليزي ، كان ابناً لثري في **أوكرانيا** ، ذهب إلى **إنجلترا** ، فالتحق بجامعة **أكسفورد** ، خدم في الجيش البريطاني قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ، اختير عام ١٩٣١ م ، أستاذاً للتاريخ الحديث بجامعة **مانشستر** ، شهر خاصة بكتابه « البناء السياسي عند اعتلاء جورج الثالث عرش إنجلترا » الذي كان عميق الأثر في توجيه الباحثين المعاصرين وجلة جديدة في الدراسات التاريخية ، أصبح بعد تقاعده أحد محرري « تاريخ البرلمان » .

هـ

هيرودوت :

(٤٨٤ ــ ٤٢٥ ق . م) مؤرخ إغريقي ، ينحدر من أسرة كريمة ، ولد في **هاليكا أناسوس** بآسيا الصغرى ، وعاش حتى بداية الحرب البلوبونيزية ٤٣١ ق . م ، زار بلاداً كثيرة كانت **مصر** من بينها ، أرخ للصراع بين الإغريق والفرس ، ورجع في تتبع العداء بين أوروبا وآسيا إلى أقدم العصور . وصفه **شيشرون** بأنه « أبو التاريخ » لأنه أول من عالج التاريخ لا باعتباره مجموعة من الحكايات الشائقة ، بل باعتباره موضوع بحث علمي ، ولأنه هو الذي وضع فلسفة التاريخ .

و

وورد ، لستر فرانك :

(١٨٤١ ــ ١٩١٣ م) عالم اجتماع ومؤرخ أميريكي ، ولد في **جولييت** بولاية **إلينوي** ، إلى أن أصبح أستاذاً لعلم الاجتماع الحضاري بجامعة **براون** ، من أوائل علماء الاجتماع الأميركيين الذين ربطوا بين علمي الاجتماع والتاريخ ، وضع نظرية للتقدم تسمى نظرية ــ الإرشادية ــ أو ــ التوجيهية ــ يستطيع الإنسان طبقاً لها أن يوجه التطور الاجتماعي ، كما ربط بين التطور الاجتماعي وبين التطور التاريخي أو الحضاري ، من أهم مؤلفاته « علم الاجتماع الديناميي » ١٨٨٣ م ، و « العوامل النفسية للحضارة » ١٨٩٣ م ، و « لمحات من تاريخ العالم » ، ستة مجلدات ، ١٩١٣ ــ ١٩١٨ م .

ي

ياكوب ، بوركارت :

(١٨١٨ ــ ١٨٩٧ م) مؤرخ ألماني من أصل سويسري ، تتلمذ على **رانكه** ، وتخرّج في **جامعة برلين** ، وكان من أكبر ناقدي رانكه في منهجه التاريخي الذي وصف موضوعيته بالسلبية ، وقد نفر من جمود رانكه وقضائه على الجانب الشاعري من التاريخ ، قام بتأليف ثلاثة من أحسن ماكُتب في التاريخ ، على المذهب الجديد وهي : « عصر قسطنطين الأكبر » ١٨٥٣ م ، و « حضارة عصر النهضة في إيطاليا » ١٨٦٠ م ، و « تاريخ النهضة في إيطاليا » ١٨٦٨ ــ ١٨٧٣ م ، ثم أتبعها بكتابه المشهور « تأملات في التاريخ العالمي » وكلها كُتب تجمع بين المنهج التاريخي الدقيق إلى جانب الإحساس الجمالي والإنساني .



مشكلات الشباب الخليجي

على صفحة (٥١)، نشرت مجلة «**الفيصل**» في عددها (١٠٤) الصادر في شهر صفر ١٤٠٦هـ = تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥م، موضوعاً تحت عنوان «**دراسة ميدانية لمشكلات الشباب الخليجي**» بقلم **الدكتور عبد الرحمن العيسوي**.. لقد أثار العنوان في نفسي حب متابعة مشاكل وهموم أبناء جلدتي، لا سيما إنني أحد هؤلاء المعنيين بهذه الدراسة.

ولا أخفيكم سراً أنني قد أشفقت على الباحث مما كنت أعتقد أنه ناله وتكبده في سبيل هذا البحث الميداني، وأحسبه قطع الفيافي والقفار، صعد الجبال وهبط السهول، باحثاً وراء شباب الخليج للتعرف على مشاكلهم.

ولا أشك أن الباحث أراد من دراسته هذه كما يقول في الصفحة (٥١) من مجلة «**الفيصل**» (من أجل ذلك أجريت هذه الدراسة الميدانية التي لا تعدو أن تكون مجرد صيحة للفت الأنظار......) انتهى حديث الباحث.

وقد استطعت خلال اللحظات التي قضيتها بين طيات البحث الشيق، أن آخذ على الباحث بعض المآخذ العلمية، وإن كان هناك كثير من الأمور التي تخفيها سطور البحث الأصلي، الذي آمل أن أطلع عليه كاملاً.

إن هناك العديد من الفروض العلمية التي تضمنها البحث، وهذه الفروض العلمية التي يتم عادة تحويرها على هيئة متغيرات مستقلة، أو متابعة لم نسعد من باحثنا بتعريف إجرائي لها حتى لا يحدث التباس لمفهوم كل منها، فمثلاً متغيرات مثل: التقدم في السن، نوع التخصص، التفوق الدراسي، المدة التي يقضيها الطالب في المذاكرة... كلها عبارات مطاطة قد تفسر تفسيرات كثيرة، فما التقدم بالسن بالتحديد؟ وما مستوى التفوق الدراسي؟ وما المدة التي يكرسها الطالب للاستذكار؟ يجب تحديدها بعدد الساعات حتى لا يحدث تداخل في معاني المتغيرات والتباس في فهمها.

إضافة لما طرح هل يستطيع الباحث أن يعطينا لغوياً وعلمياً للفظ مشكلة، وما المدة التي كرسها الباحث لدراسته مع ملاحظة تحديد التاريخ مفصلاً.

لقد أراد الباحث أن يجعل من دراسته صيحة كما قال هو على لسانه، وإلا لما عمم هذه الدراسة بشكل واضح وصريح، فالعينة العلمية التي تستخدم في مثل هذه الدراسة يجب أن تشمل السكان المراد تعميم الدراسة عليهم بالتحديد، وأعتقد أن الباحث لا يعلم الشمول للعينة، وإلا لما عمم دراسة أجريت في **منطقة القصيم** على شباب الخليج ولولا لطف الله لعممها على شباب العرب أيضاً، وإن كان هذا مأخذ في شمول العينة، وحتى لو سلمنا بأن هذه الدراسة على شباب القصيم فقط، فهل يمثل طلاب قسمي علم النفس والاجتماع عينة مختارة لشباب القصيم؟.

والشباب كلمة ذات مدلول تنطبق على الجنسين، ولكن الباحث أهمل نصف المجتمع الشبابي في دراسته، ولم يتضمنهن بحثه.. فهل تعمم هذه الدراسة على فتيان وفتيات الخليج؟.

وإن كنت أعتقد أن الدراسة طبقت على المستوى الجامعي، فهل حدد باحثنا المستوى الاجتماعي بدقة؟، وهل يمثل طلاب الجامعات الشباب بفئاته المتعددة، أم أن هناك مراحل أخرى؟.

أما نتائج البحث، فإن دراسة أجريت بهذه الطريقة لا يعول عليها باستخلاص نتائج يمكن أن يستفاد منها.

عبشان محمد عبد الرحمن عبشان
كلية التربية في أبها

حروف القرآن

طالعت مجلة «**الفيصل**»، العدد (١٠٢) ذو الحجة ١٤٠٥هـ، الموافق سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥م، واستوقفني موضوع «**حروف القرآن**»، بقلم **الدكتور نعيم اليافي**، فقد جاء فيه: «ما نود أن نضيفه هو أن نفرق بين مد «**التجويد**»، ومد «**الترتيل**»، فالثاني غير محدد بحركات أو أقدار، وأمره متروك للترنم أو النغم، وكل من استمع إلى سورة الرحمن، مثلاً، يقرؤها المقرئون الثلاثة: **محمد رفعت، ومصطفى إسماعيل، وعبد الباسط عبد الصمد**، يحس أن مقدار المدات اللازمة الإيقاعية المكررة يختلف من مقرئ وآخر، وحتى المقرئ نفسه بين قراءة وأخرى، وهذا أمر يتعلق بفن المقرئ. ومد التجويد على العكس من ذلك، يتعلق بالقراءة الصحيحة للحروف وزمن نطقها....».

ويلاحظ على هذا الكلام ما يلي:

نعم، هناك فرق بين مد التجويد ومد الترتيل، لأن التجويد مصدر من جود تجويداً، والاسم منه الجودة ضد الرداءة، يقال: جود فلان في كذا إذا فعل ذلك جيداً، فهو عندهم عبارة عن الإتيان بالقراءة مجودة

الألفاظ بريئة من الرداءة في النطق ، ومعناه : انتهاء الغاية في التصحيح وبلوغ النهاية في التحسين . وأما الترتيل ، فهو نوع من التحقيق ، والتحقيق مصدر من حققت الشيء تحقيقاً إذا بلغت يقينه ، ومعناه : المبالغة في الإتيان بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه .

هذا هو الفرق الذي نلحظه من كلام **ابن الجزري** في النشر ، لأن القراءات كلها مجودة ، فلا توجد قراءة ، أو رواية ، أو طريق ، أو وجه ، إلا ويقرأ مجوداً .

أما الفرق الذي ذكره الكاتب بين التجويد والترتيل ، فلم يقل به أحد من القراء .

فقول الكاتب : « فالثاني غير محدد بحركات أو أقدار ، وأمره متروك للترنم أو النغم » غير سليم ، وإلا فكيف يكون المد متروكاً للترنم أو النغم ! .

ثم ما علاقة الترنم والنغم بأصوات القرآن الكريم ؟ ، إن الذي نعلمه وتلقيناه من شيوخنا ، وهو الذي في كتب القراءات أن القراءة بأنواعها الأربعة ــ **التحقيق والترتيل والتدوير والحدر** ــ منضبطة المدود والغُنن والإخفاءات وغير ذلك من أصول القراءات ، وأعتقد أن هذه العبارة غير موجودة في أي كتاب من كتب القراءات ، وإن وجد عالم قال بها فهو مخطئ بلا ريب .

والشق الثاني من العبارة : « وأمره متروك للترنم أو النغم » أشد وطأة من الشق الأول ، وهو قول غير صحيح جملة وتفصيلاً ، لأنه لا توجد قراءة من القراءات تترك فيها المدود للترنم أو النغم .

وقوله : « وكل من استمع إلى سورة الرحمن ، مثلاً ، يقرؤها المقرئون الثلاثة : محمد رفعت ، ومصطفى إسماعيل ، وعبد الباسط عبد الصمد ، يحس أن مقدار المدات اللازمة الإيقاعية المكررة يختلف من مقرئ وآخر » .

طبعاً هذا شيء طبيعي مرجعه إلى الروايات ، فالذي يقرأ لورش أو لحمزة يمد المد المتصل والمنفصل ست حركات ، والذي يقرأ لعاصم أو الكسائي أو الشامي يمد المنفصل أربع حركات ، والذي يقرأ لابن كثير المكي يمد المتصل أربع حركات ، والمنفصل حركتين ويوافق **ابن كثير** في هذا قالوا في أحد وجهيه **والسوسي والدوري** في أحد وجهيه ، فاختلاف المدود راجع إلى الروايات وليس إلى الترنم أو النغم .

وقوله : « وحتى المقرئ نفسه بين قراءة وأخرى ، وهذا يتعلق بفن المقرئ » .

إن الذي نعلمه أن فن القارئ يعتمد على مهارته في معرفة الوقوف ، وتفهم معاني الآيات ، وأيضاً في التزام الخشوع والتدبر عند تلاوة القراءات ، والتحكم في طبقات الصوت وفق الآيات التي يتلوها . أما خروج القارئ عن قواعد التجويد وانسياقه وراء الترنم والنغم ، فهذا لم يقل به أحد من العلماء وهي من الحروف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم ، والتواتر يشمل الأصول والفرش ، فما كان من قبيل الأصول كالمد والإدغام والفتح والإمالة والتحقيق والتسهيل وغير ذلك ، فهو متواتر كفرش الحروف ، وليس شيء من ذلك راجعاً إلى الترنم أو النغم .

تراجع المصادر الآتية :

١ ــ النشر لابن الجزري ، الجزء الأول .

٢ ــ شروح الشاطبية .

٣ ــ غيث النفع للصفاقسي .

٤ ــ الكشف لمكي بن أبي طالب ، الجزء الأول .

٥ ــ مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الجزء رقم ١٣ .

٦ ــ لطائف الإشارات للقسطلاني ، الجزء الأول .

وفّق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

د . عبد العزيز أحمد إسماعيل
أستاذ التفسير والقراءات المساعد
بكلية أصول الدين ــ جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية ــ الرياض

عن الكوليسترول

نشرت مجلة « **الفيصل** » في عددها (١٠٤) صفر ١٤٠٦هـ = تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥ م ، موضوعاً بعنوان « **الكوليسترول هل هو نعمة أم نقمة** » بقلم : الدكتور أحمد كرزة صفحة (٩١) ، فكان موضوعاً ممتازاً ، ولكي يكون كاملاً لا خطأ فيه أحب أن أصحح وأوضح ما يلي :

١ ــ تحت عنوان « **الغدد الجنسية الذكرية والأنثوية** » ، جاء في صفحة (٩٥) : « . . . فهرمونات هذه الغدد هي التي تحدد بحول الله بأن يكون هذا الإنسان ذكراً أو أنثى ، وذلك بتحديدها للمظهر الخارجي في كلا النوعين » .

أقول : إن الهرمونات الجنسية المفرزة من الغدد لا تحدد جنس المخلوق ، وإنما تأتي تالية ، ونتيجة لتحدد جنسه منذ اتحاد نطفة والده ببيضة أمه ، وبشكل أوضح أقول : يتحدد الجنس منذ اتحاد البيضة الناضجة Oocyte بالنطفة الذكرية Spermatozoon لتشكيل البيضة المشيج الملقحة (الزيجوت Zygotc) ، وذلك بحسب التقاء الصبغيات الجنسية في كل من البيضة والنطفة ، فإن التقت البيضة الناضجة (والتي تحمل دائماً الصبغي الجنسي س X) بالنطفة التي تحمل الصبغي الجنسي ص Y ، فإن جنس المخلوق الناجم عن هذا الاتحاد سيكون بإذن الله ذكراً . نظراً لاحتواء المشيج (الزيجوت على الصبغيين س ، ص (X.Y) . وأما إن التقت بالنطفة التي تحمل الصبغي الجنسي س X ، فإن جنس المخلوق سيكون أنثى بإذن الله لاحتوائه على الصبغيين س س (XX) .

وبناء على تشكل أي من الصيغتين السابقتين تتخلق الأعضاء الجنسية الداخلية للجنين بتحريضها لنسج الحرف التناسلي الجنيني ، ففي حال تشكل الصيغة الصبغية س . ص (XY) ، فإنها تنضج لب الحرف التناسلي الجنيني مشكلة الخصية ، ثم تحرض هذه الخصية على إنتاج بعض الهرمونات التي تحرض على تنمية الأعضاء الجنسية الظاهرة للجنين منذ الأسبوع (١٢) للحياة الجنينية .

وأما إن كانت الصيغة الصبغية س ص (XY) ، فإن تطور الأعضاء الجنسية يتم كاملاً بتحريض من الصبغيات ، حيث يتشكل المبيضان من قشر الحرف التناسلي Genital Ridge ، ثم يتشكل الرحم والنفيرين من أقنية موللر نظراً لعدم وجود هرمونات خصوية تثبط نمو هذه الأعضاء ، كما أن الأعضاء الظاهرة للأنثى تتشكل بشكل تلقائي لعدم وجود هرمونات ذكرية تضخمها . وفي حال كون الجنس أنثوي (XX) قد يطرأ اضطراب خمائري على مستوى قشر الكظر كنقص خميرة (١١ ، ٢١ هيدروكسيلاز) فتتولد عند الأنثى هرمونات ذكرية تضخم أعضاءها الظاهرة على نحو ذكري فتتشكل الخنوثة الكاذبة الأنثوية .

والخلاصة أن جنس المخلوق لا يتحدد بفعل الهرمونات الجنسية ولو كانت مخالفة للصيغة الصبغية ، وإنما هذه الأخيرة هي التي تحدد بشكل حقيقي جنس المولود . وتبقى وظيفة الهرمونات الجنسية ، كما ذكر في البحث هي تنظيم إنضاج وإنتاج الخلايا الجنسية (نطاف أو بيوض) ، وتضخيم الأعضاء الجنسية بعد سن البلوغ ليقوم المخلوق بدوره الجنسي بتمامه كما هو مقدر له .

٢ ــ تحت عنوان « **كيف يصنع الكوليسترول في الجسم** » ، لم يذكر الكاتب من الأعضاء المصنعة للكوليسترول سوى الكبد ، رغم قوله إن هناك أعضاء تتميز باصطناعه فأحب أن أذكر هذه الأعضاء وهي « الكبد ، وقشر الكظر ، والخصيتين ، والجلد ، والأمعاء ، والأبهر » . بقصد ملاحظة أن الخصيتين تنتج الكوليسترول وتصطنع منه الهرمونات الذكرية ، وهذا لتأكيد تشكل الأعضاء الجنسية ، قبل أن تتأثر بالهرمونات .

٣ ــ ورد في صفحة (٩٢) « فالأشخاص الذين استؤصلت أكياسهم الصفراوية جراحياً نتيجة لأمراض أصابتهم ، فعندها يجب حذف الدسم نهائياً من أغذيتهم » .

لا يُمنع من استؤصلت مرارته نهائياً من تناول الدسم ، فالكبد تستمر في إنتاج وإفراز الصفراء ، ولكن ينصح بالإقلال من الدسم لعدم وجود الخزين الكافي (المرارة) عند ورود مقادير كبيرة من الدسم بآن واحد . فالمرارة مخزن للصفراء وليست مصنعاً له .

٤ ــ وردت في النص عبارات قد عدلت وفق المعجم الطبي العربي الموحد هي :

★ الشرايين التاجية (خطأ) ، وصوابها الشرايين الإكليلية Coronary art .

★ الحويصل الصفراوي (خطأ) ، وصوابها المرارة Cholecyst .

★ العصارة الصفراوية (خطأ) ، وصوابها الصفراء Bile .

★ الأنزيمات (خطأ) ، وصوابها الأنظيمات Enzyme .

ولا شك أن ما كتب في نص الموضوع من روائع ما كتب عن الكوليسترول .

د . ضياء الدين الجماس
ماجستير الأمراض الداخلية
سورية ــ دير الزور

تصحيح

جاء في **العدد (١٠١)** من مجلة **(الفيصل)** ، الصادر في شهر ذي القعدة ١٤٠٥ هـ ، آب (أغسطس) ١٩٨٥ م ، وفي باب الحركة الثقافية في الوطن العربي ، وتحت عنوان كتب جديدة في مصر ، أن **مؤلف كتاب تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك هو**

فوزي حافظ طوقان ، والحقيقة أن اسم المؤلف هو **الدكتور قدري حافظ طوقان** .

والدكتور **قدري حافظ طوقان** هو العالم البحاثة الأديب السياسي ، وحسبه قدراً عضويته في العديد من الهيئات العلمية الدولية ، التي كان له فيها جميعاً ، مكانة مرموقة وجهداً مشكوراً .

والله الموفق .

مصطفى صبحي القيسي
محايل عسير ــ حي الضرس

الكواكب .. والنار والجليد

حرصاً مني على أن تبقى المصطلحات العلمية التي ترد في بعض موضوعات مجلتنا أقرب لواقع المصطلح والنص ، فإنني أود تصويب ما يلي :

ورد في العدد (١٠٩) من مجلة « **الفيصل** » الصادر في شهر رجب ١٤٠٦ هـ ، آذار (مارس)/نيسان (أبريل) ١٩٨٦ م ، موضوعاً للسيد **عدنان عضيمة** تحت عنوان : **الكواكب بين النار والجليد** ، وفي الصفحة (٩٠) ، وفي بداية السطر الثاني ..

الهيدروكربوكات HYDROCARBONS

ويقصد بهذا المصطلح ... الفحوم المتأدرة .

كما ورد في السطر الثاني والثالث من الصفحة (١٠٢) تحت فقرة « دورة الماء » من موضوع **الأنظمة البيئية للسيد لطف الله قاري ...**

محيطات هي : المحيط المائي ، والمحيط الجوي ، والمحيط اليابس .

وهذه المحيطات ترتبط ببعضها البعض ، وبمكونات العالم الحي بعلاقات متكاملة .

والأصوب ....

أغلفة : الغلاف المائي Hydrosphere والغلاف الجوي Atmosphere والغلاف الصخري Lithosphere ، وهذه الأغلفة ترتبط ببعضها بعضاً وبمكونات الوسط العضوي بعلاقات متبادلة ومتداخلة .

الدكتور محمد وليد كامل
جامعة حلب
كلية الزراعة
حلب ــ سورية

الضفدع

لا أخفي عليكم جمال ورونق موضوع « **الضفادع** » المنشور بالعدد الرابع والتسعين من مجلة « **الفيصل** » ، الصادر في شهر ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٥ م ، للأستاذة **فتحية محمد عبد الهادي** .. من سلاسة في المادة والصورة معاً .. (لكن الزين لا يكتمل) كما يقول المثل الشعبي العربي ..

فقارئ الموضوع لا يتناهى إليه أن في الضفادع نوعاً ساماً شديد الفتك بالإنسان وغيره من المخلوقات !! ويثبت بدلا من هذا لدى القارئ الوداعة والجمال أو القبح عند هذا الكائن !!

كما يخرج القارئ لذات الموضوع .. أن الضفادع محرم عليها دخول القارة الأمريكية الجنوبية ! وهذا مناف للحقيقة تماماً .. الأمر الذي دفعني لجلاء الأمر .. عرفاناً للفيصل الكريمة .

فالمعروف لدى البيولوجيين أن هناك ضفادع سامة .. كما أسلفنا آنفاً .. وأشد تلك الضفادع فتكاً هي التي تعرف بـ (الضفدع الوحش) أو باسم : **ضفادع السهام السامة** .. وموطنها **أمريكا الجنوبية** .. وبشكل خاص أعالي **جبال الأنديز والأرجنتين** ، حيث الرطوبة والحرارة معاً .

فهي ــ الضفادع السامة ــ أشد فتكاً بالإنسان وسائر الحيوان من الوحوش المفترسة والثعابين والعناكب والعقارب والتماسيح .. هذا بالرغم من حجمها الصغير الذي يعادل تقريباً حجم الضفادع العادية ..

ويمثل ضفدع (**بولانجة**) السهمي السام حقيقة الضفدع الوحش هذا .. الذي يستوطن أعالي جبال الأنديز بأمريكا الجنوبية .. والشائع بين السكان المحليين هناك أنهم يقبضون عليه ليستخدموا السم الذي يفرزه جلده حتى يسمموا سهامهم كي يحصلوا على صيد وفير ..

هذا ما أحببت إضافته بهذا الصدد .. راجياً أن يتسع صدر المجلة الرحيب وفاء لجميل مستمر تزجيه لنا منذ عقد من الزمن .. والله من وراء القصد ..

عبد الغني عبد الهادي
عمان ــ الأردن



ردود قصيرة

● الأخ (وجدي الرقيق)، صفاقس ـ تونس.

في إمكانك الاشتراك في المجلة بواسطة شركة التوزيع في تونس.. ونحن نحرص على نشر الدراسات الطبية المفيدة، وقد نشرنا الكثير منها مما يصعب حصرها وإرسالها لكم.. ولك شكرنا وتقديرنا.

● الأخ (صلاح سالم حماد)، عسلاية ـ السودان.

نشكر لك مشاعرك الطيبة نحو المجلة، وقد أبلغنا إعجابك بموضوع «لا بديل للبن الأم»، للدكتور سامي عزيز. كما وجهنا إليه أسئلتك الطبية، وعند وصول رده سوف لن نتردد في نشره.. ولك تحياتنا.

● الأخ (ابن لولو رمضان بشاغة)، غرداية ـ الجزائر.

المجلة لا تعنى بباب التعارف، وقد أشرنا إلى ذلك مراراً.. نرجو أن تتقبل عذرنا.. ولك تحياتنا.

● الأخ (إيمات جمال) ـ الجزائر.

نشكر لك إعجابك بالمجلة، وقد أبلغنا الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ إعجابك بموضوعه «قضايا في البحث الأدبي».. أما هواية الطوابع فهي من الهوايات المحببة للكثير من الناس، وهناك مجلات تهتم بمثل هذه الهواية.

● الأخ (السيد عبد الحليم السيد)، قليوبية ـ مصر.

المعلومات والصورة التي طلبتها في رسالتك تستطيع الحصول عليها من مكتب الملحق التعليمي السعودي بالقاهرة ـ المهندسين.. مع تحياتنا.

● الأخ (الهواري لحميري)، وهران ـ الجزائر.

الموضوعات التي نشرتها المجلة عن الحيوانات كثيرة وفي أعداد مختلفة، مما يصعب حصرها وإرسالها إليك.. فتقبل عذرنا مع شكرنا وتقديرنا.

● الأخ (باسل أبو ديب)، جبلة ـ سورية.

لا يكاد يخلو عدد من أعداد المجلة منذ صدورها من موضوع عن الفضاء، ورحلات المكوك.. وأسئلتك متشعبة وغير محددة، وتحتاج إلى عشرات الصفحات للرد عليها، ناهيك بالوقت الذي تتطلبه في الإجابة عليها.. وتستطيع بمتابعتك أعداد المجلة، وغيرها من المجلات التي تعنى برحلات الفضاء، الحصول على المعلومات التي طرحتها أسئلتك، مع مرور الزمن، بالمواظبة سوف تتوفر لديك المعلومات الكافية.. مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

● الأخ (غنوجا محمد)، الهويرة ـ المغرب.

تستطيع الاطلاع على أعداد المجلة من المكتبات العامة إذا لم تستطع شراءها، لأن المجلة لا توزع بالمجان.. ولك تحياتنا.

● الأخ (محمد نجيب لطفي محمد)، الفيوم ـ مصر.

نحن نتفق معك على كل ما جاء برسالتك.. وللأسف، فإن الدول الإسلامية نفسها قاصرة عن توفير الإحصاءات والمعلومات الصحيحة، كما أنها مقصرة في الاهتمام بالدراسات والأبحاث، وهذا ما يساعد المعلومات المغرضة التي يسربها أعداء الإسلام والمسلمين على التسلل إلى الوسائل الإعلامية والثقافية العربية والإسلامية، واعتمادها كمعلومات سواء كانت ناقصة أو مغرضة.. ويأتي ذلك نتيجة لغياب الجهود الإسلامية في الاهتمام بقضايا البحوث.. ومما يؤسف له أن نستقي معلوماتنا من غير أوطاننا، والسبب عدم توفرها.. وشيء خير من لا شيء.. والأمر لله من قبل ومن بعد.. والله المستعان.

● الأخ (رشيد علوش)، قسنطينة ـ الجزائر.

المجلة ترحب بكل الدراسات الجادة والجيدة العميقة وفق المنهج العلمي.. أما مسابقة المجلة، فهي موجهة لكل القراء العرب والمسلمين، كما تلاحظون ذلك من أسماء الفائزين.. ومرحباً بك صديقاً للمجلة.

● الأخ (أحمد حساني)، الدار البيضاء ـ المغرب.

المجلة ليست للمراسلة وتبادل الهوايات، وهي لا توزع مجاناً.. مع تحياتنا.

● الأخ (صايف عبد الكريم)، بسكرة ـ الجزائر.

مسابقة المجلة للجميع دون تميز.. مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

★ ★ ★



مسـابقة مجلة الفيصـل

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالا

ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالا

د ـ سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي) .

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة «الفيصل» .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(المملكة العربية السعودية ـ ص.ب (٣) الرياض ـ (١١٤١١) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .



قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١١٨)

الاسم : ------------------------------------

المهنة : ------------------------------------

العنوان : ------------------------------------



•• المسابقة ••

السؤال الأول :

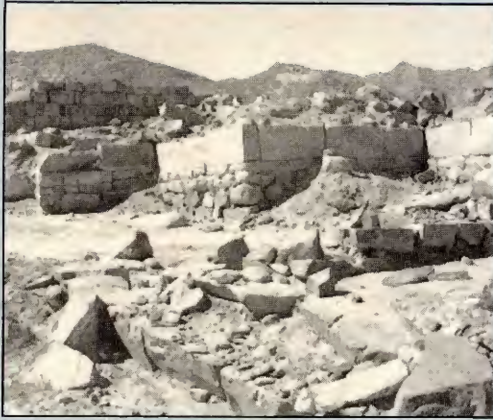
اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :
نظم الدرر من تناسب الآيات والسور ــ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ــ التوابع والزوابع .

السؤال الثاني :

اذكر اسم القائد المسلم الذي قال هذه العبارة :
« فإن عوفيت تمت ما عزمت عليه ، ولا يراني الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفاً من الموت ، وإن أدركني أجلي كنت شهيداً سائراً في جهاد » .

السؤال الثالث :

هذه الصور لبقايا آثار مدينة قديمة تحكي قصة الصراع الديني قبل ظهور الإسلام . . وقد وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم . . زعم أحد الباحثين أنها مدينة « رقمات » التي ورد ذكرها في التاريخ . . أين توجد هذه الآثار ؟





السؤال الرابع :

ما اسم الشاعر العربي الذي قال هذه الأبيات :

فلسطين لا تيأسي إنني
سأصلح في الشرق أخطائيه
مصيري آخذه بيدي
وأدعو إلى الثار أخوانيه
فلسطين لا تجزعي فالسما
ستسند للنصر إخلاصيه
فلسطين لا تقنطي فالحمى
سينصفه اليوم أحراريه

السؤال الخامس :



هذه الصورة لهيكل عظمي اكتشف قرب بحيرة « مونغو » الأسترالية . . كم عمر هذا الهيكل حسب تقدير العلماء ؟



●● أجوبة مسابقة العدد (١١١) ●●

ج ١ «تتكون جائزة الملك فيصل العالمية من خمسة فروع، هذه مجالاتها :

★ **الدراسات الإسلامية** .
★ **الأدب العربـي** .
★ **الطـب** .
★ **خدمة الإسلام** .

ج ٢ الصورة التي تمثل مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية التاريخية في **المملكة العربية السعودية**، والتي عرضت في المهرجان الوطني للتراث والثقافة **بالجنادرية**، قرب مدينة **الرياض**.. هذه الصورة ترمز إلى «**السوانـي**» التي كانت في الماضي وسيلة من وسائل متح المياه من الآبار.

ج ٣ مؤلفو الكتب التالية هم :

★ «الممتع في التعريف» : **ابن عصفور الإشبيلي** .
★ «الكامل في التاريخ» : **عز الدين بن الأثير** .
★ «بيوتات العرب» : **الهيثم بن عدي** .

ج ٤ ألوان الأحجار الكريمة التالية :

★ **الألماس** : شفاف، عديم اللون، أو أزرق، أو أصفر، أو أخضر، أو أحمر، أو بني، أو أسود.
★ **الزمرد** : شديد الخضرة.
★ **الفيروز** : أزرق.

ج ٥ تمثل الصورة إحدى القلاع التاريخية في مدينة دبي، واسمها : «**قلعة نايف**». أما بالنسبة للفقرة التي تسأل عن تاريخ بناء القلعة.. فقد وضعت في السؤال، عن طريق السهو، حيث كان من المفروض أن تكون جزءاً من سؤال آخر مشابه.

●● نتيجة مسابقة العدد (١١١) ●●

● فاز **بالجائزة الأولى**، وقيمتها (٧٥٠) سبعمائة وخمسون ريالا سعودياً، الأخ **عبد القادر خليل الشرفي**، نهج إبراهيم بن دالي ــ المدية ــ **الجزائر**.

● وفاز **بالجائزة الثانية**، وقيمتها (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، الأخ **عبد العزيز محمد الصانع**، الرياض، ص. ب : (١٦٤٢٧) ــ **المملكة العربية السعودية**.

● وفازت **بالجائزة الثالثة**، وقيمتها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ريالا سعودياً، الأخت **ميرفت توفيق إبراهيم القاضي**، نجع حمادي ــ **مصر**.

وهناك **سبع جوائز**، قيمة كل منها (٢٠٠) مائتا ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من **الكويت** ــ خيطان، الأخت **منى محمد ضيف الله**.
● من **المملكة العربية السعودية** ــ مكة المكرمة، ص. ب : (١٤٣٩)، الأخ **محمد هاشم أحمد**.
● من **البحرين** ــ المنامة، الأخت **أمينة عبد الله إبراهيم**.
● من **سورية** ــ دمشق ــ سويقة، الأخ **محمد صبحي بن عمر الكيال**.
● من **السودان** ــ ود مدني، الأخت **ماجدة عز الدين صالح**.
● من **المغرب** ــ الدار البيضاء ــ ٩ جمال الدين الأفغاني، الأخ **آيت عبد الرحمن العربي**.
● من **لبنان** ــ البقاع، الأخت **نعمة حسن عباس**.

بالإضافة إلى **عشر جوائز**، قيمة كل منها **اشتراك مجاني، لمدة عام، في مجلة «الفيصل»**، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من **مصر** ــ المحلة الكبرى ــ ١٤ ش العشري ــ السبع بنات، الأخ **أحمد توفيق مصطفى بصل**.
● من **السودان** ــ كسلا ــ ص. ب : (١)، الأخ **جسوانتراي تارسيداس كيولشند**.
● من **العراق** ــ بغداد ــ ص. ب : (٥٨٩٩)، الأخ **عامر جاسم محمد**.
● من **الأردن** ــ إربد ــ ص. ب : (٢٤٦٠)، الأخ **موسى عبد الحميد محمد عبابنة**.
● من **اليمن** ــ تعز ــ ص. ب : (٦٦٩٣)، الأخ **المعتصم بالله درهم محمد**.
● من **سورية** ــ حلب ــ محطة بغداد ــ ش أمين الريحاني، الأخ **وانيس بسام يعقوبيان**.
● من **الجزائر** ــ المدية ــ ص. ب : (٢٠٩)، الأخ **بن كالي الفضيل**.
● من **تونس** ــ سقانص ــ المنستير (٥٠٠٠)، الأخ **سالم بن عامر بتنبوت**.
● من **الباكستان** ــ سند ــ خيرفورميرس ــ هنكورجا ــ ميرك، الأخ **محمد إدريس السندي**.
● من **الإمارات العربية المتحدة** ــ أبوظبي ــ ص. ب : (٨٤)، الأخ **خالد أحمد بشار بركات**.

الحركة الثقافية

في شهر

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

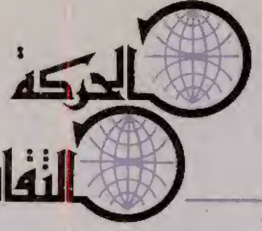
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

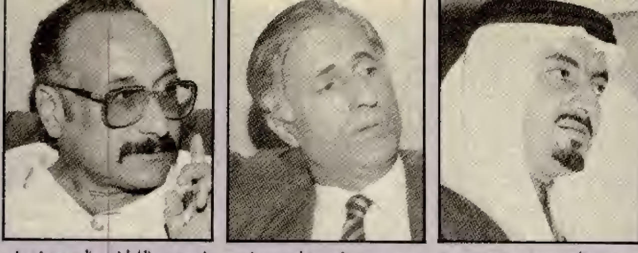
في الوطن العربي

- وسام الريادة للأمير خالد الفيصل في المملكة .
- جائزة الإبداع الأدبي للأديب السعودي الجفري في القاهرة .
- ندوات علمية ، وأمسيات شعرية ، ومعارض كتب .
- مؤتمر دولي لدراسة ما قبل التاريخ في مصر .
- صدور مجلة جديدة في الجزائر .
- معرض خليجي للآثار .

في العالم

- مؤتمر دولي حول «نضال المسلمين من أجل السلام» .
- مجلتان عربيتان جديدتان في باريس ولندن .
- أسماء الفائزين بجائزتي القلم والكتاب الذهبيتين .
- اسم الفائز بجائزة نوبل لعام ١٩٨٦م .
- طبيبة سعودية تحصل على شهادة تقديرية من أكاديمية أمريكية .





★ سمو الأمير خالد الفيصل ★ ★ د. ظافر الحسن ★ ★ عبد اللطيف السعدون ★

السعودية

وسام الريادة لخالد الفيصل

حصل صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير مقاطعة عسير، ومدير عام مؤسسة الملك فيصل الخيرية، ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية، وصاحب دار الفيصل الثقافية، على (**وسام الريادة ليوم الشباب لعام ١٩٨٦م**)، من **المؤتمر الخليجي الرابع لإدارة الموارد البشرية** الذي عقد تحت إشراف وتنظيم **معهد الخليج لإدارة الموارد البشرية** في رحاب الهيئة الملكية للجبيل وينبع خلال شهري صفر وربيع الأول، كما منح العضوية الفخرية الدائمة في المعهد، والدعوة لكافة نشاطات المعهد.

وهذا التكريم الذي حظي به الأمير خالد الفيصل قد جاء نابعاً من اهتمام سموه بالإدارة وتطويرها، والاهتمام بتنمية الموارد البشرية.

الجدير بالذكر أن هذا المعهد الذي يتخذ من دبي في الإمارات العربية المتحدة مقراً له، يعقد في كل سنة مؤتمراً يحدد فيه إطاراً عاماً لمؤتمره، ففي عام ١٩٨٣م، انعقد المؤتمر الأول تحت شعار **«الجانب الإنساني لنقل التكنولوجيا»**، والثاني عام ١٩٨٤م، تحت شعار **«تنمية الموارد البشرية في الخليج: الواقع والتحديات والمستقبل»**، والثالث عام ١٩٨٥م، أما الرابع ففي هذا العام ١٩٨٦م، بمدينة الجبيل فكان تحت شعار **«تحسين الإنتاجية»**.

ذلك عن المؤتمر الذي يشرف عليه المعهد وينظمه، أما عن احتفال المعهد (بيوم الشباب)، فلم يبدأ إلا في الخامس عشر من شهر أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٨٥م، وهو مناسبة خليجية المنشأ، عالية المطمح يتم فيه اختيار الأسماء التي يتم تكريمها من قبل لجنة يوم الشباب العالمي لثلاثة أسماء لتنال جوائز:

★ وسام الريادة.
★ إداري العام.
★ مؤسسة العام.

وكان أول الفائزين بجوائز هذا اليوم هم:

★ **خولة الهاشمي**، حيث نالت جائزة أفضل شباب لعام ١٩٨٥م.

★ جائزة الجهود المتميزة في الإدارة والتنظيم والتحديث لعام ١٩٨٥م، من نصيب العميد **ضاهي خلفان** ــ القائد العام لشرطة دبي.

★ جائزة المؤسسة لعام ١٩٨٥م، **لشركة أرامكو**.

أما في هذا العام ١٩٨٦م، فقد جاءت الجوائز كما يلي:

★ **جائزة ووسام الريادة للأمير خالد الفيصل.**

★ **جائزة ووسام إداري عام ١٩٨٦م، من نصيب السعودي راشد سعد الخالدي** مدير مجموعة الخدمات المكتبية في الهيئة الملكية للجبيل وينبع.

★ **جائزة ووسام المؤسسة لعام ١٩٨٦م، من نصيب الخطوط الجوية العربية السعودية.**

والمعهد في إطار (يوم الشباب) الذي سيحتفل به سنوياً مع عقد مؤتمراته يفكر اعتباراً من العام القادم ١٩٨٧م، في أن يطرح الفكرة بشكل عام في إطار الترشيحات لعدد من الأفراد لجوائز تكريمية على نمط تلك الجوائز المقدمة من مؤسسات مهنية مماثلة في أجزاء أخرى من العالم.

ومجلة **«الفيصل»** يسعدها أن تقدم لسمو الأمير خالد الفيصل تهانيها بهذا الوسام الجديد به لقاء ما قدم من خدمات جليلة في كل الحقول والأعمال التي تسنم قيادتها.

زيارتان

قام الدكتور **ظافر الحسن سفير لبنان** لدى **المملكة العربية السعودية** في الرياض بزيارة لمجلة **«الفيصل»** بصفته أحد شعراء لبنان الذين ساهموا في الحركة الشعرية بقصائدهم.. وله ديوانان مطبوعان أحدهما بعنوان **«السفر في علامة استفهام»**، والآخر **«إشارات الظمأ وخطوط الرماد»**.

وقد دار الحديث أثناء الزيارة حول دور لبنان في الحركة الأدبية العلمية والتاريخية العميقة الجذور وآثار ظروف لبنان الحالية على الثقافة العربية ونشرها وانتشارها.

كما قام الأستاذ **عبد اللطيف السعدون المستشار الصحفي في السفارة العراقية بالرياض** بزيارة للمجلة للتعرف على إمكاناتها والعاملين فيها وتقديم دعوة السيد وزير الثقافة والإعلام العراقي لرئيس التحرير لحضور مهرجان **المربد** (السابع) الذي سوف يعقد في **بغداد** في الفترة الواقعة بين ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) وديسمبر (كانون الأول) من هذا العام (١٩٨٦م)، هذا المهرجان الكبير الذي سوف يحضره أكثر من ٤٠٠ مدعو من أدباء العرب على اختلاف أقطارهم واهتماماتهم الأدبية.

ترجمة من الأدب السعودي

ستقوم إحدى دور النشر الإنجليزية في لندن بترجمة كتاب **الكاتب السعودي عبد الله الجفري «حوار في الحزن الدافئ»** الذي نال به جائزة الإبداع العربي من المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون والعلوم بتونس إلى الإنجليزية.

ومن ناحية أخرى ستقوم **الهيئة المصرية العامة للكتاب بترجمة رواية «جزء من حلم»**. للأديب الجفري إلى اللغة الإنجليزية.

أطفال سعوديون.. يفوزون بجوائز

حصل أربعة وثلاثون طالباً من مدارس



★ عبد الله الجفري ★ ★ علي العمير ★

المملكة المختلفة على جوائز من لجنة المعرض العالمي السادس عشر لرسوم الأطفال باليابان في العام ١٤٠٥ / ١٤٠٦ هـ . . وتتمثل هذه الجوائز في الآتي :

★ خمس ميداليات ذهبية .
★ ثمان ميداليات فضية .
★ إحدى وعشرين ميدالية برونزية .
★ أربع وثلاثين شهادة تقديرية .

الإعلام وأثره على المجتمع

عقدت بمعهد قوات الدفاع الجوي بجدة ندوة دار موضوعها حول « الإعلام وأثره على المجتمع السعودي » ، وذلك بمشاركة كل من :

★ الأستاذ علي محمد العمير الناقد والأديب المعروف .
★ الدكتور هاشم عبده هاشم رئيس تحرير جريدة « عكاظ » .

وقد أدار الندوة الإذاعي المعروف الأستاذ حسين نجار . . وحضرها العديد من المهتمين ، حيث دارت المناقشات من بعض الحضور فأثرت الندوة .

ندوة علمية حول الطاقة

عقدت في الرياض خلال الفترة من ٢٩ ـ ٣٠ من شهر صفر ١٤٠٦ هـ ، ندوة علمية حول الطاقة والكهرباء وذلك تحت رعاية اللجنة السعودية الفنلندية المشتركة .

نوقشت فيها أمور متعددة مثل :

★ الاقتصاد وتوفير الطاقة .
★ أنظمة الربط .
★ شبكات التوزيع المتطورة .
★ إنتاج الطاقة .
★ النتائج المستخلصة من الأبحاث السابقة ، ثم التوصيات .

كلمة

النحاس وجزيرة قبرس

يشتق النحاس Copper اسمه من اسم جزيرة (قبرس) بالسين لا بالصاد . وترجع تسمية قبرس إلى الفينيقيين الذين اكتشفوا الكثير من مناجم النحاس في جزيرة قبرس . ويسمى النحاس الأصفر بالصفر في اللغة العربية وكذلك في اللغة الفينيقية ، وينطق في اللغة العبرية شيفر Chivre . وبقي اسم هذه الجزيرة « صفر » في عهد الحضارة اليونانية لكنهم أضافوا لها مقطع Uss أو Ess في نهايتها وهي علامة التنوين اليونانية والرومانية ، أما العرب فقد لفظوها خطأ بالصاد بدلا من السين . وقد تحول اسم الصفر في اليونانية إلى Cypress وإلى Cypruss باللاتينية وأخذها الإنجليز عنهم وسموها Cyprus ، أما الفرنسيون فلفظوها Chypre . أما العرب فبعد أن صدروا كلمة (صفر) إلى أوروبا عادوا فاستوردوها مرة أخرى ، وحيث إن الحرف الأول (C) يمكن أن يلفظ كافاً أحياناً وسيناً أحياناً أخرى في اللغات الاوروبية ، فإن العرب لفظوها قافاً أخت الكاف وقالوا (قبرس) .

وقد أورد العرب قديماً اسم (قبرس) بالسين لا بالصاد وسجلوها في كتبهم ، فقد ذكرها الطبري في تاريخه تسع مرات بالسين ولم يذكرها بالصاد ، أما ابن منظور فقد أوردها في (لسان العرب) في مادة (قبرس) وقال : (القبرس من النحاس أجوده) ، وقد ذكرها القزويني أيضاً في كتابه « آثار البلاد وأخبار العباد » بالسين ، أما ياقوت الحموي فقد ذكرها في كتابه المشهور « معجم البلدان » وحدد تهجئتها فقال « قبرس : بضم أوله وسكون ثانيه ثم ضم الراء وسين مهملة » .

والنحاس من العناصر النادرة والهامة جداً في الأنسجة الحية مثل عنصر الكوبالت XOBALT . كما أن لبعض الحيوانات دماً أزرق مثل القواقع والحبار واللوبستر ، حيث يحتوي دمها على مركب الهيموسيانين الذي يحمل الأكسجين بنفس الطريقة التي يحملها الهيموجلوبين . والهيموسيانين مركب أزرق يحتوي جزئياً على ذرات النحاس .

د . أحمد عبدالقادر المهندس
جامعة الملك سعود

وقد شارك في إعداد الأبحاث العديد من المهتمين في البلدين .

معرض للكتاب

أقيم في جدة تحت رعاية الخطوط السعودية معرض للكتاب خلال شهر ربيع الأول الماضي ١٤٠٧ هـ ، شاركت فيه العديد من دور النشر ، وشمل العديد من العناوين في مختلف التخصصات .

الجدير بالذكر أن هذا المعرض قد جاء ضمن المهرجان الثقافي بالسعودية ـ الخطوط الجوية العربية السعودية .

ومن ناحية أخرى ، فقد أقامت عمادة الكلية المتوسطة ومركز العلوم والرياضيات بالرياض معرضاً للكتاب في الرياض بمشاركة أكثر من عشرين دار نشر محلية ، وتم فيه عرض الكثير من العناوين القديمة والجديدة خدمة للقارئ والطالب .

أمسية قصصية وشعرية

أقيمت بنادي جدة الأدبي أمسية قصصية شارك فيها كل من : عبد الله باخشوين ، عبد العزيز الصقعبي ، جار الله الحميد .

وقد شارك كل واحد منهم بنماذج من فنه القصصي .

ومن ناحية أخرى ، فقد أقام النادي بالتعاون مع الجمعية الفيصلية النسائية الخيرية بجدة أمسية شعرية أحيتها الشاعرتان خديجة العمري ، وفوزية أبو خالد .

حيث تم الاستماع إليهما عن طريق الدائرة التلفزيونية المغلقة .




★ عدنان الداعوق ★


★ عبد الرحمن العبيد ★

وفاة عدنان الداعوق

انتقل الأديب العربي السوري الأستاذ **عدنان الداعوق** إلى رحمة الله يوم السبت ١٤٠٧/٣/١٣هـ، الموافق ١٩٨٦/١١/١٥م، في مدينة الرياض، وذلك على أثر سكتة قلبية.

والمعروف أن الأديب الداعوق الراحل من مواليد ١٩٣٢م، في **مدينة «أدلب» بسورية**.. وقد عايش الحركة الأدبية في بلاده وفي الوطن العربي منذ اهتماماته الأولى، وله صداقات عديدة مع كتّاب وأدباء العربية، وخاصة أدباء المهجر.. وكان الراحل من كتّاب مجلة «**الفيصل**»، وآخر موضوع كتبه كان عن أمين الريحاني «**فيلسوف الفريكة**» الذي سينشر في العدد القادم من «**الفيصل**».

بدأ حياته بكتابة الشعر، ثم انصرف إلى كتابة القصة القصيرة، وكانت أول قصة نشرها عام ١٩٥٠م، ثم واصل نشاطه في كتابة القصة القصيرة والمقالة والدراسة في أغلب صحف ومجلات وإذاعات الوطن العربي.. وقد ترجمت بعض أعماله القصصية إلى **الإسبانية، والإنجليزية، والألمانية**.

زار عدداً كبيراً من دول العالم، ومثّل بلاده في أكثر من مؤتمر عربي وعالمي.

من مؤلفاته المطبوعة:

★ «**ذات الخال**»، مجموعة قصصية، **القاهرة**، عام ١٩٥٨م.

★ «**وحدة الحب**»، رواية، **بيروت**، عام ١٩٥٩م.

★ «**ستشرق الشمس زرقاء**»، مجموعة قصصية، **القاهرة**، عام ١٩٦١م.

★ «**السكين**»، قصة طويلة، بالإسبانية، **مدريد**، عام ١٩٦٦م.

★ «**قارب الرحيل**»، مجموعة قصصية، **تونس**، عام ١٩٧٧م.

★ «**أبطال وأمجاد**» **(من تاريخ الثورة السورية لعام ١٩٢٥م)**.

★ «**نظير زيتون الإنسان**»، دراسة في أدب المهجر، **دمشق**، عام ١٩٦٨م.

★ «**١٢ قصة من حلب**».

وهناك مجموعات قصصية أخرى، إلى جانب مقالاته ودراساته المنشورة في الصحف والمجلات والإذاعات العربية.

وقد كان الفقيد عضواً في اتحاد الكتّاب العرب، وعضو المكتب الإداري لفرع اتحاد الكتّاب في **حمص (سورية)**.

تغمد الله الفقيد الراحل **عدنان الداعوق** بواسع رحمته وألهم أهله وذويه وقراءه الصبر والسلوان.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومجلة «**الفيصل**» تتقدم بأحر التعازي لأسرة الفقيد الراحل الذي كان أحد الأقلام العربية المخلصة الصادقة.

ملف نادي الطائف

صدر العدد السابع من ملف نادي الطائف الأدبي مشتملاً على القصائد الشعرية، والقصص، ومحاضرة عن النقد للأستاذ الناقد علي العمير.. هذا إلى جانب بعض الدراسات مثل (أهمية العلاقة بين كليوباترة

في دائرة الضوء

● **الكتاب**: ديوان الخريمي.

● **تحقيق**: د. علي جواد الطاهر، محمد جبار المعيبد.

● **الناشر**: دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧١م.

أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الصفدي أصلاً، التركي جنساً، الخريمي ولاءً - كما يقول محققا الديوان: «لا نعرف شيئاً يذكر عن ميلاده بلاداً أو تاريخاً، ولكن حياته الأولى تتصل بخراسان وسجستان، وكان يشكو ويتنقل كأنه يبحث عن كريم ماجد، وقد وجد ذلك في **عثمان بن خريم الناعم**، فلزمه حتى أصبح اسمه: أبا يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي».

ولقد نزل **بغداد أيام الرشيد**، واتصل **بمحمد بن منصور كاتب البرامكة** المعروف (بفتى العسكر)، وبأبي علي الحسن بن التختاخ، وقد مدحهما ورثاهما.

ولقد جمع المحققان الفاضلان: الأستاذ **الدكتور علي جواد الطاهر والأستاذ محمد جبار المعيبد**، شعر الخريمي من مظان كثيرة تقارب التسعين ورتباه حسب قوافيه وعند التخريج رتبا المظان ترتيباً زمنياً لدى اتفاق هذه المصادر في عدد الأبيات، فإن اختلفت قدّم المصدر الأكثر عدداً. وعندما تجمّع لديهما شعر غير قليل ينسب للخريمي ولغيره من الشعراء آثر المحققان فصله وجعله على قسمين: الأول ما رجحت نسبته إلى الخريمي، والثاني ما رجحت نسبته إلى غيره.

وفي ذيل الديوان أربعة فهارس: (١) فهرس مراجع التحقيق، (٢) فهرس الأعلام، (٣) فهرس الأماكن، (٤) فهرس الشعر والقوافي.

ومن جيد شعر (الخريمي) قوله مفتخراً (ص ١٢):

أسرُّ خليلي شاهداً وأبرُّه ... وأحفظُه بالغيب حين يغيبُ

وإني لسهل الوجه للمبتغي الندى



★ عمر أبو ريشة ★ ★ أحمد فرج عقيلان ★ ★ د. محمود إسماعيل صيني ★

يوليوس قيصر ، ويقظة لغة وغفلة أمة) .. كما تضمن الملف على حوار حول المسرح السعودي .

الجدير بالذكر أن هذا الملف يصدر عن النادي كل أربعة أشهر .

أمسيتان شعريتان

أقيمت في نادي أبها الأدبي أمسيتان شعريتان :

★ الأولى أحياها الشاعر عبد الرحمن العبيد وقام بالقراءة النقدية الدكتور محمد علي المرقي .

وقد ألقيت في هذه الأمسية قصائد متعددة تناولت أبرز القضايا الإسلامية من أفغانستان إلى القدس فالأندلس .

★ والثانية أحياها الشاعر عمر أبو ريشة ، حيث ألقى فيها الشاعر العديد من القصائد القديمة والجديدة .

حضر الأمسيتين العديد من المفكرين والمهتمين ورجال الأدب .

كتب جديدة

● **« بين الأصالة والحداثة ــ نقد ومختارات »** ، تأليف **أحمد فرج عقيلان** ، صدر ضمن **مطبوعات نادي الطائف الأدبي** .

صدرت الكتب التالية عن دار أمية للنشر والتوزيع بالرياض :

★ **« الحجاج بن يوسف الثقفي ــ وجه حضاري في تاريخ الإسلام »** ، تأليف **هزاع بن عيد الشمري** .

★ **« الأصول التاريخية لنحلة البابية والبهائية »** ، بقلم **الدكتور قاسم السامرائي** .

★ **« العبير المحترق »** ، **ديوان شعر للدكتور قاسم السامرائي** .

★ **« التقنيات التربوية الحديثة في تعليم اللغات الأجنبية »** ، تأليف **الدكتور محمود إسماعيل صيني وعمر الصديق عبد الله** .

★ **« من التراث الأدبي للمغرب العربي »** ، تأليف **الدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة** ، صدر في **طبعته الثانية** .

★ **« قُنْعة الأريب في تفسير الغريب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين »** ، تأليف **موفق الدين بن قدامة المقدسي** ، تحقيق **الدكتور علي حسين البواب** .

★ **« قبيلة آدم ــ عن التربية والمجتمع »** ، تأليف **علي بن محمد العيسى** .

● **« مصادر الأدب النسائي في العالم العربي الحديث »** ، بقلم **الدكتور جوزيف زيدان** ، صدر عن **نادي جدة الأدبي** .

● **« محاضرات النادي الأدبي بجدة ــ المجموعة الثالثة »** ، صدر عن **نادي جدة الأدبي** .

● **« لحظات لها تاريخ »** ، بقلم **شفيق الحوت** ، صدر ضمن سلسلة **كتاب الشرق الأوسط التي تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق** .

● **« أيام مع المجاهدين الأفغان »** ، بقلم

وإن فنائي للقرى لرحيبُ
أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله
ويخصب عندي والمحلُّ جديبُ
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنّما وجه الكريم خصيبُ
وإني لتصفو للخليل سريرتي
وإن جعلت أشياء منه تريبُ

وقال يرثي خريم بن عمارة (ص ٤٠) :

قضى وطراً منك الحبيبُ المودّعُ
وحلّ الذي لا يُستطاع فيدفعُ
وأصبحت لا أدري إذا بان صاحبي
وغودرت فرداً بعده كيف أصنعُ
أألفي حياتي عفةً وتجلّداً
بعافية ، أم أستكين فأهلعُ

وفي نهايتها :

تذكرني شمس الضحى نور وجهه
فلي لحظات نحوها حين تطلعُ
وأعددته ذخراً لكل ملمّةٍ
وسهم المنايا بالذخائر مولعُ
فلو شئت أن أبكي دماً لبكيته
عليك ولكن ساحة الصبر أوسعُ
وإني ــ وإن أظهرت صبراً وحسبةً ــ
وصانعت أعدائي عليك لموجعُ

وقال (وقيل للخليل بن أحمد) وكان قد فقد بصره عندما كبر :

قالت : أتهزأ بي غداة .. لقيتها
يا للرجال لصبوة العميانِ
فأجبتها : نفسي فداؤك ، إنما
أذني وعيني في الهوى سيّانِ

ولعل من خير ما نختم به هذا العرض لديوان « الخريمي » قوله في الحكمة :

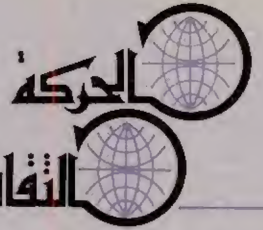
إن الأمور إذا الأحداث دبّرها
دون الشيوخ ترى في بعضها خللا
إن الشباب لهم في الأمر معجلة
وللشيوخ أناة تدفع الزللا

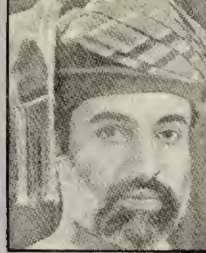
وقوله :

أرى الحلم في بعض المواطن ذلة
وفي بعضها عزاً يسوّدُ صاحبه

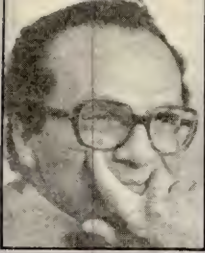
وأخيراً لا يسعنا إلا أن نهنّئ الأستاذين الجليلين علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد على هذا الجهد المبذول ، وعلى هذه العناية الكبيرة والتدقيق الفائق الذي لا يقدر عليه إلا أولو العزم من المحققين المخلصين .

حسين علي محمد
مصر




★ السلطان قابوس ★


★ د. عبد الحميد يونس ★


★ جمال الغيطاني ★

عبد الله الرفاعي، صدر عن **الشركة السعودية للأبحاث والتسويق ضمن سلسلة كتاب «الشرق الأوسط»**.

● «**الاستثمار بالأسهم في المملكة العربية السعودية**»، تأليف **غازي فلمبان**، صدر عن **تهامة للنشر**.

● «**الوظيفة .. حبيبتي**»، قصة طويلة تأليف **هادي أبو عامرية**، صدرت عن مطابع **دار البلاد ــ جدة**.

مصــــر

الجفري .. وجائزة الإبداع

تسلم الأديب السعودي الأستاذ القاص الروائي (عبد الله عبد الرحمن الجفري) جائزة الإبداع الأدبي التي قدمت له من الجمعية العربية للفنون والثقافة والإعلام بالقاهرة.

جاء هذا التسلم في الحفل الذي أقامته الجمعية لتوزيع الجوائز الخاصة بالأعمال الأدبية للدول المشاركة في **المهرجان الدولي السادس** للجمعية ولرواد الفكر والإعلام، وهي عبارة عن ميدالية ذهبية وشهادة تقدير على ورق البردي.

الجدير بالذكر أنه في هذه المناسبة أيضاً وزعت العديد من الجوائز على عدد من الكتّاب والأدباء العرب أمثال **جمال الغيطاني، والدكتور عبد الحميد يونس، والكاتب حلمي مبارك، وطلعت الشيخ، ومحمود عوض، وأسامة أنور عكاشة، والناقد حسن إمام عمر، والكاتبان عبد الحميد توفيق زكي، ووداد عبد الله**.

ومما يذكر أن هذه الجمعية كان من أهم مؤسسيها الأديب الراحل يوسف السباعي.

ومما يجدر ذكره أن الأديب السعودي عبد الله الجفري سبق أن حصل على **جائزة الإبداع العربي** للمنظمة العربية للتربية والفنون والعلوم بتونس .. وهو يعد من الكتّاب المتميزين بأساليبهم، إلى جانب استمراره في العطاء الأدبي في عدد من المجلات والصحف .. وهو اليوم أحد كتّاب جريدة «**عكاظ**» التي يكتب فيها زاويته اليومية المعهودة «**ظلال**» .. تهانينا للصديق الجفري، مع تمنياتنا له بمزيد من العطاء.

مؤتمر لدراسات ما قبل التاريخ

عقد في القاهرة المؤتمر الإفريقي العاشر لدراسات ما قبل التاريخ تحت إشراف وتنظيم **هيئة الآثار المصرية**.

حضر المؤتمر ٢٠٠ عالم متخصصون في مجال **الآثار والجيولوجيا والجغرافيا** من جميع أنحاء العالم.

ونوقشت في المؤتمر أبحاث متعددة عن تاريخ إفريقيا في فترة ما قبل التاريخ وخاصة في **منطقة جنوب نهر النيل**.

المعروف أن المؤتمر يعقد كل أربع سنوات، وكانت المرة الأولى في **نيروبي بكينيا** عام ١٩٤٧م، ثم عقد في عدة دول إفريقية **كالجزائر، وجزر الكناري، وأثيوبيا، ونيجيريا**.

رؤيا (الكتاب ــ المجلة)

في مدينة الإسكندرية **بمصر**، صدر العدد الأول من الكتاب ــ المجلة غير الدوري «**رؤيا**» (١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م)، عن «**مركز الوطن العربي ــ للدراسات الإعلامية المختلفة ــ طباعة ــ نشر ــ توزيع**»، وقد وصل إلينا متأخراً، ورغم مرور أكثر من عام إلا أننا لم نطلع على العدد الثاني .. وقد اتخذ هذا الكتاب ــ المجلة شعاراً له هو «**نافذة للإبداع العربي الجاد**» .. وتضمن العدد الأول هذا قائمة طويلة بأسماء مستشاري التحرير من الأدباء والشعراء والنقاد في **مصر، وتونس، والمغرب، والأردن، ولبنان، واليمن، وسورية، والبحرين، والعراق، وفلسطين** .. بلغ عددهم (١٧) مستشاراً، وتبلغ عدد صفحاته (١١١) صفحة من القطع الصغير.

ورغم الإشارة على الصفحة الأولى أنه «كتاب غير دوري» إلا أنه ذكر على الصفحة (٣) أنها «مجلة» يصدرها مركز الوطن العربي للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفنية .. وقد أشار هذا العدد إلى اسم مستشار التحرير لهذا العدد، وهو أحد قائمة المستشارين .. مما يوحي أن كل مستشار في التحرير سوف يتولى عدداً من الأعداد والإشراف عليه .. ويرأس تحرير الكتاب ــ المجلة «**السيد حافظ**».

وقد احتوى العدد على عدد من الدراسات المتنوعة والقصائد والقصص القصيرة، وعرض كتاب، إلى جانب عدد من الرسائل الثقافية .. وفي النهاية آراء أصداء العدد التجريبي (صفر «٢»)، مما يوحي أيضاً بصدور عدد تجريبي (صفر «١»)، وكلاهما لم نطلع عليهما.

ومجلة «**الفيصل**» تتمنى لهذه (المجلة ــ الكتاب) الجديدة النجاح المطلوب في خدمة أدبنا العربي الجاد.

اليـــمن

معرض للكتاب

أقيم في العاصمة «صنعاء» معرض للكتاب شاركت فيه العديد من دور النشر المحلية والعربية، حيث عرضت الكثير من العناوين التي تشمل تخصصات مختلفة قديمة وحديثة.

البحــريــن

كتب جديدة

● «**تاريخ البحرين**»، إعداد **خليل المريخي**، صدر في **المنامة**.


★ غسان كنفاني ★ ★ د. عبد العزيز المقالح ★

محاضرات

● « البنيوية وما بعدها ـ موقف من النصوصية »، محاضرة ألقاها الدكتور ميجان الرويلي بنادي الرياض الأدبي.

● « دور العلماء العرب والمسلمين في العلوم التجريبية »، محاضرة ألقاها الدكتور علي عبد الله الدفاع بنادي الطائف الأدبي.

● « البنية والتاريخ عند ميشيل فوكو في ضوء المنهج البنيوي »، محاضرة ألقاها الدكتور محمد علي الكروي بنادي جدة الأدبي.

● « شعر أحمد قنديل وذكريات معه »، محاضرة ألقاها عزيز ضياء بنادي جدة الأدبي.

● « المجدد المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب »، محاضرة ألقاها الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

● « قبس من الإعجاز القرآني »، محاضرة ألقاها الدكتور حميد النجدي بنادي المدينة المنورة الأدبي.

● « الإدارة في الإسلام »، محاضرة ألقاها الدكتور أحمد بن داود بنادي الخطوط السعودية بجدة.

● « النزلات المعوية وطرق معالجتها »، محاضرة ألقاها الدكتور وليم كتنج بالمعهد الصحي الثانوي بالدمام.

● « مآثر الحضارة الإسلامية في عهد ازدهارها »، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الحميد شيران بالمركز الثقافي الإسلامي بالجزائر.

● « العثمانيون والبحر المتوسط الغربي في القرن السادس عشر الميلادي »، محاضرة ألقاها الدكتور جيلالي صاري بمدينة الجزائر.

● « موقع البلدان الإسلامية من التقدم العلمي والتكنولوجي العالمي »، محاضرة ألقاها الدكتور رمضان وحاس بالجزائر.

● « استرجاع اللغة العربية لمكانتها في الجزائر »، محاضرة ألقاها مولود قاسم في باريس.

● « حاجيات الطفل النفسية والعقلية في مراحل نموه »، محاضرة ألقتها الدكتورة سلوى دراز بجمعية اليقظة النسائية بالطائف.

● « مشكلة الصيانة في البرامج التطبيقية »، محاضرة ألقاها الدكتور غازي الخطيب بمعهد الإدارة العامة بالرياض.

● « سبل النجاح »، محاضرة ألقاها الدكتور أبو بكر الجزائري بإدارة التعليم بتبوك.

● « الشاعر الإنجليزي براوننج في خيمة عربية »، محاضرة ألقاها الدكتور عزت خطاب بنادي المدينة المنورة الأدبي.

● « أثر اليهود في الحروب في العالم »، محاضرة ألقاها الدكتور حسن ظاظا بمعهد الضباط بالرياض.

عمان

جامعة قابوس

في السادس من شهر ربيع الأول ١٤٠٧ هـ، الماضي تم افتتاح جامعة « **السلطان قابوس** » وقد حضر الافتتاح العديد من المسؤولين والمهتمين بدول مجلس التعاون الخليجي والجامعات العربية والدولية.

المعروف أن هذه الجامعة الحديثة قد بدأت الدراسة فيها في شهر سبتمبر (أيلول) الماضي في كليات (الطب والهندسة والعلوم والزراعة والتربية والدراسات الإسلامية).

وتعد هذه الجامعة أحدث جامعة في **دول مجلس التعاون الخليجي** الست لتنضم مع اثنتي عشرة جامعة وكلية سبقتها لخدمة العلم وطلابه.

الإمارات العربية

معرض خليجي للآثار

أقيم في أبو ظبي معرض للآثار لدول مجلس التعاون الخليجي، وهو المعرض الثالث، وذلك بهدف التعرف على آثارها وماضيها.

ضم المعرض آثاراً من مختلف مناطق دول مجلس التعاون الست التي تعبر عن الحضارة أو الحضارات القديمة التي قامت على أرضها.

لبنان

كتب جديدة

● « **الطريق إلى الخيمة الأخرى** »، دراسة أعدتها **الدكتورة رضوى عاشور**، عن أعمال **غسان كنفاني**، صدرت عن **دار الآداب البيروتية**.

● « **البدايات الجنوبية** »، تأليف **الدكتور عبد العزيز المقالح**، صدر عن **دار الحداثة ببيروت** ضمن **سلسلة النقد الأدبي**.

● « **العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى** »، تأليف **الدكتور حسن حلاق**، صدر عن **الدار الجامعية ببيروت**.

● « **ثلاثية الرفض والهزيمة** »، دراسة نقدية بقلم **محمود العلم**، صدرت عن **دار المستقبل العربي ببيروت**.

● « **معارك أدبية قديمة ومعاصرة** »،





بقلم **عبد اللطيف شرارة**، صدر عن **دار العلم للملايين ببيروت**.

الكويت

●● ندوة عن الطاقة النووية ●●

أقيمت في الكويت ندوة خاصة باستخدامات الطاقة النووية للأغراض السلمية في الوطن العربي والعالم الثالث.

حضر الندوة التي استمرت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول ١٤٠٧ هـ، عدد من المختصين والعاملين في مجالات الطاقة النووية في البلاد العربية ونوقشت فيها مواضيع متعددة منها:

★ بحث المعوقات التي تواجه استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية.

★ آفاق مشاريع توليد الكهرباء بالطاقة النووية.

الجزائر

●● آداب ولغات ●●

اسم مجلة جديدة صدرت في مدينة الجزائر عن **معهد اللغات الأجنبية التابع لجامعة الجزائر.**

ومن خلال اسمها، فقد جاء عددها الأول حاوياً على العديد من المواضيع الأدبية والفكرية بلغات فرنسية وإنجليزية وروسية وألمانية.

●● معرض للكتاب ●●

أقيم في الجزائر معرض دولي للكتاب وذلك خلال الفترة من ١٠ ــ ١٦ ربيع الأول الماضي ١٤٠٧ هـ، بمشاركة العديد من دور النشر المحلية والعربية والأجنبية، بلغت ٥٦ دار نشر عربية، و ٦٣ دار نشر أوروبية بالإضافة إلى دور النشر الجزائرية، هذا وقد جاء المعرض مشتملاً على العديد من العناوين الجديدة والقديمة شاملة لمختلف التخصصات.. وقد أقيم في **(قصر الثقافة)** الذي يعد من مفاخر الفن المعماري الإسلامي الحديث.

وتقرر أن يكون المعرض مصحوباً بأسبوع وطني للكتاب يتمثل بعرض الكتب وعقد الندوات والمحاضرات.

المغرب

●● ندوة «المصطلح النقدي» ●●

عقدت في شهر ربيع الأول الماضي ١٤٠٧ هـ، ندوة علمية حول موضوع المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم وذلك خلال الفترة من ١٨ ــ ٢٠ منه.

نظمت الندوة **جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس** تحت إشراف **شعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية.**

حضر الندوة العديد من المهتمين، ونوقشت فيها قضايا متعددة منها:

★ إشكالية المصطلح النقدي.

★ الإشكالية في القديم وفي الحديث.

★ مناهج البحث في المصطلح.

★ دراسات مصطلحية.

★ معاجم المصطلحات.

سورية

●● الشرق العربي القديم ●●

أقيم في مدينة **اللاذقية** في أكتوبر (تشرين الأول) **الندوة العالمية حول الشرق العربي القديم وعصر التنوير.**

✩ ✩ ✩

بريطانيا

●● درر شرقية ●●

ذلك هو اسم **مجلة أكاديمية الملك فهد في لندن** حيث صدر عددها الأول في هذا الشهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ م.

وقد جاء حافلاً بالعديد من الموضوعات في التربية والثقافة والأدب، إلى جانب بعض اللقطات الثقافية.

●● أحدث الكتب ●●

● **«القوة الجوية لحلف الناتو»**، تأليف **روبرت جاكسون**، صدر عن **شركة (إيرلايف).**

● **«الإرهاب والإرهابيون... تاريخ الإرهاب في العالم»**، تأليف **جيرارد تشالياند**، صدر عن **شركة الساقي للنشر.**

● **«القارئ العربي العصري»**، تأليف **كاترين كوبهام**، صدر عن **شركة الساقي للنشر.**

● **«الحضارات العظمى»**، موسوعة مصورة تاريخية، صدرت عن **شركة كتب (علاء الدين).**

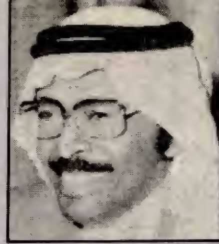
● **«المواد الخام اليوم»**، موسوعة صدرت عن **شركة كتب علاء الدين.**

● **«كيف تخطط لنجاحك»**، تأليف **رون سوويل**، صدر عن **شركة ميركوري.**

● **«حساء الحجارة»**، قصة، تأليف **توني روس**، صدرت عن **مطبعة أندرسون.**

● **«الصياد وزوجته»**، قصة، بقلم **مارك ساوتجيت**، صدرت عن **مطبعة أندرسون.**

● **«الأخطاء العسكرية في الحرب العالمية الثانية»**، تأليف **مجموعة من الخبراء**، صدر عن **مطبعة آرمز آند آرمور.**


★ د. أسامة عبد الرحمن ★

● «الدليل العلمي للكيمياء الصيدلانية»، بقلم بيكيت وستينليك، صدر عن شركة أثلون.

● «الصليبيون»، تأليف جوناثان رايلي سميث، صدر عن شركة أثلون.

● «اسكوتلندا.. أرض المناظر الطبيعية»، تأليف جان موريس وبول ويكفيلد، صدر عن مطبعة أورام.

● «البيوت الزجاجية: تاريخ وأساليب وفوائد الزراعة ضمن البيوت الزجاجية»، تأليف هنريتا وودز، وهيوغ بالمر، صدر عن مطبعة أورام.

● «تعليم فن الرسم»، تأليف كولين كيكيت، صدر عن مطبعة بيليثا.

● «التنمية في شبه الجزيرة العربية»، تأليف الدكتور أسامة عبد الرحمن، صدر في لندن باللغة الإنجليزية.

رسائل جامعية

●● «الرهن في الفقه الإسلامي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالمعهد العالي للقضاء بالرياض، تقدم بها السيد مبارك بن محمد الدعيلج.

●● «المسرحية التاريخية في الشعر العربي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بمعهد اللغة والأدب العربي بجامعة وهران بالجزائر، تقدم بها السيد المرسلي بوبطانة.

●● «الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني خلال عقد الثمانينات»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة وهران بالجزائر، تقدم بها السيد مهديد إبراهيم.

●● «الفكر الإسلامي لدى أبي الفضل الدمشقي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالمعهد العالي للقضاء بالرياض، تقدم بها السيد عبد المجيد بن محمد الأقطش.

●● «الشروط في النكاح»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها السيد عبد الرحمن بن عوف كوني.

أمريكا

●● شهادة تقديرية لطبيبة سعودية ●●

حصلت الطبيبة السعودية (مها حمد الصقير) على شهادة تقديرية من أكاديمية خواص الأسنان بالولايات المتحدة الأمريكية وذلك لامتيازها في مادة خواص الأسنان خلال دراستها.

والطبيبة (مها) أول طبيبة سعودية تحصل على هذه الشهادة التقديرية بالإضافة إلى إشراكها مجاناً في المجلة التخصصية في مواد خواص الأسنان.

الجدير بالذكر أن هذه الطبيبة كانت قد تخرجت في جامعة الملك سعود بالرياض (كلية طب الأسنان) عام ١٤٠٥هـ.

●● أحدث الكتب ●●

● «المحيط المتكامل»، تأليف الكاتبة لورا شابير، صدر في نيويورك.

الباكستان

●● مؤتمر طبي إسلامي ●●

عقد في كراتشي المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي الرابع تحت إشراف وتنظيم المركز الإسلامي للعلوم الطبية بالكويت.

شاركت في المؤتمر وفود من الدول العربية والإسلامية والأوروبية والإفريقية، ونوقشت فيه عدة أبحاث تتعلق بالمشاكل الطبية المعاصرة ورأي الشريعة الإسلامية فيها مثل: عمليات نقل وزرع الأعضاء، نقل الدم، سلوكيات الطبيب المسلم، المشاكل الطبية في العالم الإسلامي، الأمراض المنتشرة وطرق الوقاية منها بما يتلاءم مع ظروف البيئة.

الجدير بالذكر أن هذا المؤتمر قد عقد خلال شهر ربيع الأول ١٤٠٧هـ، الماضي.

●● وفاة الشيخ الحافظ ●●

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ الحافظ عبد الغفور بن محمد إسماعيل رئيس الجامعة الأثرية الإسلامية بمنطقة جهلم بباكستان.

كان رحمه الله بالإضافة إلى مسؤوليته الأكاديمية يبذل جهداً فائقاً لخدمة الإسلام والمسلمين، فهو مؤسس جامعة العلوم الأثرية للبنين، والجامعة الأثرية للبنات بجهلم لدراسة العلوم والآثار الإسلامية، كما عمل كأمير لجمعية أهل الحديث بولاية بنجاب الباكستانية.

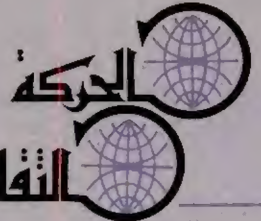
تغمد الله الفقيد بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنانه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فرنسا

●● الأزمنة ●●

ذلك هو اسم مجلة ثقافية عربية صدرت في باريس عن المركز العربي للدراسات الدولية الذي يتخذ من باريس مقراً له، لتنضم مع أخواتها المجلات العربية المهاجرة في خدمة الثقافة عن بعد.

هذه المجلة قد وضعت في حسبانها منذ صدور




★ أديب صعب ★


★ ألبرتو مورافيا ★


★ وول سوينكا ★

عددها الأول لتشمل مختلف حقول الإنسانيات، كالتاريخ والتربية والعلوم الاجتماعية والفلسفة، والنصوص الأدبية بأنواعها المعروفة، فضلاً عن مراجعات الكتب وزوايا أخرى.

وقد جاء عددها الأول مشتملاً على موضوعات متعددة مثل: النهضة بين الماضي والمستقبل. المجتمع التقليدي والحداثة، عودة إلى الكلاسيكية، مفكرون من القرن الثامن عشر، العلم والتكنولوجيا والقيم، النهضة العربية المنشودة.

ومن النصوص الأدبية: **ألف ليلة وألف صباح**، وكتاب **التجليات**.

الجدير بالذكر أن المجلة تصدر كل شهرين، ويرأس تحريرها **أديب صعب**.

أحدث الكتب

● **«جائزة نوبل للآداب»، بقلم السويدي كجال اسمارك**، صدر في **باريس**.

● **«مهاجر في بلدي»، بقلم فرانسوا ليفور**، صدر ضمن **مطبوعات هارماتان بباريس**.

إيطاليا:

جائزتا القلم والكتاب الذهبيتان

منحت اللجنة الإيطالية المختصة بتكريم الكتاب ودور النشر **جائزتي القلم الذهبي والكتاب الذهبي لهذا العام لكل من:**

★ **الأديب الإيطالي ألبرتو مورافيا.**

★ **الكاتب شيزاري موزاتي مؤسس جمعية العلم النفسي الإيطالي.**

★ **أما جائزة الكتاب الذهبي**، فقد حصلت عليها **دارا النشر «بارافيا، ولاسكوولا»** لنشرهما أغنى كتب اليونان القديمة واللاتين للعام الحالي.

روسيا:

المسلمون والسلام

عقد في مدينة (باكو) عاصمة جمهورية أذربيجان السوفيتية مؤتمر دولي دار حول موضوع **«نضال المسلمين من أجل السلام»**، تحت إشراف وتنظيم أكاديمية العلوم في المدينة نفسها، وبحضور العديد من المسؤولين في أوقاف ومنظمات إسلامية مختلفة وعلماء ومفكرين من العالم الإسلامي.

تم في هذا اللقاء إلقاء العديد من المحاضرات ارتكزت بشكل خاص حول **«السلام في الإسلام»**، وحول **«أخطار انتشار الأسلحة النووية»**، و**«دور المسلمين في مقاومة هذه الأخطار»**.

كما تم في هذا اللقاء أيضاً إجراء العديد من المناقشات والتعليقات ذات الأهمية بالنسبة لموضوع حيوي كهذا الموضوع الذي عقد في بلد يحارب الإسلام والمسلمين.

الصين:

معرض للكتاب العربي

أقيم لأول مرة، في بكين معرض للكتاب العربي، حيث تم فيه عرض أكثر من ألف كتاب ما بين موسوعات علمية، وكتب أدبية وتاريخية وجغرافية وعلمية ودينية، وذلك بهدف سد حاجة الطلاب وخاصة الدارسين للغة العربية وأساتذة الجامعات والمحافل العلمية.

نيجيريا:

الفائز بجائزة نوبل

فاز الكاتب المسرحي والشاعر النيجيري «وول سوينكا» بجائزة نوبل للأدب لعام ١٩٨٦م.

وسوينكا هو أول مؤلف إفريقي، وأول شخص من قارة إفريقيا السوداء يفوز بالجائزة رغم مضي أكثر من خمس وثمانين سنة على بدايتها عام ١٩٠١م.

وسوينكا يعد من أعمدة الحركة المسرحية المعاصرة في نيجيريا خاصة، وإفريقيا عامة، فله أكثر من عشرين مسرحية بجانب روايتين وعدد من المجموعات الشعرية والمقالات النقدية، والترجمات.

وقد عرف **(سوينكا)** ككاتب مسرحي منذ عاد إلى بلاده عام ١٩٦٠م، من إنجلترا، **ومن مسرحياته**: سكان المستنقع، الأخ جيرو، السلالة القوية، الأسد والجوهرة، رقصة الغابات، الطريق.

الجدير بالذكر أن وول سوينكا يبلغ من العمر اثنين وخمسين سنة، فهو من مواليد ١٩٣٤م.

ألمانيا:

مؤتمر طبي عربي

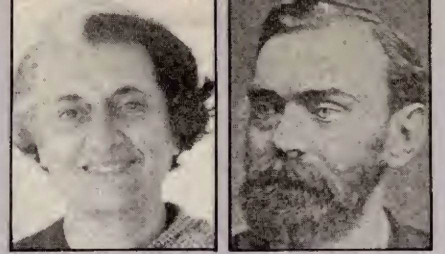
عقدت رابطة من الأطباء العرب في أوروبا مؤتمرها الطبي السنوي في مدينة **«فرانكفورت»** خلال شهر **سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦م.**

حضر المؤتمر عدد كبير من الأطباء العرب ونوقشت فيه عدة موضوعات هامة مثل: تحطيم حصى الكلية، المسؤولية الطبية للطبيب في الشريعة الإسلامية، نقل الأعضاء، تشريح الجثث.

الهند:

أحدث الكتب

● **«العلاج المغناطيسي: علاج**



★ نوبل ★ ★ أنديرا غاندي ★

المرضى بواسطة المجالات المغناطيسية »، تأليف الدكتور بانسال، صدر عن شركة بي . جين للنشر .

● « الوجيز في علم أمراض الأطفال »، تأليف الدكتور سوراج جويت، صدر عن شركة الأخوة جايبي للنشر في طبعته الخامسة .

● « أساسيات علم الصيدلة الطبية »، تأليف الدكتور تريباثي، صدر عن شركة الأخوة جايبي للنشر .

● « مقدمة في علم العلاج بوخز الإبر »، تأليف الدكتور أجرافال، صدر عن شركة الأخوة جايبي للنشر .

● « فواكه الهند »، تأليف تي . بوز، صدر عن شركة نايا بروكاش .

● « المادة الغذائية المعدنية في الفواكه »، تأليف تي . بوز، صدر عن شركة نايا بروكاش .

● « موسوعة الطب الهندي »، تأليف الدكتور راما شاندرا، صدرت عن شركة بوبيولار براكاشان .

● « السيخ »، تأليف راجوراي وخوشوانت سينج، صدر عن شركة رولي بوكس انترناشونال .

● « أنديرا غاندي »، تأليف راجوراي ويوبال جاياكار، صدر عن شركة رولي بوكس .

● « موسوعة الثقافة الهندية »، تأليف ساليتور، صدرت عن شركة ستارلينج للنشر .

● « أساسيات علم البلينولوجيا ـ علم التلقيح النباتي ـ »، تأليف بي . نير، صدر عن شركة تودي آند تومورو للنشر .

☆ ☆ ☆

أخبار الغد

السعودية :

كتب جديدة

● « القصة القصيرة المعاصرة في السعودية ـ دراسة نقدية »، بقلم الدكتور محمد صالح الشنطي، ستصدر عن دار المريخ بالرياض .

● « الزقاق »، رواية بقلم حسين علي حسين، ستصدر في الرياض .

● « ارحل عن الصدر ما أثقلك »، ديوان شعر للشاعر محمد زايد الألمعي، سيصدر في أبها .

● « الموسوعات الأدبية »، دراسة أعدها نسيم الصمادي، ستصدر عن نادي الرياض الأدبي .

العراق :

مؤتمر الفيزياء والرياضيات

● سيعقد في بغداد المؤتمر العربي الرابع للفيزياء والرياضيات، وذلك خلال شهر أبريل (نيسان) القادم ١٩٨٧ م، تحت إشراف وتنظيم اتحاد الفيزيائيين والرياضيين العرب بالتعاون مع أربعة مراكز علمية بالإضافة إلى مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي .

سيحضر المؤتمر متخصصون في هذين المجالين ليتحدثوا عن بحوثهم ودراساتهم، وعن آخر التطورات العلمية في ميدان التخصص .

فلسطين :

كتب جديدة

● « ديموغرافية الشعب الفلسطيني »، إعداد أسامة شراب، سيصدر عن الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين ـ فرع القاهرة .

مصر :

كتب جديدة

● « حكايات الديب رماح »، مجموعة قصصية للقاص خيري عبد الجواد، ستصدر في القاهرة ضمن سلسلة « مواهب » .

● « المغناطيس »، مسرحية للكاتب نعمان عاشور، ستصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة « الإبداع العربي » .

● « البديل »، رواية للكاتب محمود قاسم، ستصدر في القاهرة .

كتب وردت إلى المجلة



« وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح أمام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى » .

مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة

من تأليف **الدكتور محمود طرشونة** . ويضم الكتاب دراسة نظرية عن الأدب المقارن ومجالاته ومناهجه واتجاهاته ، وقد دعم المؤلف بحثه بعمل تطبيقي على كتاب **« ألف ليلة وليلة »** بصفته أثراً عربياً أسهمت فيه مصادر ثقافية متعددة من هندية وفارسية وعربية ، كما كان له تأثيره الواضح في الآداب الأوروبية . طبع الكتاب **بالمطابع الموحدة بتونس ،** ويقع في (١٦٨) صفحة من القطع المتوسط .

أدب الفتيا

يضم الكتاب تحقيقاً بقلم **الدكتور محيي الدين هلال السرحان** لرسالة (أدب الفتيا) **للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ .** وهي رسالة تحوي مجموعة أحاديث وأخبار حول مسألة الفتوى ومنزلتها وطرق تثبيتها وتوثيقها والشروط والآداب المنظمة لها . اعتمد المحقق في تحقيقه على نسخة خطية نفيسة محفوظة **بمكتبة شهيد علي باشا باستانبول في تركيا .** وقد آلت هذه المكتبة أخيراً إلى مركز تجميع المخطوطات في السليمانية باستانبول . يقع الكتاب في (١٣٢) صفحة من القطع المتوسط ، وصدر عن **مطبعة الإرشاد ببغداد .**

التربية في اليابان المعاصرة

تأليف **إدوارد بوشامب .** قام بترجمته **الدكتور محمد عبد العليم مرسي** بتكليف من **مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض .** يضم الكتاب عرضاً لتجربة اليابان في مجال التربية التي تمثلت في اتباع الجديد من الأفكار التربوية مع التمسك بالتقاليد والقيم الأصيلة . صدر الكتاب ضمن مطبوعات مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض . يقع الكتاب في (٧٢) صفحة من القطع المتوسط .

ابن باديس : حياته وآثاره

تأليف الدكتور **عمار الطالبي ،** تقديم المفكر **الجزائري مالك بن نبي .** يقع الكتاب في أربعة مجلدات ويضم دراسة عن العلامة ورائد النهضة الحديثة بالمغرب العربي الإمام عبد الحميد بن باديس ، حيث تناولت الدراسة التعريف بحياته وآثاره ومقالاته في مختلف المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية والتاريخية . صدر الكتاب عن دار **الغرب الإسلامي ببيروت** لصاحبها الأستاذ **الحبيب اللمسي** ومزود بالعديد من الصور .

العجوز والحب

مجموعة قصص قصيرة **تأليف عدلي فرج مصطفى .** تتألف من ست عشرة قصة تعكس جوانب من حياة وهموم المجتمع المصري . يقع الكتاب في (١٢٨) صفحة من القطع الصغير . . إصدار مكتبة **دار التفسير** بالزقازيق .

الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار

تأليف **الدكتور جودت الركابي .** يتناول الكتاب دراسة مظاهر الأدب العربي منذ نهاية القرن الخامس الهجري حتى عصر النهضة الحديثة متناولا أثر الحياة الاجتماعية والدينية والفكرية في مسيرة الأدب خلال تلك الفترات ، مع تقديم نماذج أدبية . . صدر الكتاب عن **ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر .** يقع في (٣٤٤) صفحة من القطع المتوسط .

حديقة الأزهار في ماهية العُشب والعقار

تأليف **أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني الشهير بالوزير ،** وتحقيق **الأستاذ محمد العربي الخطابي** بالاعتماد على ثلاث نسخ **بالخزانة الحسنية** ونسخة رابعة **بالخزانة العامة بالرباط .** الكتاب من ذخائر التراث الإسلامي في علمي النبات والطب ، حيث يضم تصنيفاً علمياً للنبات ومنافعه وخواصه مستنداً على أوثق المصادر العربية . صدر الكتاب عن **دار الغرب الإسلامي ببيروت لصاحبها الحبيب اللمسي .** يقع في (٤٤٨) صفحة من القطع المتوسط .

☆ ☆ ☆

من كتاب هذا العدد



د . صبري أحمد نصرة

★ من مواليد دمنهور ــ مصر عام ١٩٥٦م .

★ بكالوريوس طب الأسنان .

★ يجيد الإنجليزية وشيئاً من الفرنسية .

★ له عدد من الدراسات والبحوث والقصص القصيرة تأليفاً وترجمة .

★ عضو نادي القصة ، وعضو نادي دمنهور الاجتماعي .

★ له رواية مخطوطة .



د . ضياء الدين الجماس

★ من مواليد دير الزور ــ سورية عام ١٩٥١م .

★ ماجستير في الأمراض الداخلية .

★ يجيد الإنجليزية .

★ عمل رئيساً للأطباء في قسم الداخلية في أحد المستشفيات .

★ يعمل حالياً في عيادته الخاصة ، ومدرساً لأمراض الدم ، وطبيباً في إحدى الشركات .

★ اشترك في بعض المؤتمرات الطبية في دمشق .

★ له كتاب طبي تحت الطبع ، إلى جانب عدد من الأبحاث الطبية نشرت في مجلات عربية .



د . قاسم سارة

★ من مواليد دير الزور ــ سورية عام ١٩٥١م .

★ الدراسات العليا في الأمراض الداخلية .

★ يجيد الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

★ له مقالات طبية نشرت في مجلات طبية بسورية .



د . رجاء حسين أبو الحسن

★ من مواليد صبارين ــ حيفا ــ فلسطين عام ١٩٤١م .

★ دكتوراه في الكيمياء ــ جامعة هايدلبرغ ــ ألمانيا الغربية .

★ عمل بالتدريس في جامعات أوروبية وعربية ، وفي الصناعة الكيماوية والبتروكيماوية .

★ يعمل حالياً أستاذاً بقسم الهندسة الكيمائية ــ جامعة الملك سعود ــ كلية الهندسة ــ الرياض .

★ له مجموعة من الأبحاث في مجال تخصصه ، وله مقالات وبرامج وأحاديث إذاعية .

★ حاز على براءة اختراع « الثنر » العربي .

محمود حسين مفلح



★ من مواليد فلسطين عام ١٩٤٣م .

★ الإجازة في اللغة العربية .

★ يجيد الإنجليزية .

★ عمل في حقل التدريس .

★ يعمل حالياً موجهاً تربوياً لمادة اللغة العربية في إدارة تعليم نجران .

★ له سبعة أعمال مطبوعة ، وعملان تحت الطبع .

★ عضو رابطة الأدب الإسلامي ، واتحاد الكتّاب العرب بلمشق ، واتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين .



●● ميناء «بور سعيد»، ثاني موانئ مصر، بعد ميناء «الإسكندرية»، أو مدينة «بور سعيد»، الواقعة شمالي جمهورية مصر العربية عند مدخل قناة السويس الشمالي، وجنوبي البحر الأبيض المتوسط، أكبر بحر يتوسط ثلاث قارات هي أوروبا وآسيا وإفريقيا. انظر ص (٤).



●● في المتحف الوطني الصيني، في مدينة «تايبيه» بالصين الوطنية.. عمليات دقيقة، ومستمرة لتسجيل وتصنيف القطع الأثرية، التي تضمنتها مجموعة المتحف هي:

- القطع الأثرية ● لوحات الرسم والخط
- الكتب والوثائق النادرة. انظر ص (١٣).

●● إن تعريب التعليم الجامعي والمصطلحات العلمية.. مشكلة قديمة متجددة، تزداد أهميتها يوماً بعد يوم، وذلك بازدياد وعي الإنسان العربي لذاته، وللتحديات المحيطة به، وعلى كل عربي أن يتحرى استخدام المصطلحات العربية الصحيحة في حياته اليومية، وفي كتاباته ومراسلاته. انظر ص (٢٠).

●● تستضيف مجلة «الفيصل» في هذا اللقاء، عالماً جليلاً، له فضله على علوم اللغة العربية ودارسيها، لفترة تربو على ستين سنة، أبلاها في الدرس والتدريس والتصنيف، حتى غدا أحد أعلام الفكر في هذا العصر. إنه الأستاذ سعيد الأفغاني. انظر ص (٣٥).

●● «الخيال الرومانسي».. اسم لكتاب من تأليف: «السير موريس باورا»، أستاذ الشعر بجامعة أكسفورد، قام بترجمته الدكتور محمد محمد عناني. يدرس المؤلف مفهوم الخيال عند الرومانسيين، والوظيفة التي لعبها في إبداع شعرهم ذي السمات الخاصة بهم. انظر ص (٦٧).

●● لعب «الطاعون»، ولا يزال، يلعب دوراً تاريخياً في حياة الشعوب، قديماً وحديثاً. فما عرفت البشرية وباءً فتاكاً مثله.. أهلك الملايين قديماً، ولا تزال ضحاياه تترى، بعد اكتساحه العالم في وافدته الأخيرة التي شملت العالم المتحضر في الأمريكتين. انظر ص (٩٤).

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 118 - 10TH YEAR - DEC. 1986. العدد (١١٨) ـ ربيع الآخر ١٤٠٧هـ ـ السنة العاشرة ـ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٦م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

المراسلات: — All Correspondence To

مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣)
الرياض ١١٤١١. المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 402600 DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر	البلد	السعر	البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج. ع. اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٥٠ قرشاً	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٥٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

EUROPE - AMERICA - ASIA

Country	Currency	Price	Country	Currency	Price	Country	Currency	Price
Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	12	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

● أسعار الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

الشركة السعودية للطباعة العربية ذ.م.م

ص.ب ٦٤٦٣ الرياض ١١٤٤٢ ☎ المكتب ٤٦٣٣٤٥٢ المطابع ٤٦٥٨٩٩٠